مجلة

كلية الآداب



المجلد الرابع — الجزء الأول

مايو سنة ١٩٣٦

الطبعة الثانية

مطبعة جامعة فؤاد الأول

١٩٥٣

تصدر هذه المجلة مرتين فى السنة . فى مايو وديسمبر . وتطلب من مكتبة
جامعة فؤاد الأول بالجيزة . وتوجه المكاتبات الخاصة بالناحية العلمية
إلى المشرف على تحريرها حضرة عميد كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول با

فهرس القسم العربى

		صحيفة
شفيق غربال :	مصر عند مفرق الطرق (١٧٩٨ — ١٨٠١)، المقالة الاولى فى ترتيب الديار المصرية فى عهد الدولة العثمانية كما شرحه حسين أفندى أحد أفندية الروزنامة فى عهد الحملة الفرنسية	١
محمد مصطفى زياده :	بعض ملاحظات جديدة فى تاريخ دولة المماليك . .	٧١

مصر عند مفرق الطرق

١٧٩٨ — ١٨٠١

(المقالة الأولى)

ترتيب الديار المصرية فى عهد الدولة العثمانية

كما شرحه حسين أفندى أحد أفندية الروزنامة فى عهد الحملة الفرنسية

تمهيد :

بلغت مصر فى السنوات من ١٧٩٨ إلى ١٨٠١ مفرق الطرق ، فقد ختم الاحتلال الفرنسى فى تلك السنين عهداً من تاريخها ومهد لعهد آخر : لعهد محمد على وخلفائه .

وقد خلف فرنسيو حملة بونابرت — من علماء ورجال حرب وسياسة وإدارة — الشىء الكثير عن مصر كما وجدوها ، ويستطيع الباحث فى تاريخ مصر العثمانية أن يصور لنفسه — بواسطة ما خلفه الفرنسيون — مصر فى ختام العهد المملوكى العثمانى وأن يتدرج بأبحاثه من ذلك الموضع إلى موضع سابق له حتى يصل للفتح العثمانى نفسه . كما أن الباحث فى تاريخ مصر الحديثة لا يجد موضعاً يبدأ منه عمله خيراً من ذلك الموضع ، وهو لا يستطيع بغير ذلك أن يدرك مدى التطور الذى حدث فى القرن التاسع عشر .

وسنحاول فى هذه المقالة وأخواتها تصوير مصر عند مفرق الطرق ، وأن يكون هذا التصوير عن طريق عرض طائفة من الوثائق الأصلية عرضاً مصحوبا بالشرح الوافى ، والتحليل الدقيق .

التعريف بحسين أفندى وأجوبته :

لما تولى الفرنسيون حكم مصر كان مما اهتموا به أكبر اهتمام أن يعرفوا طرق حكمها ، ونظم أرضها وجباية أموالها حرص على هذا رجال الادارة منهم كما حرص عليه العلماء ، فمن الأولين بوسيلج (Poussielgue) مدير المالية ، أو كما عرفه المصريون إذ ذاك « بوسليك » مدير الحدود ، ثم خليفته فى الادارة المالية استيف (Estève) ، ومن الآخرين لانكريه (Lancret) وجيرار (Girard) المهندسان وعضوا المجمع المصرى .

وقد عانوا فى هذا السبيل أشد العناء . وذلك أنه عند قدوم بونابرت غادر البلاد الباشا العثمانى ، وصحبه فى فراره الروزنامى ، كبير الادارة المالية ، وقد أدى هذا الفرار وسقوط الحكومة القائمة ، وهزيمة المماليك إلى شىء كثير من اختلال الأحوال واضطراب الأمور . هذا إلى أن جل المباشرين للشئون المالية ، وبخاصة الأقباط منهم ، كانوا حريصين على أن لا يفضوا بما عندهم من أسرار مهنتهم ، فهم — من جهة — لم يطمئنوا بعد إلى استقرار الأمر للفرنسيين ، وهم — من جهة أخرى — يريدون بقاء تصريف هذه الشؤون فى أيديهم . وقد روى استيف نفسه أنه لما تملكه اليأس من فرط مراوغتهم تحايل حتى جمع عددا منهم فى منزله ، وأغلق الأبواب وأبقاهم فى منزله فى الأسر ثلاثة شهور اضطروا فى خلالها إلى أن يقدموا له بيانا دقيقا بما هو مربوط على البلاد من أنواع الأموال بلداً بلداً [١] .

ولكن استيف وأقرانه لم يلقوا من بعض شيوخ القاهرة ، وكبار أهل الديوان كل هذا الاعنات ، واستطاع لانكريه بفضلهم أن يضع مقالته فى نظام ضرائب الأرض الزراعية وحكومة بلاد الأرياف المنشورة فى كتاب وصف مصر [٢] ، كما استفاد منهم استيف فى تحرير مقالته المستفيضة فى مالية

---

(١) Estève : Compte rendu de l'administration des finances pendant l'etablissement des Français en Egypte. pp. 350-351.

مطبوع بلا تاريخ — (فى مخطوطات كلية الآداب).

(٢) فى المجلد الحادى عشر ص ٤٦١ الى ٥١٧ من القسم الخاص بالحالة الحاضرة من كتاب وصف مصر ، الطبعة الثانية ، باريس سنة ١٨٢٢ — وفى هذه المقالة سنحيل القارىء ، على تلك الطبعة وحدها .

مصر من الفتح العثمانى الى الفتح الفرنسى المنشورة فى نفس الكتاب [1].

وكان ممن أعان استيف بكل ما يعلم حسين أفندى من رجال الروزنامة — فأجاب على الأسئلة التى وجهها إليه، ونظم إجاباته فى ستة عشر بابا، وكان هذا فى ١٣ محرم سنة ١٢١٦ أو أواخر مايو سنة ١٨٠١ أى قرب انتهاء العهد الفرنسى.

وهاك بيان هذه الأبواب كما وردت فى الأصل :

الباب الأول : فى تعريف القاهرة (وبعبارة أصح باشوية مصر) ونظامها وأمرائها، الباب الثانى فى تعريف صناجق مصر وعدتهم وخدمتهم، الباب الثالث فى تعريف الأوجاقات السبعة وأسمائها، الباب الرابع فى تعريف الحكام القاطعين بالأحكام الشرعية مثل القاضى وغيره، الباب الخامس فى تعريف الأفندية وخدمتهم، الباب السادس فى تعريف الولايات وبلاد الأقاليم المصرية، الباب السابع فى تعريف التزام الملتزمين، الباب الثامن فى تعريف الأراضى ووضع يد الملوك عليها، الباب التاسع فى تعريف البلاد وضبط أطيانها حين تداولت هذه المملكة إلى السلطان سليم، الباب العاشر فى تعريف الميرى وتمكين الملتزم من الالتزام، الباب الحادى عشر فى تعريف تمكين الملتزمين فى الالتزام والفلاحين من الأراضى، الباب الثانى عشر فى تعريف مقدار الميرى إلى غاية تحرير حسن باشا كان قدره أى شىء، والآن قدره أى شىء، الباب الثالث عشر فى تعريف سبب ترتيب الميرى على البلاد وقدره، الباب الرابع عشر فى تعريف سبب ترتيب مصاريف الميرى، الباب الخامس عشر فى تعريف المواريث وما يخص بيت المال، الباب السادس عشر فى تعريف الأسئلة الآتى ذكرها فيه (وهى متنوعات أغلبها تاريخى).

---

(١) فى المجلد الثانى عشر ص ٤١ الى ٢٤٨ من نفس القسم من نفس الكتاب.
وقد لخص المقالتين إبراهيم بك زكى فى كتابه « الحالة المالية والتطور الحكومى فى عهدى الحملة الفرنساوية ومحمد على » المنشور فى القاهرة (بلا تاريخ). وقد رأى زكى بك استبعاد الجداول المطولة جدا التى وردت فى مقالة استيف، وهذا مما يؤسف له لأن تلك الجداول تصور الحالة المالية تصويراً تاماً. هذا وقد استخدم المقالتين سمو الامير عمر طوسون فى كتابه « مالية مصر من عهد الفراعنة إلى الآن » — الاسكندرية ١٣٥٠ / ١٩٣١

وتقع هذه الأبواب فى ٧٥ صفحة فى مجلد مخطوط بقلم معتاد محفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١١٥٢ فى فهرس التاريخ . وقد أخطأ محرر الفهرس فبدلا من أن يقول إنها الأجوبة التى أجاب بها حسين أفندى استيف خزينة دار الجمهورية وضع لفظة « أساقفة » بدلا من استيفو الموجود بالأصل . وقد بينا أرقام الصفحات الأصلية داخل أقواس . هذا وقد كتب على المجلد ما يفيد أنه اشترى من تركة المرحوم قدري باشا وأضيف فى ١٠ نوفمبر سنة ١٨٨٩ .

وينتسب حسين أفندى صاحب هذه الأجوبة إلى الروزنامة — وقد تولاها فعلا فى أيام الاحتلال الفرنسى دون أن يتلقب بلقب روزنامى مصر[1] . والروزنامى — كما قال حسين أفندى — يجب أن « يكون عاقلا مسلماً وهو وكيل عن السلطان فى الأموال الميرية . . . وهو الذى يرد المشورة على الباشاوات فى كامل الأمور الصالحة[2] » — وهو رئيس أفندية الروزنامة التى « رتبها السلطان سليم ترتيباً عظيما وجعلها من أسرار الملوك على سائر تعلقات الناس » ، وقد مكن السلطان الأفندية فى وظائفهم « ومن بعدهم فى ذرياتهم ومماليكهم إن كانوا يكونوا أهلا إلى صنعة الكتابة ، ولا يقع فيهم تغيير ولا تبديل إلا بالموت أو بخيانة ظاهرة ، وكل من مات منهم يدفع أتباعه الحلوان إلى نائب السلطان ويمكنون فى ذلك بالحلوان الذى يدفعونه »[3] . ووصفهم استيف فى مقالته فى مالية مصر بأنهم كانت لهم مكانة بين قومهم ، وأنهم بلغ بهم الحرص على سرية أعمالهم أن ابتدعوا خطاً لكتابة حسابهم لا يمكن لغيرهم قراءته[4] . ثم أضاف إلى ذلك أن الشرقيين كانوا يباهون بما أوتى أفندية الروزنامة من الاطلاع ولين الجانب . أما عن أصلهم فقد لاحظ استيف أن أكثرهم كان من المماليك ،

---

(١) Estève : " Compte rendu " cité, p. 354.

(٢) السؤال السادس من الباب السادس عشر .

(٣) السؤال التاسع عشر من الباب الخامس .

(٤) هو خط القرمة المشهور ، وصفه Deny بأنه :

" Sorte d'ecriture destinée aux mandarains de l'ancienne administration et dont le déchiffrement présente les difficultés. que l'on sait, pour ceux qui n'en ont pas la routine. " Deny : Sommaire des Archives turques du Caire . p. 33.

وأنهم كانوا عادة يعدون مماليكهم لتولى وظائفهم [1] . هذا وفى أكثر من موضع فى الجبرتى نجد ما يؤيد قول استيف عن اشتغال الأفندية بالعلم من معقول ومنقول .

يخطىء إذن من يتوهم أن الادارة العليا لمالية مصر كانت فى يد الأقباط ، والواقع — كما سنرى — أنه لم يكن بالروزنامة من غير المسلمين إلا ثلاثة صيارف من اليهود . ولم يأت اتصال الأقباط بالمالية إلا عن طريق اشتغالهم بالجباية فى بلاد الأرياف ، وبمباشرتهم لحصص الأمراء من المماليك ، وبالتزام موسريهم ببعض الاحتكارات الحكومية .

قلنا إن حسين أفندى تولى عمل روزنامى مصر أثناء الاحتلال الفرنسى ولكن يجب أن نضيف إلى ذلك أن الروزنامة — كما وصفها هو فى أجوبته — بطل عملها أثناء ذلك الاحتلال ، وقد عهد الفرنسيون ببعض اختصاصها إلى لجنة من خمسة كان أعضاؤها المصريون الشيخ المهدى وحسين أفندى والمعلم فلتاؤوس [2] .

ولا نستطيع الآن التحقق من تاريخ حسين أفندى بعد جلاء الفرنسيين عن مصر ، وليس لدى ما يثبت — أو ينفى — أنه هو نفس حسين أفندى الذى تقلد الروزنامة فى عهد محمد على ، ثم بلغ منصب الدفتردارية فى جمادى الثانية من سنة ١٢٢٢ ، ثم نقم عليه الباشا أموراً فأمر بضربه وتجريده من وظيفته وكان ذلك فى عام ١٢٢٨ [3] .

تحليل أجوبة حسين أفندى :

من يحقق النظر فى هذه الأجوبة ثم ينتقل لدرس مقالة استيف فى مالية مصر ولمطالعة الحوادث كما سجلها الجبرتى لا يمكنه إلا أن يلاحظ أن حسين أفندى إما أنه كان شديد الغفلة أو أنه تعمد فى وصفه أن ينحو نحو التقرير

(١) Estève : Memoire Sur les Finances de l'Egypte. p. 242.
وما ذكره عن اتخاذ الأفندية المماليك يرجع إلى ما لوحظ من ضعف تأصل نسل المماليك بمصر ، وهو مبحث من المباحث الهامة فى تاريخهم .

(٢) Estève : Compte rendu cité. p. 354.

(٣) الجبرتى فى حوادث ١٢٢٢ و ١٢٢٨ فى المجلد الرابع .

النظرى فقط، وذلك لأنه تجنب تفصيل الواقع تجنباً يكاد يكون تاما — اللهم إلا فى موضع أو موضعين اضطره السائل فيهما إلى أن يتحدث عن بعض ما أحدثه الأمراء المماليك فى أيامه من الحوادث، وبذلك لا نكاد نلمس فى أجوبته أى أثر لما كان سائداً من الاضطراب والعسف، من غصب الأقوياء وضياع الحقوق واختلال السجلات والمقاييس والسكة مما سنتبينه كله واضحاً عند ما نعرض فى مقالتنا الثانية لمقالة استيف فى مالية مصر.

لم يصدر هذا عن غفلة فحسين أفندى كان من رجال الروزنامة، وكان على رأسها أيام الفرنسيين فهو على تمام الاتصال بما هو واقع. إنما صدر هذا عن رغبته فى الاجابة على الأسئلة التى وجهت إليه بوصف ترتيب الديار المصرية كما رسمه السلاطين، وكما يجب أن يكون لا كما عبثت به حوادث الزمان.

ولهذا النحو من وصف النظم قيمته، إذ هو يدلنا من جهة على نوع الكمال الذى كان ينشده الواضعون، ويبعثنا — من جهة أخرى — على استقصاء أسباب قصور الناس عن بلوغه، أو بعبارة أخرى أسباب ابتعاد الواقعى عن القانونى. هذا إلى أن أجوبة حسين أفندى تصور لنا ما كان يعرفه أهل العلم عند نهاية العصر المملوكى العثمانى عن الأصول التاريخية لنظم ذلك العهد.

يعتقد حسين أفندى أن النظم التى وصفها كانت كلها مما رسم به السلطان سليم عند فتحه لمصر، ثم يقرر أن السلطان سليم فيما رسم من النظم الخاصة بحيازة الأرض الزراعية وربط الأموال لم يكن مبتدعاً بل كان مقرراً لحقوق وخطط ترجع لعهد قديم جداً، لعهد استوزار فرعون لسيدنا يوسف عليه السلام.

أما أن ترتيب الديار المصرية كما جاء فى أجوبته كان من رسم سليم أو أى سلطان آخر، فقد ثبت أن هذا لم يكن كذلك بل ثبت على العكس أن ظروف الأحوال كان لها فى إحداثه تأثير أكبر من تأثير التشريع السلطانى يتضح هذا أولا فى المجلد الخامس من تاريخ ابن أياس الذى نشر أخيراً (١)

(١) الجزء الخامس من كتاب بدائع الزهور فى وقائع الدهور تأليف محمد بن أحمد ابن إياس الحنفى. نشر الجمعية المستشرقين الالمانية باعتناء كاله ومحمد مصطفى وموريس سوبرنهايم فى استانبول سنة ١٩٣٢

والذى يتناول الكلام على عهد نيابة خاير بك ، وهو أول من تولى النيابة عن السلطان العثمانى فى إدارة شؤون مصر . وتجد فى هذا الكتاب خاير بك يعالج المسائل بقدر جهده طبقاً لقواعد سياسية أساسية لا طبقاً لنظام موضوع . ويتضح هذا ثانياً فى بحوث العلامة سلفستر دى ساسى — فى تاريخ تطور حق ملكية الأرض الزراعية فى مصر — التى أعيد طبعها فى أيامنا فأصبحت بذلك أقرب منالا مما كانت[1] . وقد استطاع سلفستر دي ساسى أن يثبت بواسطة تحليل بعض الوثائق فساد ما زعمه بعض الباحثين من أن رعايا الدول الشرقية الاستبدادية ليست لهم حقوق مدنية . كما استطاع أن يكشف لنا عن جانب من ذلك التطور فى النظم الذى أشرنا إليه ، وإن كان كشفه هذا غير متصل الحلقات . ومهما يكن فقد أرشد الباحثين إلى الطريقة المثلى فى دراسة هذا الموضوع : وهى الطريقة التى تقوم على قاعدتين : الأولى تحليل وثائق أصلية من عصور مختلفة (وقد فعل نفسه ذلك)، الثانية موازنة ما حدث فى مصر بما حدث فى ممالك ظروفها مماثلة لظروف مصر كبعض ولايات الأمبراطورية الهندية مثلا (وقد نبه إلى ما فى هذه الموازنة من نفع).

وأما ما ذهب إليه حسين أفندى عن تأصل القواعد التى قامت عليها السياسة المالية والإدارية فى هذه البلاد — وقد عبر عن هذا التأصل بنسبتها لعهد وزارة سيدنا يوسف — فأمر يقره عليه البحث الصحيح . إذ أن هذه القواعد كانت مما يمليه واقع الحال وظروف الحياة المصرية فى مختلف العصور .

وبعد فآخر ما نختم به هذا التحليل هو أن نشير إلى أن شقاء المصريين فى العهد المملوكي العثمانى يجعلنا ننسى حقيقة هامة هى أن من السلاطين والعظماء من كان راغباً أصدق رغبة فى إحقاق الحق وفعل الخير وتثبيت العدل . وقد قال حسين أفندى فى آخر كلامه عند ما سئل عن انتفاع السلطان بملك مصر أن هذه المملكة جميعها ملكه وأنه لا ينظر إلى الانتفاع منها بل رتب مصرفها على قدر جبايتها وقرر أن ما فاض من الجباية يبقى لينفق منه فى عمارتها وما ينعم به على الناس .

---

(1) Bibliothèque des Arabisants Français : Première Serie : Silvestre de Sacy. 2 tomes. Publications de l' Institut français d'Archéologie Orientale. Le Caire 1923. tome II pp. 1—278.

مذكرة بالمراجع التي استعنا بها في التعليق على الأجوبة

1.— *Estève* : Mémoire sur les finances de l'Egypte, depuis sa conquête par le Sultan Selym 1[er] jusqu' à celle du général en chef Bonaparte, par M. le comte Estève, trésorier général de la Couronne, officier de la Légion d'Honneur, ex-directeur général des revenus publics de l'Egypte.

Description de l'Egypte. Etat moderne 2[e]. edition. Paris 1822. tome. 12. pp. 41—248.

2.—*Estève* : Compte rendu de l'Administration des finances pendant l'etablissement des Français en Egypte.

بلا تاريخ (محفوظات كلية الآداب) .

3.—*Lancret* : Mémoire sur le Système d'imposition territoriale et sur l'administration des Provinces de l'Egypte, dans, les dernières années du gouvernement des Mamlouks.

Description de l'Egypte. Etat Moderne. 2[e] . éd. tome II. pp. 461—571.

توفى لانكريه فى عام ١٨٠٧ قبل نشر مقالته وبهذا لم يتمكن من مراجعتها .

4.—*Deny* : Sommaire des Archives turques du Caire. Le Caire 1930.

هذا وقد استعنا أيضاً ببعض مقالات أخرى فى كتاب وصف مصر وقد بيناها فى مواضعها .

٥ — الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار . الطبعة غير الأميرية . ولكننا نحيل دائماً على السنين ورقم المجلد .

وقد استعنا أيضاً بصبح الأعشى للقلقشندى (طبعة دار الكتب المصرية) والجزء الخامس من تاريخ ابن اياس (طبعة كاله وزميليه) وبحوث سلفستر دى ساسى التى أعاد نشرها المعهد الفرنسى للآثار الشرقية .

[١] هذا بيان الأجوبة عن السؤالات التى سأل عنها حضرة استيفو — خرينة دار الجمهور الفرنساوى — عن القاهرة وترتيبها ونظامها من حسين أفندى ، فأجابه عنها بما فتح الله سبحانه وتعالى عليه لا بقوة فهمه ، وأجابه بالانكسار ، وهذه السؤالات والأجوبة مرتبة على الأبواب الآتى ذكرها فيه ، وحرر ذلك فى ١٣ محرم افتتاح سنة ١٢١٦

الباب الأول

فى تعريف ترتيب القاهرة ونظامها وأمرائها

السؤال الأول

عن نظام مصر حين دخل السلطان سليم : كيف كان نظامها ؟ فأجابه المذكور عن ذلك . حين دخل السلطان سليم وملك مصر ورتبها بترتيب عظيم وأبقى جميع الناس على ماهم عليه ورفع عنهم المظالم والحوادث التى كانت ابتدعتها دولة الجراكسة والترانيب [٢] التى رتبها ويأتى ذكرهم فيما بعد ، وحين أراد التوجه من مصر أقام وكيلا عنه يحكم فى القاهرة المذكورة .

السؤال الثانى

عن الوكيل الذى أقامه ، فأجابه المذكور : إن الوكيل هو الباشا الذى يحضر الى مصر فى كل سنة[1] من اسلامبول ، وهو الحاكم فيها بسائر الأحكام وأذن له بالختم والعلامة على جميع التمكينات التى يقع فيها التغيير بالبيع

(١) يجب ألا يفهم من قوله هذا أن الباشا الواحد لا يقيم فى ولايته إلا سنة واحدة ، والحقيقة أن الباشا كان يعين لسنة واحدة قابلة للتجديد . ولكن ما جرى على الباشوات من العزل والنقل جعل متوسط مدة إقامة الواحد منهم فى باشوية مصر نحو سنتين . تجد ثبت أسماء الباشوات من الفتح العثمانى فى آخر الجزء الثالث من Précis de l'Histoire d'Egypte الذى ألفته لجنة المؤرخين والأثريين ونشرته الجمعية الجغرافية الملكية بالقاهرة .

هذا وينبغى ألا يخلط بين لقب باشا القاهرة أو مصر ولقب « والى » فان الوالى فى ذلك العهد كان يطلق عادة على رجل وظيفته صيانة الامن فى المدينة وما يتعلق بذلك فهو شبيه بحكمدار البوليس فى أيامنا .

والشراء [١] ورتب له جنودا وكتخدا ومهرداراً وخزنداراً وترجماناً ذا فهم وفصاحة ورئيس ديوان وأغاوات، وجعل مسكنه بالسرايا التى هى داخل قلعة مصر [ورتب له أيضاً] ديوان أفندى [٢].

السؤال الثالث

من أين كان إيراد الباشا وعوائده، فأجابه المذكور أن حضرة السلطان سليم رتب له إيراداً وعوائد معلومة على أصناف البهار فى كل فرق [٣] بن أربعمائة فضة، وعوائد على الأمراء والصناجق وقت تلبيسهم، وعلى كشاف الولايات وقت توليتهم وعلى الجمارك مثل ديوان اسكندرية ورشيد ودمياط وبولاق ومصر القديمة، وعوائد على أمين البحرين وأمين الخردة وعلى الضربخانة وعلى أرباب المناصب، وجعل [له] حلوان بلاد الأموات، وربط عليها أموالا أميرية فى كل سنة تدفع إلى ديوان السلطان، وقدرها خمسمائة وستة وخمسون كيسا مصرياً [٣].

---

(١) « التمكينات » من أهم اصطلاحات ذلك العصر. فلا بد من « تمكين » قديم أو جديد، واقعى أو وهمى لاكتساب حق أو الانتفاع بحق. ومن أهم التمكينات إذ ذاك « التقاسيط » التى يصدرها الباشا للملتزمين ويتمكنون بواسطتها من حصص التزامهم.

(٢) الكتخدا هو الوكيل عن الباشا، والمهردار أمين خاتمه، والخزينة دار أمين صندوقه والترجمان معناه واضح. أما رئيس الديوان فليس فى المراجع العربية ما يدل على أمره، وقد بين حسين أفندى فى إجابته على السؤال التاسع من الباب الأول ما يدل على أنه قد يكون من رجال والى القاهرة. والاغاوات هنا الرجال من جند وموسيقيين ورسل فى معية الباشا. وديوان أفندى (وصحتها ديوان أفنديسى) سكرتير الديوان أو رئيس كتابه. وهؤلاء الموظفون يكونون شبه مكتب الباشا. وسيأتى ذكر غيرهم من أصحاب الوظائف ممن لم تكن لهم نفس العلاقة بالباشا.

(٣) لفهم الاجابة على هذا السؤال وعلى الأسئلة المماثلة له يجب أن نذكر أن صاحب المنصب فى النظام المملوكى العثمانى يختلف عن موظف الحكومة فى وقتنا الحاضر فيما يأتى:

أولا: تقلد الوظائف عن طريق الوراثة كوظائف الروزنامة مثلا فيتقلد الشخص وظيفة مورثه بدفع الحلوان وهو الرسم الذى تتقاضاه الحكومة لنقل حق أو منفعة من شخص الى آخر.

ثانياً: تقلد الوظائف عن طريق الشراء كباشوية مصر أو رياسة قضائها.

ثالثاً: إن الحكومة إذ ذاك كانت قد لا تدفع للموظف مرتباً ثابتا شاملا كما هو =

من أين كان إيراد كتخدا المذكور (أى كتخدا الباشا) فأجابه أن عوائده كانت على الجهات المذكورة قبله بحسب مقامه [1] .

= الحال الآن بل ترتب له عوائد على أبواب مختلفة من دخلها أو تعطيه حق فرض رسوم يجبيها لنفسه على أصحاب المصالح الذين ينجز لهم عملا وهكذا أو قد تدفع له مرتبا وتبيح له أن يضيف إليه عوائد تقررها له .

رابعاً : إن الحكومة إذاك كانت تفرض على بعض أصحاب المناصب أن يؤدوا لها مالا سنويا نظير تمتعهم بعوائد مناصبهم ، وهذا المال هو الذى نسميه « ميرى الوظائف » وقد سماه استيف فى مقالته فى مالية مصر Impôts sur les Charges

ولنشرح الآن عوائد الباشا الواردة هنا .

فى كل فرق بن أربعمائة فضة : أى على كل فرق بن مستورد والفرق زنبيل يسع نحو $3\frac{1}{2}$ قنطاراً من البن — والفضة كانت مسكوكات دقيقة من الفضة والنحاس يطلق على الواحدة منها اسم « نصف » أو « نصف فضة » وهى المعروفة باسم الميدى . والميدى تحريف « لمؤيدى » . وقد تقرر فى أيام الاحتلال الفرنسى أن تصرف كل ١٠٠٠ نصف فضة ب ٣٥ فرنكا و ٢١ سنتيما — وكانت العملة الذهبية الزر محبوب ، والمحبوب يساوى إذ ذاك ١٨٠ فضة — وكانت المبالغ الكبيرة تقدر إذ ذاك بالأكياس — والكيس المصرى يطلق على مبلغ قدره ٢٥٠٠٠ نصف — راجع مقالة Samuel Bernard عن النقود المصرية فى الجزء السادس عشر من كتاب وصف مصر الصفحات ٢٩٣، ٣١٣، ٤٢٢٠٤٢

وعوائد على الصناجق وقف تلبيسهم . أى عندما يلبسهم فروة أو قفطان المناصب التى يعينون لها يتقاضى منهم عدائد — ديوان الاسكندرية الخ اى جمركها — وسنشرح أمين البحرين وأمين الخردة فى موضوعهما .

أما حلوان بلاد الأموات . فمعناه أن حصص الالتزام التى يموت ملتزموها (فتصبح بذلك بلاد أموات) يستطيع ورثة هؤلاء الملتزمين نقلها إلى أنفسهم بشرط تأدية الحلوان — فهو فى هذه الحالة بمثابة رسم تسجيل مقداره ثلاثة أمثال فائض الملتزم . وقد نزل السلطان للباشا عن هذا المورد .

اما الجملة الاخيرة من الاجابة وربط عليها فليست واضحة — وقد ظننت أنه قد يكون وضع عليها بدلا من عليه ، ويقصد من ذلك ان الباشا يؤدى للدولة ميريا عن وظيفته قدره ٥٥٦ كيساً ولكن هذا المبلغ يزيد كثيراً على مبلغ ١,٦٢٥,٠٠٠ نصفاً الذى قرر استيف فى مقالته فى ص ١٠٩ أنها كانت الميرى الذى يؤديه الباشا للسلطان عن وظيفته .

هذا وقد أجمل استيف فى مقالته فى ص ١١١ ذكر العوائد المقررة للباشا فى مالا يخرج عن إجابة حسين أفندى .

[1] أى ان عوائد الكتخدا هى على نفس الجهات المقررة عليها عوائد الباشا . ولكن بمقدار أقل ، وليس فى مقالة استيف بيان عن دخل الكتخدا .

السؤال الخامس

من أين كانت عوائد المهردار ، فأجابه أن عوائد المهردار مرتبة على أصحاب التمكينات مثل التقاسيط والفرامانات والتذاكر الديوانية التي تختم بختم وكيل السلطان وهو [٤] الباشا [1] .

السؤال السادس

من أين كانت عوائد الخزينة [دار] فأجابه أن عوائدها [عوائده] مرتبة على الأمراء والكشاف حين توليتهم ، وعلى أرباب المناصب التي سبق ذكرها بحسب مقامهم بموجب تعريف الخزينة دار القديم إلي الجديد في كل سنة [2] .

السؤال السابع

من أين كانت عوائد الترجمان وخدمته ، فأجابه أن الترجمان خدمته الوقوف فى كل ديوان لأجل تعريف الكلام بكل لسان ، وعوائده على جانب كشاف الولايات ، وعلى الباشا له عوائد يقال لها ترقى ، وله خرج فى كل يوم لحم وأرز وغيره .

---

(١) أى يتقاضى المهر دار عوائد من كل من استصدر من الباشا تمكيناً ما مختوما بخاتم الباشا . كالتقسيط الذى يمكن الملتزم من حصة التزامه ، والفرامانات الجمع العربى لفرمان ، ويجب أن تقصر على ماصدر من السلطان نفسه وإن كان حسين أفندى لم يراع هذا — والتذاكر الديوانية اصطلاح يرجع عهده بنفس الاستعمال لما قبل الفتح العثمانى وقد عرف القلقشندى (فى صبح الاعشى الجزء ١٣ ص ٧٩) التذكرة بأنها تضمن جمل الاموال التى يسافر بها [أى التذكرة] الرسول ليعود اليها إن أغفل شيئاً منها أو نسيه ، أو تكون حجة له فيما يورده ويصدره . وسنرى فيما بعد أن تحصيل الأموال الأميرية كان موكولا إلى أوجاق الجاويشية ، فكانت تعطى لهم التذاكر بجمل الأموال التى يكلفون جمعها .

هذا وليس فى مقالة استيف بيان عوائد المهردار .

(٢) ليس فى الاصل إلا « الخزينة » فقط ، وقد فضلنا إضافة دار كما يتطلب سياق الأسئلة .

السؤال الثامن

من أين كانت عوائد ديوان أفندى ، فأجابه أن عوائده مرتبة على أصحاب التمكينات مثل التقاسيط والفرمانات والتذاكر الديوانية التى يقع فيها [٥] التغيير والتبديل بالبيع والشراء والحلوان الذى يعلم عليه بعلامته ، وله خرج على الباشا فى كل يوم .

السؤال التاسع

ما معنى رئيس الديوان وخدمته وعوائده ، فأجابه أن رئيس الديوان هو مأمور بقتل الذى يستحق القتل ، وعوائده مرتبة على الباشا ، وله ما على المقتول من ملبوس وغيره .

السؤال العاشر

من الأغاوات وخدمتهم ، فأجابه أن الأغاوات منهم الجاويشية والمهاترة الذين يضربون النوبة فى كل وقت ، وباقى الأغوات الذين هم مقيمون بخدمة الباشا ودائما ملازمون له ويركبون معه أينما توجه ، وجمكيتهم على طرف الباشا (١) .

الباب الثانى

فى تعريف صناجق مصر وعدتهم وخدمتهم ، فأجابه [٦] المذكور أن السلطان سليم رتب بالقاهرة أربعة وعشرين صنجقا طبل خانه ، منهم كتخداء الوزير ، وقبودان اسكندرية وقبودان دمياط وقبودان السويس كانوا يحضرون من اسلامبول وباقى العشرين صنجقاً من مصر (٢) .

---

(١) المهاترة جمع مهتر [تركية] وهو رجل الموسيقى ، ويضربون النوبة أى يعزفون على آلاتهم الموسيقية فى أوقات معينة كعند غروب الشمس مثلا — والجامكية أو الجمكية من الفارسية جامكى وأصلها مرتب يصرف لشراء ملبس — وفى الاصطلاح العثمانى المملوكى مرتب جنود .

(٢) صنجق من التركية سنجاق وهى العلم والقسم من ولاية كبيرة ، والحاكم على قسم من ولاية وقد تكون الصنجقية أيضا مجرد رتبة « وصنجق طبل خانة » يجمع بين مصطلحين : مصطلح عثمانى ومصطلح مملوكى . فبعض الأمراء فى دولة المماليك كانوا =

السؤال الأول

عن كتخدا الوزير وخدمته ، فأجابه أنه يكون ملازما لحضرة الباشا ، ومقيما بصحبته بالسرايا ، وهو الوكيل عنه فى كل الأمور ، وعليه القيام بالحضور فى كل ديوان واستقبال الدعاوى وغيره ، ويجب عليه أن يعرض جميع الأمور على الباشا فجميع ما أمره به يفعله والذى لم يأمره به لم يفعله .

السؤال الثانى

عن القباطين وخدمتهم ، فأجابه أن القباطين أربعة قبودان اسكندرية ودمياط ورشيد والسويس ، وخدمتهم حفظ القلاع وربط البنادر المذكورة والحكم بين الرعايا بالعدل والشفقة ، وعوائدهم على طرف الميرى من أصل [٧] السليانات المرتبة ، وعلى جانب التجارات المحضرة بالبنادر [1] .

السؤال الثالث

عن أمير الحاج وخدمته ، فأجابه أن أمير الحاج من صناجق مصر وخدمته التوجه بقافلة الحاج وحفظها صرة الحرمين ودفع أذية العرب عن الحجاج إما بمعروف وإما بحرب ، وعليه القيام بدفع عوائد العرب التى رتبها لهم السلطان سليم ، والعوائد التى لها [لهم هى] جانب على طرف الميرى وقدرها [وقدره] أربعمائة كيس مصرى ، وجانب مستجد على طرف الدولة العلية ، يخصم من أصل خزينته [خزينة السلطان] وقدره أربعمائة

= أمراء طبلخانة أى يكسبهم مقامهم أن تدق لهم الطبول وغيرها من الآلات الموسيقية التى تتكون منها طبلخانة السلطان . راجع Gaudefory - Demombynes فى ص ٣٨ من مقدمته لكتابه La Syrie à l'Epoque des Mameloukes d'après les Auteurs Arabes. Paris 1923.

عدد الصناجق . لم يكن عددهم فى الواقع دائما أربعة وعشرين . وقد احتفظت حكومة الدولة لنفسها بتعيين صناجق الثغور الثلاثة المهمة الاسكندرية ودمياط والسويس ، وكذلك كتخداء الوزير أو الباشا .

أما التعيين للصنجقيات الباقية فكان يحدث فى مصر نفسها تبعا لقوة المتنافسين عليها . فكان الرجل ذو النفوذ يسعى لأن يجعل الصناجق من تابعيه أو مماليكه وهكذا .

(١) السليانات جمع عربى للكلمة الفارسية سالیانة وتفيد المرتب السنوى .

كيس مصرى ، ورتب له السلطان سليم بلاد وقف لكل من كان أمير الحاج لأجل إعانته على ذلك [1] .

السؤال الرابع

عن الدفتردار وخدمته ، فأجابه أن عليه حضوره فى كل ديوان لتحصيل الأموال الميرية بموجب دفتر الروزنامجى ، وله عوائد على طرف الميرى من أصل السليانات ، وعلى طرف [٨] الباشا ، وعلى حلوان بلاد الأموات عن كل كيس حلوان ألف فضة ، وله فراوى على الباشا فى أربعة أوقات ، حين قدومه وحين عزله ، وفى وقت تحصيل مال الصرة الشريفة ، وفى وقت تشهيل الخزنة ، وفروة على أمير الحاج وقت التسليم [2] .

السؤال الخامس

عن صنجق الخزنة وخدمته ، فأجابه أن عليه التوجه بالقافلة إلى اسلامبول وحفظ مال خزينة الملك ، وعوائده حين توجهه من مصر على طرف الباشا ، وحين وصوله إلى اسلامبول له على الملك انعام صرر نقدية وفراوى سمور ، وخلع مفتخرة فى وقت المقابلة [3] .

---

(١) الخزينة أو الخزنة فى الاصطلاح العثمانى المملوكى هى مقدار ما يبقى مما يجبى من مصر بعد انفاق كل ما قرر السلطان انفاقه ويرسل هذا الباقى لعاصمة الدولة ، ولم يكن مقداره ثابتا ؛ فان الحكومة العثمانية كانت تأمر أحيانا بأن تخصم منه نفقة إضافية (كالزيادة التى يذكرها حسين أفندى هنا فى مقررات الحج والحرمين) وأحيانا كان الباشا يخصم من الخزنة لتسديد عجز فى الابواب المقررة أو لمواجهة طلب استثنائى وهكذا .

(٢) أى وقت تسليم أمير الحج الصرة .

(٣) شرحنا معنى الخزنة ، وكانت ترسل فى احتفال كبير — وقد بينا أن الباشا كان له أن يخصم منها بشرط اقرار الحكومة العثمانية لما يفعل — وفى الايام السابقة للفتح الفرنسى أدى غصب المماليك إلى مدم أيديهم للأموال المقررة للحرمين . وإلى خزينة السلطان نفسها ، فكانوا يرسلونها أولا يرسلونها على حسب أهوائهم معتذرين بأعذار مختلفة . وقال الجبرتى فى ترجمته للأمير قاسم أبى سيف فى وفيات ١٢١٧ هـ (الجزء الثالث) انه كان مملوك عثمان بك ابى سيف الذى سافر بالخزينة ، ومات بالروم وذلك سنة ١١٨٠ هـ وأضاف « وهى آخر خزينة رأيناها سافرت إلى اسلامبول على الوضع القديم » .

السؤال السادس

عن الصناجق حكام الولايات وعن عدتهم وخدمتهم ، فأجابه أنهم خمسة حاكم جرجا والشرقية والغربية والمنوفية والبحيرة ، وأن خدمتهم حفظ الجسور السلطانى [السلطانية] ورى [٩] البلاد ، ودفع الضرر عن الفلاحين من العرب وغيرهم ، والحكم بينهم بالشفقة والرأفة ، وعوائدهم على طرف البلاد حكم ما رتبه السلطان فى المخرجات يأخذونه ويدفعون منه الميرى الذى عليهم والباقى يكون لهم ، ولم يقدروا يحضروا بمصر حتى يحضروا معهم حجة أشهاد من قاضى الولاية وأعيانها وحفظ [بحفظ] الجسور ورى البلاد والحكم بالعدل بين العباد (١) .

السؤال السابع

عن باقى الصناجق : فأجابه هم الخفر بالقاهرة ، أن فى كل شهر الخفر على اثنين واحد جهة القبة والثانى فى جهة مصر القديمة ، وأن يركبوا فى كل يوم فى فجر النهار ، ويدوروا حول القاهرة ، ويتبصروا على العرب القشاطة ، وأولاد الزنا ، ومأذونون بقتل من يقع فى أيديهم من أولاد الحرام ، وعوائدهم على جانب الميرى من أصل سليانات وموجبات العساكر ، ومن بلادهم التى مكنهم فيها السلطان .

---

(١) يضاف الى هؤلاء الخمسة حكام بقية الأقاليم الذين لم يبلغوا بعد رتبة الصنجقية ، ويطلق عليهم اسم كشاف — أما الصناجق الخمسة فأهمهم صنجق جرجا ، وقد أفرد له المسيو كمب فصلا خاصا فيما كتب عن مصر العثمانية فى الجزء الثالث من المجمل فى تاريخ مصر قال :

Eloigné du gouvernement central à la tête d'une province énorme. qui comprenait la plus grande partie de la haute Egypte et la surveillance des oasis et des nombreuses tribus de Bédouins. ce kâshif avait une clientèle nombreuse. C'est vers lui aussi que se réfugieront souvent les officiers en disgrâce au Caire. ce qui donnera plus de poids encore à son autorité et plus d'envergure à ses prétentions. Precis de l'Histoire d'Egypte. t. III. p. 75.

أما عن عوائد حكام المديريات من صناجق وكشاف — كان أهم مالهم مال الكشوفية المقرر على الأراضى الزراعية . والكشوفية كانت قديمة وجديدة ، ويتكون كل منها من مفردات مقررة راجع مقادير هذه فى مقالة استيف ص ٥٦ ، وكان على الصناجق والكشاف مال ميرى يؤدونه للحكومة نظير وظائفهم سنبينه فيما بعد

الباب الثالث

[١٠] فى ترتيب الأوجاقات السبعة وأسمائهم ، وهم متفرقة وجاوشا (ن) ، وجمليان وتفكشيان وجراكسة ومستحفظان وعزبان ، وهم أصحاب الكلام وعليهم الاعتماد ، وهم المديرون بالقاهرة[1] .

السؤال الأول

عن أوجاق متفرقة وخدمته ، فأجابه أن فى الأوجاق أغا وباش اختيار وكاتب واختيارية ، وهم من أرباب الديوان العمومى وخدمتهم حفظ القلاع الخارجة عن مصر من جهة الشرق مثل العريش وغيره ، ومن جهة البحرى مثل الاسكندرية ودمياط وأبو قير ، ومن جهة الوجه القبلى مثل أسوان وأبريم وغيره ، وللقلاع المذكورة أنفار معلومة ، ولهم جمكية مرتبة على طرف الميرى ، وجعل فى الأوجاق المذكور معمار باشا يحكم على المهندسين والبنايين وسائر ما يتعلق بالعمارة ، وله عليهم عوائد معلومة .

ومنهم قافله باشا وخدمته تشهيل القوافل [١١] ويطلب منه العربان لحمل الأحمال وله عوائد على البن فى كل فرق ربع ريال مصرى ، وله عوائد من أصل محصول الأوجاق ، ومنهم الجبجى وهو الحاكم على البارودية ،

---

(١) الأوجاقات السبعة وهى العنصر الفعال فى حكومة مصر كما سنرى بعد قليل . والأوجاق [وفى الاستعمال العربى الوجاق] فى الأصل الموقدة ، وأطلق على الطائفة من الجند . والنسبة إليها أوجاقلو [وفى الاستعمال العربى ، وجاقلى وكانوا يجمعونها على وجاقلية] .

والمتفرقة فى الأصل التركى القديم كانوا أصحاب نوع من الاقطاعات — زعامت متفرقة .

والجاوشان . جمع فارسي للكلمة التركية چاوش ، وهو فى الأصل يطلق على أنواع مختلفة من الجند منهم الرسل .

جمليان . وهو تحريف لجنليان جمع فارسى لتركية جنلو نوع من الفرسان (راجع كتاب (Deny) فى ص ٢٧ هامش ١) تفكشيان . وهو تحريف لتفنكجيان ومفردة تفنكجى وهو الجندى المسلح بالبندقية ، والجراكسة معروفون ، والمستحفظان يقصد بهم الجند الينكيجرى المشهورين أو الانكشارية كما فى العربية ، والعزبان أو بالتركية عزبلو طائفة كانوا فى الأصل من جند البحر ، هذا وسنحتفظ فى هذه المقالة بهذه الجموع الشائعة .

وعليه القيام بتحصيل بارود السلطنة المقررة على بلاد معلومة لأجل حفظ القلاع ، وله عوائد على طرف الميرى مرتبة من أصل المصاريف الميرية ، وأما باقى الاختيارية والأغاوات وغيرهم لابد أن يحضروا فى كل ديوان ، وعوائدهم على طرف الميرى من أصل جمكية العساكر ومن مصاريف الميرى ، وعلى طرف الباشا [1] .

(1) الرياسة فى الأوجاقات : اختيارية الأوجاق هم المسنون من رجاله ، وأقدمهم الباش الاختيار ، وفى كل أوجاق أغاوات وهم ضباطه ، وقد يكون له كتخدا أو وكيل وكاتب وهكذا — ويلاحظ أيضاً أن لفظ «باش» ومنه «باشى» التى ترد فى الكثير من الألقاب المركبة لا علاقة لها بلقب باشا المعروف فهى من التركية « باش » التى معناها رأس ، وفى الاستعمال العربى قد تكتب باش أو باشه .

أما عن الديوان الذى على أصحاب الرياسة فى الأوجاقات حضوره فله معنيان . يفيد أولا معنى الديوان الثابت ، ويفيد ثانيا مجرد اجتماع هذا الديوان الثابت . والديوان الثابت الذى كان لباشا مصر لم تكن العضوية فيه مقررة بالتحديد كما هو الحال فى بارلمان حديث مثلا . بل كان المفروض أن يحضره الصناجق وضباط الأوجاقات وكبار أصحاب الوظائف والعلماء وكبار التجار وهكذا . والمفروض أن يجمعه الباشا لكل أمر مهم ، ومن العبث أن نوازن بين هذا المجلس وأشباهه فى مصر حيث مرد كل شىء كان للقوة وبين البارلمان الحديث فى أمة حكمها دستورى صحيح . هذا وكانوا يميزون إذ ذاك بين ديوانين : الديوان الخصوصى والديوان العمومى ، والأول تغلب عليه الصفة التنفيذية والآخر صفة تداول الرأى .

وقال استيف فى مقالته فى مالية مصر (ص ١١٥) أن أغاوات القلاع لهم مرتبات ثابتة ولهم فى الوقت نفسه أيضا عوائد على ما يباع فى منطقة حكمهم من المأكول وغيره .

أما عن المعمارجى باشى فقد قال استيف (ص ١١٣) أنه يتقاضى من العمال (أو من مباشرهم) فى كل عمارة من العمارات السلطانية التى يشرف عليها محبوبا واحداً (أو ١٨٠ فضة) يوميا .

وعن القافلة باشى فقد قال استيف (ص ١١٣) أنه يتقاضى من كل قافلة يسيرها عوائد (ولم يحدد قدرها) ، وكذلك له ربع ريال (الريال يساوى ٩٠ فضة وقد بلغ ما يقرب من ١٦٠ قبيل الاحتلال الفرنسى) عن كل فرق بن ينقل من السويس الى القاهرة .

الجبه جى باشى ويشرف على صناعة البارود ، وكان يستخرج إذ ذاك من الكيمان المتخلفة عن المدن والقرى المتخربة وبخاصة من بلدى منية كنانة وشلقان بمديرية القليوبية ، وقال استيف (ص ١١٣) أن ما يقدمه الجبه جى باشى من البارود يخصم له ثمنه من مصروف الحكومة إلا ما يقدمه للالعاب النارية فى بعض المناسبات كسفر المحمل والخزنة ومقدم الباشا .

عن أوجاق جاوشان وخدمتهم وأنفارهم ، فأجابه أنهم من أرباب الديوان العمومى ، ومنهم كتخداجاوشان وأمين الشون ومحتسب واختيارية . وخدمتهم أن يحضروا فى كل ديوان لتحصيل الأموال الميرية ، وكتخداجاوشان عوائده على طرف حكام الولايات ، وعلى حلوان [١٢] بلاد الأموات على كل كيس مصرى ألف فضة ، وله عوائد على جانب الموجبات ، وعوائد على طرف الباشا ، وعليه ميرى يدفعه إلى ديوان السلطان فى كل سنة ، وأمين الشون عوائده على غلال الميرى وعليه ميرى يدفعه إلى ديوان السلطان ، والمحتسب عوائده على المسببين (المتسببين) الذين لم يضبطوا الميزان وعليه ميرى يدفعه إلى ديوان السلطان ، وباقى الاختيارية والجاوشية وعوائدهم على طرف الميرى مثل تذاكر جاوشية ، ومن موجبات العساكر وعوائدهم على طرف الباشا [1] .

---

(١) عوائد كتخدا جاوشان على حلوان بلاد الأموات تعادل بذلك عوائد الدفتردار عليها .

أما أمين الشون — وينتسب إلى أوجاق الجاوشان — ويطلق أيضا عليه اسم أمين الأنبار فيشرف على شون الغلال الأميرية ، وتتضح لنا أهميتها إذا ذكرنا أن الجزء الأكبر من أرض الصعيد كان يجبى ماله غلالا — وقد قال استيف فى مقالته فى ص ١١٤ إنه كان له عوائد من نقد وغلال على كل ملتزم يؤدى المال غلالا هذا إلى انه كان مسموحا له بأن يستعمل عند صرف الغلال من الشون لمستحقيها كيلا أصغر من الكيل الذى يستعمله عند الاستلام من دافعى الضرائب (والفرق بين الكيلين له) .

والمحتسب أيضا من الجاوشية أى لم يكن من المتفقهين فى الدين كما هو الأصل فى الحسبة — ومهمته ضبط الأسواق ، وفى هذا أيضا تضييق لمعنى الحسبة الأصلية .

أما تذاكر جاوشية فقد شرحها استيف فى مقالته فى ص ٥٧ ، ٥٨ فقال بأنها مال فرضه السلطان على البلاد لاجل وجاقلية الجاويشية المكلفين بملاحظة جمع الأموال الأميرية ، وقال إنهم كانوا يجمعون ذلك المال بأنفسهم ، ولكن لما ضعف أمر الوجاقات عجز الجاوشية عن قبض مالهم فأصدر الباشا فرمانا بأن هذا المال يجب أن يجمع مع المال الاميرى فى وقت واحد لحساب الجاوشية وقد بين استيف فى ص ٥٦ مقدار هذا المال .

أما الموجبات فلفظ عام لما أوجب السلطان على نفسه صرفه من جباية مصر ، وموجبات العساكر هى مرتباتهم الثابتة فى ميزانية مصر .

السؤال الثالث

عن الأوجاقات الأسباهية وخدمتهم ، فأجابه أن الأوجاقات المذكورة ثلاثة ، وهم جمليان وتفكشيان وجراكسة ، وخدمتهم فى الولايات وأن يكونوا معينين إلى الحكام وحفظ الجسور السلطانى ، وأما كبراء الأوجاقات المذكورة مثل باش چاويش والأغا والچوربجية والأنفار [١٣] وأصحاب الخدم فيكونوا مقيمين بالقاهرة حفظا لهما من الباشا والأمراء ، وعوائدهم على طرف البلاد التى مرتبة بالمخرجات وهى أوراق خدم العسكر ، ولهم عوائد على طرف الميرى من داخل موجبات العساكر ، ولهم عوائد على طرف الباشا ، ولهم بلدان وقف وهما ناحية البدرشين وما معها وناحية الشنباب بولاية الجيزة سوية بينهم ، وأن الأوجاقات المذكورة وهم الضبطجية والنظار على حكام الولايات ، وأن حكام الولايات لم يقدروا يحكموا بشىء فى الولايات إلا باطلاع الچوربجيــة والمتوليــة الذين ينزلون فى الولايات المذكورة (١) .

السؤال الرابع

عن أوجاق الإنكشارية وخدمته ، فأجابه أن الأوجاق المذكور أوجاق السلطان ، منهم الأغا حاكم بمصر وسيفه مطلوق ، ومنهم كتخداء الوقت وهو المتكلم بمصر ، ومنهم سردار الحج والخزنة والكواخى الاختيارية

---

(١) مهمة هذه الاوجاقات الثلاثة — وقد أطلق عليها جميعا اسم الاسباهية أو الخيالة — إذن مهمة إشراف تام : فى القاهرة على الباشا ورجاله بواسطة كبراء الاوجاقات المقيمين فيها ؛ وفى الاقاليم بواسطة من يقيم فى الاقاليم من رجال هذه الاوجاقات وبخاصة الچوربجية . والچوربجى اسم مشتق من الچوربة المعروفة ، وكان يطلق فى الاستعمال العثمانى على ضباط الانكشارية ، وعلى « مختارى » القرى المتقدمين فيها أو بعبارة أخرى على أعيان الجهات .

والمخرجات لفظ عام لما يؤديه الرعية من المال الذى لايدخل فى حساب أموال السلطان ، وأشهر مثال له الكشوفية وقد بينا أن الكشوفية تشتمل على مفردات أحدها كان يعرف باسم أوراق خدم العسكر ، وقد بين استيف فى مقالته ص ٦٠ أن چوربجية أوجاقات تفكشيان وجمليان وجراكسة المقيمين بأنحاء البلاد كانوا يجمعون ضريبة خدم العسكر رأسا من الملتزمين ، وفى ص ٥٩ بين مقدار هذه الضريبة .

والجربجية [١٤] واليولداشات ، وهم مقيمون بالقلعة ، وهم تحت طلب السلطان ، وعوائدهم مال الدواوين بعد الميرى ، ومنهم الأوضباشية وعوائدهم على الخمامير . وعوائد الأوجاق المذكور على طرف الميرى من أصل موجبات العساكر و (له أيضا) عوائد على الباشا وعوائد على الملاحة والسلاخانة وذلك ما ذكرناه قبله [١] .

السؤال الخامس

عن أوجاق العزب وخدمتهم ، فأجابه أن للأوجاق المذكور كتخدا ، وأغا وچوربجية ، منهم أمين البحرين وأمين الخردة ، وجعل لهم إيراد البحرين والخردة بعد الميرى ، والأضباشية جعل لهم المراكز وهى القلقات بمصر ، وعوائدهم على طرف الباشا [٢] .

---

(١) لأغا الانكشارية الرياسة العليا على ضبط مدينة القاهرة ، وله كما قال استيف فى مقالته ص ١١٢ عوائد متعددة يفرضها على المأكولات . ثم ينتسب لهذا الاوجاق عدة من أكبر أصحاب المناصب ، منهم الكتخداء وكيل الباشا ، ومنهم السرداران اللذان يليان أمير الحج ، وصنجق الخزنة ، ومنهم من يقيم فى القلعة نفسها .

والكواخى جمع كخيا ، وهى نفس كتخدا ، واليولداش فى الاصل الرفيق والجندى من الانكشارية ، والأوطة باشى ضابط إنكشارى

وعوائدم على الدواوين بعد الميرى — والدواوين هنا الجمارك أى أن السلطان خصص لاوجاق الانكشارية رسوم بعض الجمارك بعد دفع نصيب الحكومة منها — قال استيف فى مقالته فى ص ١١٧ و ١١٨ ان السلطان أعطى أوجاق الانكشارية المتحصل من رسوم جمارك مصر العتيقة وبولاق والاسكندرية ودمياط بشرط تأدية نصيب منه للسلطان — ولكن قبيل الفتح الفرنسى غصب هذه الجمارك الامراء المماليك . وقد بين استيف فى مقالته ص ١٨٩ و ١٩٠ إن الملح — وكان احتكاراً حكوميا — كان فى الأصل جزءاً من الخردة (وسيأتى شرحها) ثم غصبه أحد الامراء المماليك . وعوائد سلخانة القاهرة — حسب ما جاء فى استيف فى ص ١٨٠ — كانت لاوجاق الجاوشان والانكشارية .

(٢) البحرين — كما جاء فى مقالة استيف ص ١٨١ — عبارة عن ساحلى بولاق ومصر العتيقة . ويشرف أمين البحرين على الرسوم المفروضة على الغلال الواردة لهذين الساحلين وعلى السفن التى تسير فى النيل والبحيرات .

والخردة — وقد شرحها استيف فى ص ١٨١ من مقالته — رسوم مفروضة على الملاهى والنساء « العوالم » والحواة ومن يماثلهم . قال : وقد تعددت هذه الرسوم =

السؤال السادس

عن زعيم مصر ، فأجابه أنه هو الوالى الذى يتبصر فى القاهرة ، وخدمته إزالة الخواطى وهم النساء الفاحشات ووقوع [١٥] أولاد الزنا ، وعليه جرف الخليج الناصرى[١] فى كل سنة ، وله عوائد نظير ذلك على جانب الميرى فى كل شهر كيسا مصريا ، وعلى الشون مقدار غلال مقيد بدفتر المصرف ، وله على جانب الميرى فى نظير الجرف مائة ألف فضة =١= .

البـاب الرابع

فى تعريف الحكام القاطعين بالأحكام الشرعية مثل القاضى وغيره

السؤال الأول

عن القاضى وخدمته ، فأجابه أن القاضى هو نائب عن السلطان فى الأحكام الشرعية ، يحضر فى كل سنة من اسلامبول إلي مصر وخدمته أن يحكم بين الناس بالوجه الشرعى ، وله الختم والعلامة على سائر التمكينات مثل الحجج والتقارير وغيره وله عوائد معلومة على سائر أوقاف مصر ، وعلى سائر التمكينات

= فى السنين القريبة من الاحتلال الفرنسى بدرجة جعلت من المستحيل على ولاة الامور الفرنسيين تحديدها .

والقلقات جمع قلق تحريف عربى للتركية قوللق وهو مركز العسكر (أو ما نسميه الآن نقطة البوليس) والضابط الذى يقيم فى هذا المركز أو المخفر هو القوللقجى . هذا وفى الاستعمال العربى يقولون قلق للدلالة على المخفر نفسه أحيانا وعلى الضابط أو أحد رجاله أحيانا .

(١) زعيم مصر استعمال شائع للوالى ، وقد بينا فى الهامش رقم ١ ص ٩ ان الوالى إذ ذاك بمثابة حكدار البوليس الآن . وقد بين استيف فى مقالته فى ص ١١٥ انه كان هناك إذ ذاك ثلاثة ولاة واحد للقاهرة وآخر لبولاق وثالث لمصر العتيقة ، وأنهم كانوا أجمعين تحت رياسة أغا الانكشارية — وقال انه على توالى الزمن أصبحت لوالى القاهرة رياسة على زميليه ، وانه كان له دونهما مرتب ثابت فى الميزانية ، وانه كان يقوم أيضاً بوظيفة حاجب الديوان .

وفى مقالة استيف ص ٢٠٥ بيان ما على والى القاهرة فيما يتعلق بجرف الخليج الناصرى .

التى يقع فيها البيع والشراء بحسب قدر الأثمان ، وله عوائد على الميرى مثل الأوتلاق ، وجعل من تحت يده محاكم بالقاهرة فى الأخطاط [١٦] وقرر فيهم قضاة ذوو علم وفهم ، ويحكمون ويقطعون بالشريعة ، ويقيدون جميع الدعاوى ، وتقارير البيع والشراء ، وكل محكمة فيها سجل للقيد ، وكامل ما يقيدونه يعرضونه على القاضى شهراً شهراً ، ويعلم عليه بالعلامة والختم ، وكذلك علامة الشهود والمقيمين بالمحكمة الكبيرة ، ولهم عوائد على الناس بحسب الوقائع والبيع والشراء ، وللقاضى (والقاضى) له عوائد على المذكورين فى كل شهر ، وعلى المذكور (أى القاضى) الحضور فى الديوان الخصوصى لا العمومى ويركبون معه المترجمون تعلقة وهم اثنان ، وله رسل وچاويشية يتعاطون خدمته ، وعوائد المذكورين على طرف القاضى [1] .

(١) كان من نتائج الفتح العثمانى أن عهد السلطان برياسة القضاء فى مصر لقاض غير مصرى يعينه السلطان ، وبقى الامر كذلك إلى وقت الاحتلال الفرنسى حين عهد الفرنسيون لعالم مصرى هو الشيخ العريشى برياسة القضاء ، وبعد جلاء الفرنسيين عن مصر عاد الامر إلى ما كان عليه واستمر كذلك إلى أن قطعت انجلترة علاقة مصر بالدولة العثمانية فى سنة ١٩١٤

وكان لهذا القاضى التركى نواب فى القاهرة وفى الاقاليم ، وفى رسالة خطية بدار الكتب المصرية [رقم ٣١٥١ تاريخ] « فى علم وبيان طريق القضاة وأسمائهم بمصر المحروسة وأقاليمها ، — وهى تتضمن إجابة الشيخ العريشى الذى أشرنا إليه عن أسئلة وجهها إليه الفرنسيون — تعريف بنظام القضاء إذ ذاك وأسماء بعض القضاة النائبين عن القاضى الاكبر وتعيين محالهم . وقد أشار إلى هذه الرسالة الاستاذ محمود عرنوس فى كتابه فى تاريخ القضاء فى الاسلام المنشور سنة ١٣٥٢ (ص ٥) ونشرها الاستاذ باستانى فى Bulletin de L'. Institut d'Egypte Tome XVIII 1er Fascicule pp. 1—18.

ومختلف القضاء فى العهد المملوكى العثمانى عن القضاء فى عهدنا فى أن القاضى لم يكن له ولا لتابعيه من كتاب ورسل مرتب شامل كما هو الحال الآن : بل كانت للقاضى عوائد على جهات مختلفة مبينة فى الاجابة إلا أن أهم موارده كانت الرسوم التى كان يتقاضاها من أصحاب الدعاوى . ومن هذه الموارد كان القاضى ينفق على تابعيه .

وقد أشار de Chabrol فى مقالته Essai sur les moeurs des habitants modernes de l'Egypte. المنشورة فى الجزء الثامن عشر من كتاب وصف مصر فى ص ٢٣٤ و ٢٣٥ إلى القضاء فيما يأتى :

١ — يشتمل اختصاص القاضى على : (١) الفصل فى الدعاوى ، (٢) اختيار الاشخاص للوظائف فى المساجد ، (٣) إدارة الاوقاف الخيرية (٤) قسمة المواريث ، (٥) تسجيل حجج البيع والشراء .

السؤال الثانى

عن العلماء وخدمتهم ، فأجابه أن العلماء هم المحققون العارفون بالله منهم أربعة مفتيون يفتون بأقامة الحق وإبطال الباطل ، وكبراء العلماء العارفين هم المدرسون بالمساجد يعلمون الناس العلم بمعرفة الله تعالى [١٧] ومعرفة دينهم ، وباقى الفقهاء هم المقيمون بالأزهر لطلب العلم ، ورتب لهم (السلطان) تراتيب عظيمة وخيرات كثيرة من جانب مال الميرى وغلال الميرى فى كل سنة ، ولهم على الباشا فراوي وأصواف جبب حين حضوره بمصر [١] .

السؤال الثالث

عن أرباب السجاجيد وخدمتهم ، فأجابه أن أرباب السجاجيد لا خدمة عليهم ولهم مقامهم وإكرامهم لأجدادهم ، وهم الشيخ البكري وجده أبو بكر الصديق ، والشيخ السادات وجده سيدنا على ، والشيخ العنانى وجده سيدنا عمر بن الخطاب ، والشيخ الخضيرى وجده سيدنا الزبير ، والمذكورون رتب لهم السلطان ترتيباً عظيما ، وأعطى لهم بلاداً ومكنهم فيها ، ويحضرون فى الديوان الخصوصى ، والمشورة لهم فى جميع الأمور ، ولهم على الباشا فراوى سمور فى وقت المقابلة وفى وقت طلوع القلعة [٢] .

= ب — عن الرسوم التى يتقاضاها — قال إنه كان لا ينبغى للقاضى أو نوابه أن يتقاضوا رسماً يزيد على ٢ ½ ٪ من قيمة ما ينظرون فيه — ولكن كان يحدث كثيراً أن يبلغ الرسم ٨ أو ١٠ ٪ سوى ما يفرضه كل من الترجمان والكاتب لنفسه على المتقاضين أو أصحاب الحاجة .

وله عوائد على الميرى مثل الاوتلاق : الاتلاق بالتركية معناها المرعى ، وقد عرف استيف فى مقالته (ص ٢٠١) الاوتلاقات بأنها أراض معفاة من أى مال ، ومخصصة لكى ترعى نباتها خيل الباشا ، وخيل كل من له حق فى أوتلاق — ثم أضاف إلى هذا أن الباشا سمح للملتزمين الذين كانت تقع أوتلاقاته فى حصص التزامهم بضمها لارض الأوسية والانتفاع بها نظير مبلغ من المال يؤدونه له .

(١) فى مقالة استيف فى مواضع متفرقة فى الصفحات ٢١١ — ٢٢٢ بيان المال والغلال المقرر لمعاش العلماء وأرباب السجاجيد — وهذا سوى ما أرصده الافراد فى أوقافهم الخيرية للعلماء المدرسين ومن فى حكمهم .

(٢) كان المشايخ يطلعون للقلعة فى أول كل شهر للتهنئة بالشهر — تجد أمثلة من هذا فى الجبرتى فى المواضع المناسبة .

السؤال الرابع

[١٨] عن نقيب الأشراف وخدمته ، فأجابه أن المذكور لا خدمة عليه ، وهو من كبراء مصر من أصحاب الكلام ، وجميع الأشراف أنفار المذكور ، ولهم عليه جمكية فى كل ثلاثة أشهر يصرفها لهم بقدر معلوم ، وحكمه ماشى عليهم ، وكل من وقع منه ذنب يقاصه بقدر ذنبه ، وللمذكور بلاد أعطاها له السلطان ومكنه فيها لأجل معايشه وإعانته على ذلك ، وعليه الحضور فى ديوان الخصوصى ، وعلى الباشا له فراوى مثل المذكورين قبله[١] .

الباب الخامس

فى تعريف الأفندية وخدمتهم

السؤال الأول

عن كبير الأفندية والحاكم عليهم ، فأجابه أن كبير الأفندية هو الروزنامجى والحاكم عليهم ، وخدمته تحصيل الأموال الأميرية وصرفها فى مرتباتها المرتبة بموجب دفتر السلطان سليم ، وله عوائد على جانب الميرى وعلى البهار وغلال على جانب الباشا ، وله على المذكور [١٩] فراوى فى حين مقابلته فى شلقان وحين قدومه فى العادلية ، وحين طلوعه بالقلعة ، وحين تشهيله مال الخزنة ، وحين عزله ، ومن تحته (أى الروزنامى) شاجرتيه ثلاثة وكيسدار (كيسه دار) واحد ، ومن تحت يده قلفاوات أربعة أصحاب كدوكات (كديك) يأتى ذكرهم فيه ، وعليه مال كشوفية كبير يدفعه فى كل سنة فى نظير منصبه[٢] .

---

(١) قال شابرول فى مقالته فى عادات أهل مصر فى ص ٢٠١ إن نقيب الاشراف ينبغى ألا يحكم على الاشراف المدانين الا بعقوبة خفيفة . وليس له أن يتصرف فيما يستحق عقوبة الاعدام — وقد بلغ من احترام الاشراف فى ذلك العهد أن الشريف المحكوم عليه بالاعدام كان يوكل تنفيذ الحكم فيه إلى تابع من تابعى النقيب ثم تدفن جثته بعد تنفيذ الحكم فيه توا ، ولا تعلق كما كانت العادة فى تلك الايام فى حالة غير الاشراف .

(٢) شاجرتيه جمع شاكرد الفارسية الاصل وتفيد المتعلم أو التلميذ .

كيسه دار ، حافظ أكياس الورق .

عن القلفاوات الأربعة وخدمتهم ، فأجابه أن منهم باش قلفه الروزنامة وخدمته أنه زبطيجى (ضابط) على سائر الأفندية ، ويقيد جميع إيراد مصر ومصرفه ، وعنده سجل بلاد الجيزة وقيد أسماء ملتزميها بقدر أموال الميرية التى على الولاية المذكورة وعنده دفتر ميرى مال الكشوفية الذى هو مطلوب من أرباب المناصب والبلاد وقيد أسمائهم ، وهو الذى يعطي سند إلى الملتزمين الذين يدفعون المال الميرى [٢٠] وله عوائد على جانب الميرى والباشا ، وله فراوى على المذكور حين قدومه ، وفي وقت عزله ، وفى وقت غلاق مال الصرة الشريفة ، وفى وقت تشهيل الخزنة ، ومن تحت يده ثلاثة أفندية شاجرتيه اثنين و كبدار [كيسه دار] واحد ، وعوائدهم عليه[١] .

= قلفاوات جمع قلفه ، وهى تحريف العربية «خليفة» وفى أجوبة حسين افندى كما فى الجبرتى استعمال لقلفة أحيانا والخليفة أحيانا أخرى ، والقلفة أو القالفة الوكيل أو معلم الصنعة أو الكاتب ذو مرتبة رئيسية .

كدوكات جمع عربى للتركية كدك ومعناها التمكين من مزاولة صناعة ما .

مقابلة الباشا فى شلقان وفى العادلية : أى استقبال الباشا الجديد فى شلقان إذا كان قد قدم مصر عن طريق النيل ، وفى العادلية (وهى خارج باب النصر عند قبر الملك العادل طومان باى) إذا كان قد قدم عن طريق البر .

مرتبات الروزنامى وعوائده : للروزنامى مرتب ثابت قدره ٢٧٦٥٠ فضة (مقالة استيف ص ٢٠٠) ، وله نصيب من مبلغ ٢٨٠٠٠ فضة من حساب شراء المشاق وسنشرحه (مقالة استيف ص ٢٠٠) ، وماله من الغلال موضح فى مقالة استيف ص ١٠٤

(١) أضاف لانكريه فى مقالته فى الجزء الحادى عشر من كتاب وصف مصر (ص ٥٠٢ — ٥٠٣) إلى ما بينه حسين افندى أن باش قلفة الرونامة كان لديه أيضا سجل بملتزمى ثلاثة بلاد من ولاية منفلوط ، وهذه البلاد هى بنى رافع وبنى حسين الاشراف وحيط بلا غيط . وليس لهذه البلاد ذكر فى معجم البلاد المصرية المنشور فى المجلد ١٨ مكرر رقم ٣ من كتاب وصف مصر ، ولكن جاء فى مقالة الـ Jomard عن تعداد أهل القطر المصرى قديما وحديثاً فى المجلد التاسع من كاب وصف مصر (ص ١٨٦) ذكر لبلد « بنى حسن الاشراف » من أعمال المنية ، وقال انها غير عامرة . وبنى رافع من أعمال مديرية أسيوط فى الوقت الحاضر .

عنده دفتر ميرى مال الكشوفية المطلوبة من أرباب المناصب . وهذا استعمال ثان لكلمة « الكشوفية » فقد مرت علينا أولا أسما لضريبة يؤديها الناس لنفقة الادارة المحلية ، والآن هى اسم آخر « لميرى الوظائف » .

السؤال الثالث

عن تانى خليفة الروزنامة وخدمته ، فأجابه أن خدمته قيد بلاد الكسوة وأسماء مال الملتزمين وقدر مال الميرى الذى عليهم ، وعنده دفتر فيه بعض مصاريف الميرى ، ومن تحت يده قلفاوات اثنين ، وله عوائد على جانب الميرى وعلى الباشا ، وله قفاطين على الباشا حين قدومه ، وحين غلاق الصرة ، وفى تشهيل الخزنة .

السؤال الرابع

عن ثالث قلفة الروزنامة وخدمته . فأجابه أن خدمته قيد تذاكر التمكينات المرتبة بالمصاريف الميرية ، ومن تحت يده أفندى واحد ، وعوائده على [٢١] طرف الميرى ، وعلى الباشا مثل المذكور قبله .

السؤال الخامس

عن رابع خليفة الروزنامة وخدمته ، فأجابه أن خدمته حساب الموجبات مع أفندية الأوجاقات السبعة وغيرهم أصول وخصوم وله عوائد على جانب الميرى وعلى الباشا مثل الذى قبله .

السؤال السادس

عن أفندى الشرقية وخدمته ، فأجابه أنه كاتب على ولايات خمسة الشرقية والمنصورة وقليوب والبحيرة وأطفيح ، وعنده سجل يقيد فيه أسماء الملتزمين ، وقدر الأموال الميرية التى هى مطلوبة منهم ، وهو يعطى السندات إلى الملتزمين الذين يدفعون المال الميرى ، وله عوائد على كل سند ثلاثة وخمسين فضة أو أكثر على قدر المال الذى يدفع ، وله عوائد على جانب الميرى ، وعلى الباشامثل الذى قبله ، ومن تحت يده أفندية خمسة وعوائدهم [٢٢] عليه .

السؤال السابع

عن أفندى الغربية وخدمته ، فأجابه أنه كاتب على ولايتين الغربية والمنوفية ، وعنده سجل يقيد فيه أسماء الملتزمين وقدر الأموال الميرية التى هى

مطلوبة منهم ، وهو الذى يعطى السندات إلى الملتزمين الذين يدفعون الميري ، وله عليهم عوائد مثل الأفندى قبله ، وعلى جانب الميرى عوائد ، وعلى الباشا مثل الذى قبله ، وله أفندية تحت يده ثلاثة وعوائدهم عليه .

السؤال الثامن

عن أفندى الشهر وخدمته ، فأجابه أنه كاتب على الوجه القبلى وعنده دفتر السجل مقيد فيه أسماء الملتزمين وقدر الميرى الذى عليهم ، وأيضا أنه كاتب على الأسكلهات وهى الجمارك التى على الدواوين مثل اسكندرية ودمياط ورشيد وبولاق ومصر القديم ، ومال البهار والبحرين والخردة وغيره ، وعنده دفتر سجل يقيد فيه أسماء [٢٣] الملتزمين وقدر المال الميرى الذى يطلب منهم ، وله عوائد على الملتزمين وعلى الجمارك وعلى جانب الميرى ، وعلى الباشا مثل الذي قبله ، وله من الأفندية أربعة وعوائدهم عليه .

السؤال التاسع

عن أفندى الغلال وخدمته ، فأجابه أنه كاتب على الوجه القبلى مثل الذى قبله وعنده دفتر سجل يقيد فيه أسماء الملتزمين وقدر مال الميرى ، وغلال الميرى الحب ، وهو الذى يعطى السندات إلى الملتزمين الذين يدفعون المال والغلال الحب ، وله عليهم عوائد عن كل سند خمسة وأربعون فضة ، وله عوائد على جانب الملتزمين وعلى جانب الميرى وعلى الباشا مثل الذي قبله وله من القلفاوات أربعة وعوائدهم عليه [١] .

السؤال العاشر

عن أفندى المحاسبة وخدمته ، فأجابه أن خدمته قيد جميع ما يتعلق بالدولة العلية مثل السكر والأرز [٢٤] والعدس وجميع ما ينصرف من خزنة

---

(١) قال لا نكريه فى مقالته ص ٥٠٤ أن لدى أفندى الغلال دفتراً يقيد فيه حساب ضريبة مضافة إلى ضريبة الغلال تؤدى نقدا واسمها (مال مضاف الغلال) وهى قليلة القدر ، ومفروضة على بلاد قليلة العدد .

السلطان على العمارات وغيره بحسب موقوع كل سنة لأنه لم يكن شيئا مقرراً ، وكذلك عنده دفتر صرة الأشراف ، شريف مكة والمدينة والينبع ، وأغاوات الحرم ، وأهالى مكة والمدينة ، وكذلك عنده دفتر جرايات أهالى الحرمين ، وهو القمح المرتب لهم من جانب غلال الميرى ويرسل لهم فى كل سنة بأسماء أصحابه اسم باسم ، وله عوائد على جانب الميرى ، وعلى الباشا (مثل) الذى قبله ، وله عوائد على مصاريف الخزنة عن كل كيس مصرى ألف فضة ، وله عوائد على العمارات التى تحصل فى كل يوم محبوب مصرى ، وله عوائد على مرتبات أصحاب الصرة بحسب قدر المرتب ، وله من القلفاوات خمسة وعوائدهم عليه .

السؤال الحادى عشر

عن أفندى اليومية وخدمته ، فأجابه أن خدمته ربط دفاتر الصرة إلى الحرمين المرسلة ، وربط دفاتر الجمكية [٢٥] بمصر إلى العساكر وغيره ، وربط قدر جملتها على الصحيح ، وكذلك عنده دفتر صرة الحرمين مثل الذى قبله ، وله عوائد على جانب الميرى وعلى الباشا مثل الذى قبله ، وتحت يده من القلفاوات أربعة وجمكيتهم عليه [١] .

السؤال الثانى عشر

عن أفندى المصرف وخدمته ، فأجابه أن خدمته قيد مصاريف غلال الميرى الحب كل واحد باسمه مثل الباشا والأمراء والأغاوات والاوجاقات والمشايخ والأفندية وباقى الناس بموجب دفتر عنده ووقت المصرف يكتبون الموكلين بغلال الميرى ولم يقدروا يصرفوا ولا أردب واحد إلا بموجب

(١) أضاف لانكريه فى مقالته (ص ٥٠٤) إلى اختصاص افندى اليومية انه يشرف على حساب الافندى المختص بصرف مرتبات الفقراء والعجزة (وهذا الافندى كان يعرف باسم افندى كشيدة أو كاشيدة ، وهى كلمة فارسية لها عدة معان منها انها تفيد « المسحوب ») ، وعلى حساب ، الافندى المختص بصرف مرتبات المترملات والايتام ، وعلى حساب الافندى المختص بصرف المرتبات المقررة لمكفوفى البصر بالازهر والشيوخ وهكذا .

ورقة من عند الأفندى المذكور ، وله عوائد على جانب الغلال الميرى وعلى الباشا ، وله من الأفندية أربعة وعوائدهم عليه [1] .

السؤال الثالث عشر

عن أفندى الكركشى وخدمته ، فأجابه أن خدمته [٢٦] قيد مال الكركشى الذي على جميع البلاد ، ويقيد جميع أسامى الملتزمين لأجل تحصيل المال المذكور ، وله عوائد فى كل سند يعطيه إلى الملتزم عشرة فضة (وعلى) كل قرش (يساوى) ثلاثون فضة يتحصل من المال المذكور أربعة فضة ، وله عوائد على الباشا ، وله من الأفندية اثنان وعوائدهم [2] .

السؤال الرابع عشر

عن أفندى الرزق وخدمته ، فأجابه أن عليه قيد أطيان الرزق بأسماء أصحابهم ، وله عوائد غير معلومة فى وقت تقييد الإفراجات ، وله على الباشا عوائد [3] .

السؤال الخامس عشر

فى الفرمنجى وخدمته ، فأجابه أن خدمته متعلقة بالباشا مثل كتابة الفرمانات العربي الذى ترسل إلى الفلاحين وإلى البنادر وله عوائد وخرج على طرف الباشا .

---

(١) ورد اسمه فى مقالة لانكريه ص ٥٠٤ هكذا « افندى مصرف الغلال » ، وقال لانكريه انه تحت يد افندى الغلال .

(٢) الكركشى — من كلمة كورك التركية ، وهى آلة الجرف والكركجى الجراف ، وأصل الكركجى ضريبة فرضت على الملتزمين وخصصت للانفاق على إزالة الاتربة . ما إليها من القاهرة — وعلى مرور الزمن بطل انفاق هذا المال فيما خصص له ، ولكن جمعه من الناس لم يبطل . — وهذا هو السر فى تراكم وتكون الكيمان التى كانت تحيط بالقاهرة واستمرت يؤذى غبارها وماينبعث من رائحتها أهل المدينة إلى أن أزالتها حكومة محمد على . راجع استيف فى مقالته ص ٥٧ — وقد قدر استيف مال الكركجى بمبلغ ٦٣٢٨٩١ فضة (ص ٥٦) — وراجع أيضا الاجابة على السؤال السادس من الباب العاشر .

(٣) أطيان ارزق جمع رزقه وهى الأرض الزراعية المحبوسة على أوجه البر والخير ولا يفرض عليها مال — ويكون على ذلك التعبير الدقيق عن إنشاء الرزق هو قولهم « أفرج السلطان لفلان عن أرض عبرتها كذا رزقه الخ » فتسمى الوثيقة بذلك « افراج » .

(٢٧) السؤال السادس عشر

عن كتبة الخزينة وخدمتهم ، فأجابه أن المذكورين اثنان وتحت يدهم أربعة كتبة وخدمتهم الروزنامة العامرة تحت يد الروزنامجى يضبطون جميع الأموال الميرية الأصل والخصم والايراد والمصرف ، وهم الذين يحاسبون سائر الأفنديه الذين عهدتهم المال الميرى فى جميع ما يتعلق بالروزنامة العامرة ، ولهم عوائد على جانب الميرى ، وعلى البهار والمحتسب وعلى الباشا ، ومن تحت يد المذكورين صيارف يهود ثلاثة منهم صراف باشا واحد ، وكامل النقود عهدته ، والباقى من تحت يده ، وعوائدهم على جانب الميري ، ولهم كساوى على جانب الروزنامة وعلى باش قلفة .

السؤال السابع عشر

عن أفندية الأوجاقات السبعة ، فأجابه أن لكل أوجاق أفنديا كبيراً ، وأفنديا صغيراً ، وهم من جملة المتكلمين على الأوجاق ، ومن تحت أيديهم أفندية ، وخدمتهم صرف جمكية [٢٨] العساكر وباقى الناس بموجب دفتر يحضر لهم من الروزنامة ، وعليهم ربط جميع إيراد الأوجاقات ، وعوائدهم من جانب جمكية الناس ، ومن جانب الأوجاق .

السؤال الثامن عشر

عن أفندى المقابلة وخدمته ، فأجابه أن خدمته قيد دفاتر جمكية العساكر، وساليانات الأمراء والمشايخ والأيتام وغيره اسم باسم ، وهو الذى يعطى التمكينات إلى أصحاب المرتبات ، وله عليهم عوائد فى كل تقرير خمسة وأربعون فضة ، وله عوائد على جانب الباشا ، ومن تحت يده (مِن) الأفندية خمسة وعوائدهم عليه .

السؤال التاسع عشر

عن الأفندية حين قررهم السلطان فى خدمتهم كيف كان شروطه عليهم ، فأجابه أن السلطان سليم حين رتب الروزنامة رتبها ترتيبا عظيما ، وجعلها أسرار الملوك على سائر تعلقات الناس وشرط عليهم إن سئلوا [٢٩]

عن أي شيء لايعطون عنه جوابا إلا أن حضر لهم فرمان من نائب السلطان بالكشف عن المطلوب ، وشرط عليهم أن دفاتر الميرى الأصل والخصم التى رتبها السلطان لم يكن أحداً يطلع عليها خلاف خدمائها ، وأن الدفاتر التى ينتهى العمل بها تحفظ في خزينة (مقفلة ؟) فى القلعة ، وإن كان يحصل من المذكورين خلاف الشروط التى وقعت يقع لهم القصاص بحسب حالهم ، وعلى ذلك أجابوا وارتضوا ، وبحكم هذا قررهم في خدمتهم ومكنهم فيها بتمكين ديوانى ، ومن بعدهم ذرياتهم ومماليكهم إن كانوا يكونون أهلا إلى صنعة الكتابة ، ولايقع فيهم تغيير ولا تبديل إلابالموت أو بخيانة ظاهرة ، وكل من مات منهم يدفع إلى نائب السلطان الحلوان أتباعه ، ويمكن فى ذلك بالحلوان الذى يدفعونه ، وقدر على الأفندية المذكورين جاذب ميرى يدفعونه إلى ديوان السلطان لعدم التعدى عليهم فى كامل الأمور ، وحفظ مقامهم لخدمة الملوك ، وأوقف لهم بلداً بولاية الجيزة وهى شنبارى ، والذى يتصرف [٣٠] فيها الروزنامجى لأجل مصاريف الأفندية المذكورين ، وللافندية المذكورين كساوى على الباشا والدفتردار والروزنامجى في (كل) سنة كل واحد بحسب مقامه .

الباب السادس

فى تعريف الولايات وبلاد الأقاليم المصرية

السؤال الأول

عن ولايات الوجه البحرى وعدتهم والوجه القبلى وعدتهم

بيان ذلك :

الوجه البحرى	الوجه القبلى
١ — ولاية الشرقية	١ — بهنساوية
٢ — ولاية المنصورة	٢ — أشمونين
٣ — ولاية البحيرة	٣ — منفلوط
٤ — ولاية قليوب	٤ — جرجا

٥ — ولاية الغربية ٥ — أطفيح بالبر الشرقى

٦ — ولاية المنوفية ٦ — ألواح من داخل جرجا [أى الواحات]

٧ — ولاية الجيزة ٧ — فيوم بين الحدود البحرى والقبلى

أقاليم سبعة فى مائتين وثمانين بدرجة تخمين[1] .

[٣١] السؤال الثانى

عن (أقاليم ؟) الوجه البحرى كيف تحصيل ماله ، فأجابه أن تحصيل المال من الفلاحين نقد فلوس على حكم موقوع البلاد مفادنة أو كلالة حكم التثمين المثمن من قديم الزمن ، وأما المضاف مستجد لم يكن هو من مدة السلطان سليم[2] .

السؤال الثالث

عن الوجه القبلى كيف كان تحصيل ماله نقداً أو غلالا ، فأجابه أن فيهم بلاداً عليهم مال نبارى وهو النقد ، وعليهم غلال وهو الحب ، ومنهم بلاد

---

(١) أظن أنه يقصد أن كل مديرية تحتوى فى المتوسط على ٢٨٠ بلداً ، وبذلك يكون عدد البلاد ٣٩٢٠ ، وقد جاء فى مقالة Jomard عن تعداد أهل مصر قديما وحديثا التى أشرنا إليها (فى ص ١١٥) أنه كان مقيداً بدفاتر الأقباط التى قدمت لولاة الأمور الفرنسيين أسماء ٢٩٦٧ بلداً بينما قدر العمال الفرنسيون عدد البلاد بـ ٣٣٤٧ بلداً ، وقيد راسمو الخريطة الفرنسية الكبرى لمصر أسماء ٣٥٥٤ بلداً — وقال جومار أن هذا الرقم الأخير وهو أكبر الثلاثة أقل من الحقيقة .

(٢) الكلالة اصطلاح للمساحين للدلالة على الأرض التى لم تمسح مساحة تفصيلية ولذلك كان يفرض عليها المال جملة .

ولفهم هذه الاجابة وما بعدها يحسن بنا أن نذكر على وجه الاجمال أن مجموع ما هو مفروض على الأرض الزراعية كان يطلق عليه اسم المال الحر ويجمعه الملتزم من الفلاحين ثم يقسم إلى الأقسام الآتية :

أولا — نصيب السلطان واسمه المال الميرى .

ثانياً — نصيب جهات مختلفة كتذاكر جاويشية ومال الكركجى .

ثالثاً — نصيب الادارة المحلية واسمه الكشوفية .

رابعا — ما يبقى للملتزم نفسه بعد تأدية ما سبق ، واسمه الفائض .

وقد زاد المال الحر بزيادتين كلاهما بدون وجه شرعى إحداهما البرانى أو المضاف وهو قديم ومستجد ، والأخرى الكشوفية المستجدة ، وهذا البيان مجمل جداً يحتاج إلى تفصيل أدق سنتولاه فى فرصة أخرى .

مال خالص ، وأن خراج وجه (الوجه) المذكور لم يعرف قدره فى كل سنة لأن تحصيل خراجه حكم المساحات التى تقع فى كل سنة[1] .

السؤال الرابع

عن ولاية الفيوم كيف كان تحصيل مالها ، فأجابه أن مال الولاية نقداً حكم موقوع البلاد ، إما مفادنة [٣٢] أو كلالة ، وأن فيها بعض بلاد مالها على الغيطان الجناين .

السؤال الخامس

عن اسكندرية وتحصيل مالها ، فأجابه أن اسكندرية لم (لا) تعد من البلاد ، وهى بندر وأسكلة عظيمة ، وإيرادها كان لأوجاق الإنكشارية يدفع مال الميرى الذى عليهم منه ، وقدره مائتان وسبعون كيساً مصرياً إلا كسوراً ، وباقى العشور من التجارات يكونون له .

السؤال السادس

عن بندر دمياط كيف كان تحصيل إيراده ، فأجابه أن البندر المذكور فى التزام المذكورين قبله (أى أوجاق الإنكشارية) ، ويدفع المال الميرى الذى عليه ، وقدره ثلاثة وستون كيسا مصريا إلا كسوراً ، وباقى (والباقى) من عشور التجارات يكونون لهم .

السؤال السابع

عن أقليم البرلس كيف تحصيله ، فأجابه أن أقليم [٣٣] البرلس التزام مثل البلاد ، وكل من كان ملتزما يدفع الميرى الذى عليه والباقى له .

السؤال الثامن

عن مصر (أى القاهرة) وإيرادها ، فأجابه أن مصر إيرادها على جمرك البهار وعلى جمرك بولاق ، ومصر القديم ، والبحرين والسلخانة ، وأما إيراد

---

(١) المال النبارى والشتوى والبعلى الخ وصف للمال مشتق من نوع المحصولات الزراعية فالمال النبارى هو المال عندما يفرض على أرض زرعت ذرة ورويت بواسطة الآلات الرافعة — وهذه الأرض تؤدى بعض مالها نقداً .

البهار فهو من قديم الزمان إلى الباشا والى مصر يدفع الميرى الذى عليه في كل سنة وقدره مائتان وثلاثة وأربعين كيسا مصريا إلا كسوراً ، والباقى من العشور يكون له ، وأما إيراد بولاق ومصر القديم فهو من قديم الزمان إلى أوجاق الإنكشارية ، ويدفعون المال الميرى الذى عليهم ، ويدفعون فى كل سنة اثنان وسبعون كيسا مصريا ونصف ، وأما إيراد البحرين فهو من قديم الزمان إلى أوجاق العزب ، ويدفعون المال الميرى الذى عليه فى كل سنة وقدره ثمانية وثلاثون كيسا مصريا ونصف والباقي يكون لهم ، وأما السلخانة فإيرادها إلى أوجاق الإنكشارية من قديم الزمان ويدفعون الميرى الذى عليه وقدره ستة وأربعون ألف فضة وكسور والباقى له . [٣٤]

الباب السابع

فى تعريف التزام الملتزمين

السؤال الأول

عن الملتزمين من يكونوا ، فأجابه أن الالتزام من قديم الزمان إلى الأوجاقات والمماليك والجلبية وبعض من التجار والأفندية ، والحريمات والهوارة ، وأرباب السجاجيد ، وبعض من العلماء والمشايخ ، وبعض عربان بالولايات ، والآن للحريمات [1] (للأمراء ؟) .

---

(١) سنحاول فى مقالة أخرى شرح أصل الالتزام — ويكفى الآن أن ننبه إلى أن انتساب الملتزمين إلى طوائف من الناس علماء وشيوخ طرق ورجال حرب وتجارة ونساء يدل على تحوله عما يجوز أنه كان عليه فى الأصل من مباشرة زرع الأرض وجباية الاموال الاميرية إلى نوع من الانتفاع بالارض — أما قوله والآن للحريمات فظنى انه لا يقصد من ذلك أن الملتزمين فى عهده أصبحوا كلهم نساء ، فهذا يخالف الواقع . ولكن لا أستطيع أن أفسر ماذا يريد أن يقول . (راجع الاجابة على السؤال السابع من الباب العاشر — صار أكثر الالتزام عند الأمراء) .

الجلبية أى المماليك المشترون الذين لم يولدوا بمصر ، والهوارة اسم عربان بالصعيد .

السؤال الثانى

عن التزام الرعاية [الرعايا] فى مدة الفرنساوى وقدره الربع أو الخمس، فأجابه أن الالتزام الذى هو مفروج عليه إلى أصحابه بوجه التخمين قدر الربع [1].

السؤال الثالث

عن البنادر التى بالولايات كيف كان ترتيبهم، فأجابه أن البنادر المذكورة أولهم المحلة الكبرى والمنصورة وبلبيس وهم مسكن الحكام، ورتب فيهم (السلطان) أوجاقات سبعة، وجوربجية ومتولية، وكذلك محلة مرحوم ودمنهور والجيزة مثل الذى قبله، وسمنود وزفتي ومنية غمر بنادر ثلاثة من غير أوجاقات، والفيوم وبنى سويف والمنية بنادر ثلاثة، وفيهم أوجاقات وجوربجية.

السؤال الرابع [2]

عن التزام الأموات كيف كان حلوانهم، فأجابه [٣٥] أن من قديم الزمان كان الباشا يأخذ الحلوان على ثلاثة سنوات على الفايض الحر الذى هو مخصوص للملتزم من غير زيادة بشرط أن يكون الحلوان من أولاده أو مملوكه أو امرأته أو أقاربه، فان كان الميت لم يكن له أحداً فللحاكم (فالحاكم) له أن يعطيه ويأخذ منه الحلوان لأن الالتزام لا يكون إلا لأهالى مصر وأقطارها.

السؤال الخامس

لماذا أن المملوك (أى الأمراء المماليك) كان يأخذ من الحلوان زيادة عن الثلاث سنوات، فأجابه أن المملوك كان يأخذ قدر سنة رابعة فى نظير

(١) لما هزم الفرنسيون المماليك الهزائم الاولى ودخلوا القاهرة أمر بونابرت بمصادرة كل ما كان يملك المماليك، ويدخل فى هذا حصص التزامهم، وقد بلغت — كما نستنتج من بقاء الربع فى يد الاهلين — ثلاثة أرباع مجموع الحصص. وقد قدر استيف حصة الجمهورية من الالتزام بمقدار الثلثين — وذلك فى حسابه المنشور عن الادارة المالية فى عهد الفرنسيين ص ٢٦١

(٢) الاجابة على السؤال الثالث ورأس السؤال الرابع موضوعة فى هامش الأصل

ما كان ينقص من الفايض الحر إذا كان الفايض عشرين ألف فضة يجعلونه عشرة آلاف فضة إلي الباشا فى نظير السنة الزايدة التى يأخذها من الملتزم .

البـاب الثامن

فى تعريف الأراضى ووضع يد الملوك عليها

السؤال الأول

فى ملك الملك العزيز كيف كان ، فأجابه أن العزيز [٣٦] لما ملك مصر وأراضيها وكامل الزراعات ، وكّل سيدنا يوسف عليه السلام بضبط جميع الأراضى والزراعات خلافاً عن الرزق والأوقاف (التى) وتركها إلى أربابها الأئمة والمشايخ ، وإلى بعض من الناس ، وعلى المساجد والخيرات التى هى موقوفة عليهم .

السؤال الثانى

بأى شيء ملك الناس الأرض ، فأجابه أن سيدنا يوسف حين توكل بضبط الأرض فوجدها فى ملك الناس من قديم الزمان من مدة أولاد سيدنا نوح (و) أن أولاده الذين ملكوا جميع الدنيا كانوا ثلاثة ،وهم سام وحام ويافث ، فسام أبو العرب ، وحام أبو السودان ، ويافث أبو الترك والافرنج وباقى الأجناس التى على البحر المحيط ، فأما أولاد العرب ملكوا الأرض نسلا بعد نسل ، فلما وجد سيدنا يوسف ذلك أبقاهم على ماهم عليه ومكنهم فيها وربط عليهم العشور الذى هوصار ميريا من ذلك الوقت يدفعونه إلى ديوان بيت المال لأجل عمار البلاد وراحة العباد وانتفاعهم [٣٧] ومعايشهم ، وأما العشور التى ربطها المذكور (فكانت) لأجل مصاريف عساكره وراحة كل من يملك هذه الأراضى .

السؤال الثالث

لما ظهر الإسلام وأرسل سيدنا عمر بن الخطاب عمرو بن العاص ، وملك مصر كيف كان الحال ، فأجابه أن مصر فتحت صلحاً مع المقوقس (فى الهامش المقوقز) وأبقي الناس جميعاً على أرزاقها وبساتينها وبيوتها

وأراضيها ، وبلادهم التى كانوا واضعين يدهم عليها ، والعشور المرتبة من قديم وجعلها إلى بيت المال كذلك وحلوان الأموات يكونوا إلى بيت المال إعانة لكل من كان يملك مصر .

السؤال الرابع

حين ملك عمرو بن العاص كيف كان يأخذ الحلوان من الناس ، (فأجابه) أن كامل استعماله فى الأمور كانت بالرحمة والشفقة على الرعايا ، وكان أخذه الحلوان بأمر مناسب لعمار بيت مال المسلمين لأجل رفع العساكر عن الأذية .

[٣٨] الباب التاسع

فى ترتيب البلاد وضبط أطيانها

حين تداولت هذه المملكة إلى السلطان سليم

السؤال الأول

فى ربط البلاد وأطيانها ، فأجابه أن السلطان ربط البلاد وجعلهم أقاليم سبق ذكرهم فيه ، وقدر لكل بلد أطيان وحددها بحدود أربع الشرقى والغربى والبحرى والقبلى بلد ببلد ، وجعل الطين فدادين بقياس كل فدان أربعمائة قصبة ، وجعل بين كل بلد وبلد حد معلوم ، وجعل بينهم علامة إما بحوض أو جسر أو حجر ظاهر فاصل بين البلاد لمنع تعديهم على بعض ، وربط كل الفدادين بقدرها ، وأخرج منها الرزق والبور ، والباقى هو الذى ربط عليه المال بحسب طين الأرض ودونها [دونها] .

السؤال الثانى

كيف كان ترتيب المال على البلاد ، فأجابه أن المال [٣٩] ارتبط على الطين إما كلالة وإما مفادنة بقدر معلوم حكم التراببع المحررة وجميع مال كل بلد ، وأخرج منها المخرجات مثل مال الجهات وخدم العسكر وباقى مصاريف الكشوفية بعد ذلك يكون للملتزم ، وعلى الملتزم القيام بدفع المال

الميرى إلى ديوان السلطان ، وعليه حفظ البلد التى تحت يده ، ومراعات أهلها بالرحمة وعدم الظلم حكم شرط السلطان الذى هو مذكور فى التمكين الذى بيده [1] .

السؤال الثالث

عن الشاهد الذى فى البلد وخدمته ، فأجابه أن خدمته قيد أطيان البلد فداناً بفدان ، وحوضا بحوض ، وأسماء الفلاحين ، وقيد مال البلد ومصرفها وهو الذى يربط جميع الأمور على الصراف ، والشاهد لا يكون إلا من أهل البلد ، وعوائده من داخل المخرجات وله عوائد على الفلاحين [٤٠] تدخل فى قائمة المصروف فى سند .

السؤال الرابع

عن شيخ المشايخ ومن تحت يده (من) المشايخ وخدمتهم (فأجابه أن خدمتهم) يخلصون مال الملتزم من الفلاحين ، والملتزم (ليس) له طلب من الفلاحين لكون أن المشايخ ملزومين بخلاص (المال) من الفلاحين ، وعليهم الإخبار إلى الملتزم على العصاة من الفلاحين والملتزم له نظر فى ذلك ، وللمشايخ المذكورين طين مسموح بالمال الحر من غير مصروف ، ولهم عوائد بقائمة المصروف فى نظير خدمتهم ، وفى نظير إكرام الضيوف الذى تأتى إلى الناحية ، وفى نظير حضورهم إلى مصر لمقابلة الملتزم ، وعليهم تقدمة إلى الملتزم فى كل سنتين والثالثة فى نظير كساوى الذى يكسيها لهم الملتزم .

---

(١) سبق أن شرحنا المخرجات بأنها الأموال التى يجمعها الملتزمين ، ولكنها لا تدخل فى حساب ديوان السلطان ، وشرحنا أيضاً معنى خدم العسكر والكشوفية . يبقى شرح مال الجهات . وقد شرحه لانكريه فى مقالته ص ٤٩٤ بأنه مال يؤديه الملتزمون مما يجمعون من الفلاحين ويسلمونه لحكام الأقاليم وهؤلاء يدفعونه لشيخ البلد ، وهو كبير الأمراء بالقاهرة ، وهذا ينفقه فى سبيل شراء ما يلزم من الطعام والشراب لتخفيف مشقة الحج على الحجاج الفقراء .

أما التراابيع فهو اصطلاح سابق للفتح العثمانى وكانت إذ ذاك عبارة عن الوثيقة التى يعين فيها إقطاع باسم فرد تعيينا إجماليا ثم يتلو هذا إتمام الاجراء لتمكين المقطع من إقطاعه [راجع صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٥٤] — والظاهر أن هذا الاستعمال لم يتغير بعد الفتح العثمانى . ولكن ليس لدى الآن دليل قاطع بهذا .

السؤال الخامس

عن الصراف وخدمته فأجابه أن خدمته يقبض [٤١] المال من الفلاحين ويقيد أسماءهم ونقد الدراهم من النحس (النحاس) وغيره وهو الذى عليه الحساب مع الملتزم وعوائده جانب على المخرجات ، وجانب على الفلاحين وكل (ولكل) صراف ضامن بمصر يضمنه إلى الملتزم ، وإن حصل منه أدنى خلل يكون الضامن ملزوما به .

السؤال السادس

عن الخولى وخدمته ، فأجابه أن خدمته قياس الطين ومعرفة زراعة الفلاحين ، وهو الذى يفرق دعاوى الفلاحين من قبل الطين والزراعة لأنه ملزوم بمعرفة الزراعة والأطيان حوضا بحوض ، وعليه مباشرة زراعة الأوسية فى بذار التقاوى وعوائده على طرف الملتزم .

السؤال السابع

عن الوكيل وخدمته ، فأجابه أن خدمته حفظ غلال الأوسية ، وهو الذى يطلب منه أصول الغلال وخصومه [٤٢] ، وعليه حفظ تعلقات الأوسية مثل النوارج والمحاريث وخلافه ، وعوائده على طرف الملتزم [١] .

السؤال الثامن

عن الكلاف وخدمته ، فأجابه أن خدمته علف البهائم وتسريحهم ومراعاتهم فى كل ما يحتاج إليه ، وعوائده على طرف الملتزم .

السؤال التاسع

عن المشد وخدمته ، فأجابه أن خدمته خدام تحت يد قائمقام ، وهو الذى

---

(١) الأوسية ذلك الجزء من حصة الالتزام الذى لا يوزع بين الفلاحين بل يزرعه الملتزم لحسابه .

يحضر الفلاحين إلي الديوان فى وقت طلب المال ، وعليه القيام فى سائر خدمة قائمقام ، وعوائده على طرف الملتزم [1] .

الباب العاشر

فى تعريف الميرى وتمكين الملتزم من الالتزام

السؤال الأول

عن الميرى كيف ربطه السلطان سليم ، فأجابه [٤٣] أن الدفاتر حرقوها جماعة جراكسة حين دخول السلطان سليم (ولما) طلب تحرير الميرى من الأفندية حرروه له من تذاكر الجاويشية لأن الميرى مقيد فى التذاكر كل بلد بتذاكرها ، فجمعوا تلك التذاكر من البلاد ، وحرروا الميرى منهم بغير قاعدة يعرفونها ، لأن الدفاتر حرقت ، وجمع ذلك التحرير ، وكتب به دفتر فى وقت حضور السلطان سليم فى مصر كان سنة ٩٢٢ تسعمائة اثنين وعشرين سنة ، وكان خروجه منها سنة ٩٢٣ بعد النظام [2] .

السؤال الثانى

عن الميرى هل حصل فيه زيادة أو نقصان ، فأجابه أنه حصل فيه الزيادة والنقصان بأوامر الباشوات فى بعض بلاد قليلة ، وسبب ذلك أن بعضاً من الملتزمين يكونون عنده بلد فيكتب عرض إلى الباشا برفع الميرى الذى عليها بشرط أن يشترى مرتبا من مصاريف الميرى ، ويبطله فى نظير ما يرتفع [٤٤]

---

(١) قائمقام لقب شيخ البلد . وهو الاستعمال الاصطلاحى . وتستعمل قائمقام أيضا فى معناها الأصلى لكل من يقوم مقام أحد ما ، كقائمقام الباشا مثلا لمن يقوم مقام الباشا عند ما تكون الباشوية خالية .

(٢) الخبر عن إحراق الدفاتر بعد انتصار العثمانيين على السلاطين الجراكسة متواتر ، وإن كان Deny فى مقدمته لكتابه عن المحفوظات التركية ص ٢٢ غير متأكد — فيما يلوح — من حدوثه — وعلى كل حال فهو محتمل جداً سواء أكان حدوثه عمداً أم عفواً — هذا وبعد أن وقع ذلك (إن كان قد وقع) اضطر ولاة الأمور العثمانيون إلى استخلاص ربط الأموال من التذاكر فهى — كما شرحنا — تضمن جل الأموال التى يسافر بها الرسول .

من الأصل بحيث لم يقع خلل فى الميرى ، ويكون الأصل والخصم قدر واحد فيجيبه الباشا على ذلك ، ويعطى له فرمانا خطابا إلى روزنامجى مصر برفع ذلك الميرى من الأصل ، ورفع نظيره من المصرف ، ويفعله الروزنامجى ذلك فانه مأمور بطريقة صناعته ، ولم يمكن ارتفاع ميرى من الأصل إذا لم يرتفع قدره من الخصم ، والروزنامة مضبوطة [1] .

السؤال الثالث

عن الميرى وقدره فى كل سنة ، فأجابه وهذا قدره يقبضه روزنامجى مصر بقوة الحكام من الملتزمين ومن أصحاب أقلام الجمارك ، ومن أرباب المناصب وكشاف الولايات وخلافه .

الأصل ميرى .

٤٤٣ ٦١٤ ١١٧ (فضة) .

عنها ٤٧٠٤ كيسا و١٤٤٤٣ (فضة) كسوراً .

[٤٥] السؤال الرابع

عن بيان مصاريف الميرى وكيفية ترتيبه ، فأجابه أن المصاريف الميرية التى رتبها السلطان سليم هذا بيانها :

٢٩٩ ٧٣٥ ٥٠ (فضة) موجبات .

٢٢٠ ٩٨١ ١٥ « صرة أهالى حرمين .

٤٧٥ ٩٠٣ ١٤ « مصاريف حرمين .

٦٣٤ ٦١٨ ٠٧ « مصاريف سائرة .

(ومجموع ذلك كله ٦٢٨ ٢٣٨ ٨٩ فضة) .

---

(١) المفهوم من هذا إسقاط الميرى عن ملتزم ما نظير تكفله بمصرف من مصاريف الميرى يعادل ما سقط عنه من الميرى — ولا أستطيع بعد توضيح كيفية هذا الاسقاط توضيحاً دقيقاً .

(ويكون الباقى وقدره) ٢٨٣٧٥٨١٥ خزينة إلى السلطان بعد المصاريف المرتبة .

وهذا قدر المصاريف على قدر الأصل لا زيادة ولا نقصان [1] .

السؤال الخامس

عن خزنة السلطان هل يصرف منها شيء أم لا ، فأجابه أنه يصرف منها بموجب سندات من الباشاوات إلى روزنامجى مصر فى كل سنة إلي أمير الحاج

---

(١) ليس حساب ميزانية مصر بهذه البساطة كما سنشرح في فرصة أخرى . ونكتفى الآن بأن نقيد الواردة فى مقالة استيف (ص ١٩٦ عن الدخل وص ٢٣٩ عن المنصرف) .

دخل السلطان

من مال الأرض الزراعية	٨٠ ٤٦٠ ٠٦٨	فضة
من المال المفروض على أصحاب الوظائف	١٠ ٨٧٠ ٧٧٣	»
من الرسوم الجمركية وما شابهها . .	٢٢ ٨١١ ٨٠٥	»
من الجزية أو الجوالى	٢ ٥٠٩ ٠٨١	»
مجموع	١١٦ ٦٥١ ٧٢٧	»

المصاريف المقررة على جانب السلطان

موجبات أصحاب الوظائف	٢ ٩٣٩ ٢٤٧	فضة
موجبات الجند	٢٩ ٨٧٢ ٦٥٧	»
مصاريف سائرة . . .	٢ ٦٥٣ ٥٨٥	»
معاشات	٨ ٤٣٨ ٩٩٤	»
أعمال خيرية	١٣ ٨٩٢ ١٣٩	»
قافلة الحجاج	٤٢ ٠٧١ ٦٥٤	»
مجموع	٩٩ ٨٦٨ ٢٧٦	»

فينبغى أن تكون زيادة الدخل على المنصرف بقدر ١٦٧٨٣٤٥١ فضة ، وقد تعرضت هذه الزيادة لرفع وخفض ، وأحياناً لحذف تام مما سنبسطه فى فرصة أخرى .

هذا وينبغى أن نلاحظ أن الفرق بين أرقام حسين أفندى وأرقام استيف ليس فى جلته كبيرا فاننا إذا أضفنا إلى صافى الدخل فى تقدير استيف مبلغ ٤٤١ كيسا و ١٥٠٠٠ فضة وهو الخاص بأمير الحج وشريف مكة والتى حسبها استيف فى المنصرف بينما حسين أفندى لم يحسبها كانت زيادة الدخل على المنصرف = ١٦٧٨٣٤٥١ + ١١٠٤٠٠٠٠ [أى ٤٤١ كيسا و ١٥٠٠٠ فضة] = ٢٧٨٢٣٤٥١ فضة وهذا لا ينقص كثيراً عن مبلغ ٢٨٣٧٥٨١٥ الذى ذكره حسين أفندى .

وشريف مكة أربعمائة وإحدى وأربعون كيسا مصريا وكسور خمسة عشرة آلاف فضة ، وباقى من الخزنة تارة يصرف فى العمارات بحسب الاحتياج ، وتارة يرسل إلى الملك نقد صحبة [٤٦] صنجق الخزنة والقافلة .

السؤال السادس

عن مال الكوركجى الذى هو مضاف بالمال ما معناه ، فأجابه أن مال الكوركجى كان يقبض من البلاد خارجا عن الميرى ، ويصرف فى أجرة المراكب وغيره لنقل التراب من مصر ويرمى فى البحر المالح ، وكان قدر مبلغه فى كل سنة نحواً من ثمانية وعشرين كيسا مصريا ، واستمر ذلك الحال مدة سنين وهم ينقلون التراب من القاهرة وكانت نظيفة ، ولم يكن فيها من الوخم شىء ، ومن بعد ذلك حصل تراخى وكسل وعدم التفات من الحكام ، فصاروا يأكلون ذلك القدر فى كل سنة ولم يصرفوه ، فبلغ ذلك السلطان وحضر منه أمر إلى وكيله باضافة ذلك المبلغ على خزينته التى بقيت له فى ذلك الوقت من الميرى بعد المصاريف التى رتبها .

[٤٧] السؤال السابع

عن تذاكر الجاويشية التى هى داخلة الميرى ما معناها ، فأجابه أن تذاكر الجاويشية مرتبة على البلاد من قديم ، عوائد إلى أوجاق الجاويشية فى نظير خدمتهم فى تحصيل الميرى وكانوا يقبضونها من البلاد ، ثم بعد ذلك انتقل الالتزام من يد إلى يد وصار أكثر الالتزام عند الأمراء (الأمراء المماليك) إلى غاية سنة ١١٨٩ ، وصار الأوجاق المذكور لم يقدر يخلص من البلاد المذكورين ذلك بسبب قوتهم (أى قوة ملتزمى البلاد الأمراء) فشكوا حالهم إلى الباشا ، وهو نائب السلطان ، وأعرضوا عليه عرضا باضافة ذلك على أصول الميرى بلداً ببلد ، وبعد ذلك يأخذونه من الروزنامجى فأجابه فى ذلك ، وحضر (وأحضر) الروزنامجى فى ذلك الوقت وأمره باضافة ذلك على الميرى ، وقدره ثلاثة وأربعون كيسا مصريا وكسوراً ، وأعطى له فرمانا بذلك ، وأمره أن يعطيهم ذلك القدر فى كل سنة فى نظير ما انضاف على الأصل .

السؤال الثامن

[٤٨] عن ميرى الأوقاف كيف كان ترتيبه ، وكيف كان يصرف ، فأجابه أن ميرى الأوقاف مخصص على بلاد وكانوا يقبضونه النظار إلى (من) الملتزمين على يد مباشرى الأوقاف ويصرفونه فى التراتيب التى رتبوها الملوك الذين أوقفوا ذلك ، وكانوا النظار اثنين فى هذه المدة منهم شيخ البلد ناظر على وقف الدشيشة الكبرى ، ومنهم سليمان أغا الوكيل ناظر على ثلاثة أوقاف المرادية والمحمدية والأحمدية ولهم عوائد على جانب الوقف [1].

السؤال التاسع

عن مال ميرى وقف محمدية كيف كان يقبض وكيف يصرف ، فأجابه أن المبلغ الذى كان يقبض من الملتزمين وقدره خمسون كيسا مصريا وكسور خمسة آلاف وستمائة وأربعة فضة ، وكان يصرف ذلك القدر صرة ترسل إلى أهالى مكة والمدينة ومرتبات وخيرات وعوائد الناظر وعوائد الكتبية [٤٩] جملتهم على القدر المذكور وللوقف المذكور غلال على بلاد معلومة ، وقدره

---

(١) الأوقاف المفروض من أجلها ميرى كانت أربعة : الدشيشة الكبرى ، والمرادية ، والمحمدية ، والأحمدية .

أما وقف الدشيشة الكبرى فمشهور يرد ذكره فى تاريخ الجبرتى فى مواضع كثيرة . والظاهر أنه كان هناك أكثر من وقف بهذا الاسم ، فقد جاء فى الجبرتى فى حوادث ٨ ربيع أول سنة ١١٠٣ « ورد مرسوم مضمونه ولاية نظر الدشايش » ، وهذا هو السر فى وصفه بالدشيشة الكبرى — والدشيشة حسو يتخذ من بر مرضوض — وقد نسب استيف فى مقالته ص ١٠٧ إنشاء هذا الوقف إلى محمد بك چراكسة [هكذا] ، وقد ظن إبراهيم بك زكى فى تلخيصه لمقالة استيف أنه يقصد الملك الناصر محمد بن قلاوون سلطان مصر فى عهد الچراكسة (ص ٥٤ من كتاب الحالة المالية فى عهدى الحملة الفرنسية ومحمد على) وهذا ليس بصحيح ، فالناصر محمد ليس من السلاطين الچراكسة — ويلوح لى أن صاحب هذا الوقف هو قايتباى فالثابت أنه أوقف أوقافا عظيمة لاطعام أهل الحرمين الدشيشة وغيرها (راجع ترجمة قايتباى فى الضوء اللامع للسخاوى فى الجزء الخامس طبعة القاهرة) .

على كل حال فوقف الدشيشة الكبرى سابق للفتح العثمانى — على عكس الأوقاف الأخرى فهى من إنشاء السلاطين العثمانيين مراد ومحمد وأحمد .

عشرون ألفا وسبعمائة وتسعة وثمانون أردبا حب ونصف (أردب) ، ويصرف ذلك القدر مثل المال بموجب دفتر بختم الناظر المذكور وبمباشرة كتبة الوقف المذكور .

السؤال العاشر

عن مال ميرى وقف المرادية كيف كان يقبض ، وكيف كان يصرف ، فأجابه أن المبلغ الذى كان يقبض من الملتزمين وقدره ثمانية وثمانون كيسا مصريا وكسوراً واثنان وعشرون ألفا وسبعمائة وسبعون فضة ، وكان يصرف ذلك القدر صرة ترسل إلى أهالى مكة والمدينة ومرتبات وخيرات ، وعوائد الناظر وعوائد الخدمة والكتبة وجملة المصرف على قدر الأصل المذكور ، وللوقف المذكور غلال على بلاد معلومة وقدره ثلاثة آلاف وثمانمائة وأربعون أردبا قمحا ، ويصرف ذلك القدر مثل المال بموجب دفتر بختم الناظر المذكور وبمباشرة [٥٠] كتبة الوقف المذكور .

السؤال الحادى عشر

عن مال ميرى وقف الأحمدية كيف كان يقبض ، وكيف كان يصرف ، فأجابه أن المبلغ الذى كان يقبض من الملتزمين وقدره ثلاثة وعشرون كيساً مصريا وكسوراً وستة آلاف وثمانية وعشرون فضة ، وكان يقبض ذلك صرة ترسل إلى أهالى مكة والمدينة ، ومرتبات وخيرات وعوائد الناظر والخدمة والكتبة وجملة المصرف على قدر الأصل ، والوقف المذكور لم يكن له غلال على البلاد .

السؤال الثانى عشر

عن ميرى وقف الدشيشة الكبري ، كيف كان يصرف ، فأجابه أن المبلغ الذى كان يقبض من الملتزمين وقدره أربعة وسبعون كيساً مصريا وكسوراً وخمسة عشر آلاف وتسعمائة [٥١] وثمانية وثمانون فضة ، وكان يصرف ذلك القدر صرة ترسل إلى أهالى مكة والمدينة ومرتبات وخيرات ، وعوائد الناظر والكتبة والخدمة وجملة المصرف على قدر الأصل ، وللوقف المذكور

غلال حب على بلاد معلومة وقدره ثلاثة وثلاثون ألفاً وثلاثمائة وثلاثة وثلاثون أردبا وثلث ، ويصرف ذلك القدر مثل المال بموجب دفتر بختم الناظر وبمباشرة كتبة الوقف المذكور .

السؤال الثالث عشر

عن المال الميرى كيف كان قبضه على مرة واحدة أو على مرات ، فأجابه أن الميرى قسمين صيفى وشتوى ، أما الصيفى فكان يقبض على مرتين النصف لمال الصرة والنصف إلى أمير الحاج ، وأما الشتوى فكان يقبض على أثلاث لموجبات العساكر والمواجب الأربعة من ذمة الباشا ، والذى يبقى [٥٢] من الأموال المذكورة بعد مصاريف الميرى يتحصل إلى خزنة السلطان ، وترسل له صحبة صنجق الخزنة (١) .

السؤال الرابع عشر

عن الأطيان الميرية المستأجرة على يد بوسيالك مدير الحدود العامة فى أى محل فأجابه أنهم داخلون ميرى الجمارك ، وكانوا أصلهم الأوجاقات ، وكان ميريهم يدفع إلى ديوان الروزنامة ، والآن صار مالهم يقبض من المستأجرين حكم الايجار (٢) .

(١) من قواعد الادارة المالية فى ذلك العهد أنه للباشا أن يسقط عن الأفراد أو الطوائف شيئا من حقوق السلطان نظير تكفله هو بما يسقط كما أنه كان له أن يبدل فى نظام صرف الأموال ولكن بشرط أن يبقى الصافى النهائى للسلطان كما كان (مثال ذلك — فى الاجابة على السؤال الثانى من الباب العاشر) — وكانت نتيجة هذا أن تكفل الباشا ببعض الموجبات الأميرية . وقد عدد حسين افندى مواجب أربعة وذكر استيف فى مقالته فى ص ٢٣٤ أن الموجبات على الباشا هى ماتكفل به من ميرى الأوقاف الثمانية وما يؤديه إلى كتخداءات أوجاقات جمليان وتفكشيان وچراكسة ، وإلى ولاة القاهرة ومصر العتيقة وبولاق ، وإلى أمين الاحتساب ، وإلى أوجاق الانكشارية نظير ماعليه من ميرى جمرك الاسكندرية . وإلى أوجاق العزب نظر حقهم فى رسوم البحرين .

(٢) بوسيالك هو Poussielgue مهد لاغارة بونابرت على جزائر مالطة ببذر بذور التفرقة بين فرسان القديس يوحنا ، وأدار شؤون مصر المالية أيام الاحتلال الفرنسى منذ بدء... إلى أن عاد إلى وطنه عقب اتفاق العريش فى أوائل ١٨٠٠ ، وكان أحد المفوضين عن ... فى عقد هذا الاتفاق .

السؤال الخامس عشر

عن جمرك الرقيق من الجوار [الجوارى] والعبيد لمن كان ، فأجابه أنه كان لكل من كان صنجق جرجا يكون له ذلك الجمرك ، وأن صنجق جرجا ملزوم بدفع ميرى الولاية ، لأن الميرى لم يكن مربوطاً على ذلك الجمرك لأن الرقيق لم يكن هو شرط أن يحضر فى كل سنة [١] .

السؤال السادس عشر

[٥٣] عن الحوادث التى جددها المملوك (الأمراء المماليك) مثل حادثة الأورز [الأرز] ، فأجابه أن تلك الحوادث لم تكن مقررة بالميرى ، وهى حادثة قريب عهد أحدثها المملوك وصارت الآن عائدة إلى الجمهور [أى حكومة الجمهورية الفرنسية] .

السؤال السابع عشر

عن الحوادث من زمن تجددها على وكائل الأورز والعصفر وغيره فأجابه أن الوكائل المذكورة كانت تعلق الأغاوات القزلارية فتغلب المملوك وربط ذلك الوكائل ورتب عليها تلك الحوادث من مدة قريبة [٢] .

السؤال الثامن عشر

أن الروزنامجى من يقرره فى خدمته ، فأجابه أنه يقرره الباشا باطلاع شيخ البلد وأعيانها بشرط أن يكون ذا فهم وعقل وتدبير ، وأن يكون أمينا

---

(١) هذا خلاف الرسوم التى كان يتقاضاها ملتزم وكالة الرقيق فى القاهرة عن كل صفقة . ولا يمكن بيع أو شراء العبيد إلا فى هذه الوكالة . وكل بيع وشراء لا يكون إلا بصك يبين جنس الرقيق ذكراً أو أنثى واسمه واسم الجلاب الذى باع والفرد من الناس الذى اشتراه ، ويوقع هذا الصك الملتزم . وهذا الصك يبقى يتداوله كل من يشترى العبد فيما بعد ، ويعطى للعبد إذا ما أعتق بعد ذلك — هذا فيما يتعلق بالرقيق السود — أما البيض فلم يكن على التجارة فيهم أى قيد من هذا النوع (راجع مقالة استيف فى ص ١٨٤ و ١٨٥) .

(٢) من نوع وكالة الرقيق التى وصفناها وكالة العصفر فى بولاق ووكالتا الأرز الواحدة بدمياط ، والثانية برشيد ، وكانت الحكومة تمنع تداول هذه الأصناف وغيرها إلا فى هذه الوكائل وأمثالها . وتهب الرسوم التى تفرض على البيع والشراء لأفراد أو طوائف من الناس . من هؤلاء طائفة الأغاوات القزلارية وهم خصيان السلطان السود المكلفون بملاحظة جوارى القصر (القيزلر) مقالة استيف ص ١٨٥

لأنه مأذون بقبض الأموال وصرفها ؛ وذا صناعة فى فن الكتابة لأنه مطلوب منه السؤالات والجوابات والكتابة مطلوبة له من الأفندية والكتابة (والكتبة) التى تحت يده والحساب [٥٤] مطلوب له .

السؤال التاسع عشر

عن الخيانة إذا وقعت من واحد أفندي من يقاصصه ومن يرفع خدمته ، فأجابه أن الروزنامجى له أن يقاصص الأفندية بحسب ذنوبهم الذى يستحق القصاص يقاصصه ، والذى يستحق الرفع من خدمته يرفع أمره إلى الحاكم ويرفعه باذنه ، ولم يكن أحد من الحكام له معارضة لأحد من الأفندية فى كامل الأمور لأن الرونامجى هو الحاكم عليهم ومطلوبون منه .

السؤال العشرون

عن أقلام الأفندية كيف كان ترتيبهم ، فأجابه أن ترتيبهم مذكور فى الباب الخامس ، وأن أقلامهم (وظائفهم) مشترى (مشتراة) من قديم الزمان حكم ترتيب السلطان ، ولم يكن أحداً يتعدى عليهم فى خدمتهم ، وإن مات منهم أحد يكون قلمه محلول ، ويدفع حلوانه إلى الباشا على يد الروزنامجى [٥٥] بالشفقة والرحمة لأنها خدمة عمل [١] .

السؤال الأحد والعشرون

عن دار الضرب ومن يتعاطاها ، فأجابه أنه كان يحضر لها أغا من الدولة العلية خصوصى إلى ذلك ، وهو الذي يديرها ، ويدفع مال الميرى الذى عليها ، وعوائد الباشا ، وكتخدائه والمرتبات إلى أصحابها ، ودفع أجر الخدمة والمصاريف ، والباقى بعد ذلك يكون إلى المذكور [٢] .

(١) « محلول » من الاصطلاحات الهامة فى ذلك العهد تطلق على حصة الالتزام وعلى الوظيفة إذا مات صاحبهما فيعاد منحهما من جديد نظير الحلوان .

(٢) ليس فى مقالة استيف ما يضاف إلى هذه الاجابة ، ومما يدل على مقدار ما كانت تدره دار الضرب أن الادارة الفرنسية تحققت من أن سك ريال أفرنجى إلى أنصاف فضة يعطى ربحاً صافياً قدره الثلث (راجع Charles-Roux : Bonapart Gouverneur d' Egypte p. 110) ويذكر الجبرتى فى حوادث محرم ١٢٢٧ (المجلد الرابع) دهشة محمد على لما كان عليه حتى أحقر رجال دار الضرب من سعة الحال .

السؤال الثاني والعشرون

لماذا أن دار الضرب الآن صارت إلى الباشا ، فأجابه أن سبب ذلك تغلب المملوك على الباشاوات ، وعدم دفعهم العوائد التى عليهم ، ودفع (وعدم دفع) الحلوان على حقيقته ، فقل مدخولهم (أى الباشوات) وصاروا محتاجين إلى إعانتهم على مصروفهم ، فهذا هو السبب لعطية دار الضرب لهم [1] .

الباب الحادى عشر

[٥٦] فى تعريف تمكين الملتزمين فى الالتزام والفلاحين من الأراضى

السؤال الأول

فى تمكين الملتزمين فى البلاد كيف كان ، فأجابه حين دخل السلطان سليم فوجد الناس واضعين أيديهم على البلاد بموجب التمكينات التى بأيديهم إما بشراء وإما بحلوان ، فأبقاهم على ماهم عليه ومكنهم فى البلاد بتمكين جديد ، وأخذ منهم حلوان قدومه وأملاكه بالقاهرة ، وشرط عليهم أن يدفعوا الميرى الذى مضبوط على البلاد ، وأذن لهم بالبيع والشراء (فى حصص الالتزام) وجعل له بعد التمكين الأول على كل من مات من الملتزمين حلوان ثلاثة سنوات من الفايض الحر ، والتمكين القديم والجديد هو السبب فى ملك الملتزم ، ولم يبق للسلطان بلاد فى القاهرة (فى القطر المصرى) ولم يكن له على الملتزمين إلا الميرى فقط ، والحلوان الذى قرره على الأموات حكم الشرط لأن البلاد بلاد الله ، والعبيد عباد الله ، وأن السلطان العادل [٥٧] هو ولى الأمر ولازم الاتباع له فى سائر الأمور إلا فى مخالفة أوامر الله تعالى .

السؤال الثانى

كيف كان تمكين الفلاح من الأرض ، فأجابه أن السلطان سليم لما حضر بمصر وربط أطيان البلاد وأموالهم ، فوجد الأطيان مؤثرة على الفلاحين

---

(١) يؤيد استيف فى مقالته فى ص ١١٢ هذا ، ويزيد عليه أن إعطاء دار الضرب (أو بعبارة أصح الميرى المقرر عليها) للباشا حدث منذ أيام على بك الكبير وأن الباشوات اعتادوا أن يبيعوا ما وهبهم السلطان من الميرى على دار الضرب إلى شيخ البلد أو كبير الأمراء المماليك فى ذلك العهد .

وأبقاهم على ما هم عليه ، ومكنهم بتمكين الملتزم ، وشرط على الفلاح أنه لم يكن له بيع ولا شراء فى الطين لكون أن الطين ملك الملتزم الذى هو أنابه السلطان عنه والفلاح خدام الأرض ، وزرعها له بعد دفع المال الذى قرره عليه السلطان ، والملتزم له أرض لم يكن له عباد [1] .

السؤال الثالث

هل للملتزم أن يرفع الفلاح عن أثره أم لا ، فأجابه أن الملتزم (ليس) له رفع الفلاح عن أثره إلا بعيوب ظاهرة ، إما بعدم دفع المال ، وإما بتبوير الأرض [٥٨] عمداً أو بخيانة ظاهرة فان حصل ذلك من الفلاح فللملتزم أن يرفع المذكور عن أثره ويعطيه لمن شاء .

السؤال الرابع

هل للفلاح أن يفوت أثره أم لا ، فأجابه أن الفلاح إذا فات أثره برضاه له ذلك ، والملتزم لن يكن له أن يقهر الفلاح فى خدمته ولا يرفعه عن أثره .

السؤال الخامس

عن الذى يموت من الفلاحين ، هل يكون أثره إلى الملتزم أم لا ، فأجابه أن يكون أثره إلى ذريته أو عياله أو أقاربه ، وإن لم يكن له أحد ، فالأثر إلى الملتزم يقرر فيه من شاء من الفلاحين ، وهذا حكم شرط الملك حين أثر الأطيان الى أربابها .

---

(١) « الأرض مؤثرة على الفلاحين » القسم من حصص الالتزام الذى يوزع على الفلاحين ويبقى حقهم فيه كما شرح حسين أفندى فى أجوبته يعرف بأثر الفلاح أو بالأطيان الأثرية أو المؤثرة فى الفلاحين — تمييزاً له عن الأوسية التى يحتفظ بها الملتزمون .

الباب الثانى عشر

فى تعريف مقدار الميرى إلى غاية تحرير حسن باشا كان قدره أى شئ والآن قدره أى شئ

[٥٩] السؤال الأول

عن مقدار الميرى الذى حرره حسن باشا سنة ١٢٠٠ ، فأجابه أنه كان مقداره خمسة آلاف كيس ومائة وثلاثة وأربعون كيساً مصرياً وكسور ، وخمسة عشر آلاف وستة وعشرون فضة [١] .

السؤال الثانى

لماذا أن الميرى أنقص من تحرير حسن باشا ، فأجابه أن حسن باشا حين حضر بمصر زود على الميرى مائتين واثنين وسبعين كيساً مصريا على جهات يأتى ذكرهم فيه بعد ما حصل من الأمراء المصرية غوغاء بسبب ذلك ، وبيان الزيادة زود على جمرك اسكندرية مائتين وأربعين كيساً مصريا وعلى خيار شنبر ، وسنامكى ستة عشر كيساً مصريا ، وعلى ناحية المطرية بدمياط ثمانية أكياس مصرية ، وعلى جلود السلخانة ثمانية أكياس مصرية ، وهذا جملة الزيادة ؛ وعمل فى شأن ذلك عرض من [٦٠] الأمراء المصرية ،

---

(١) فى سنة ١٢٠٠ هـ وصل مصر على رأس عمارة بحرية عثمانية القبودان باشا الغازى حسن موفداً من قبل السلطان لكسر شوكة الأميرين إبراهيم ومراد وقد عمت الشكوى منهما — وأقام حسن باشا بمصر شهورا تمكن فى أثنائها من اقصاء الأميرين عن القاهرة ، ونقل الرياسة إلى أمير آخر منافس لهما هو اسماعيل بك أى أن كل ما استطاعه حسن هو الاستعانة بحزب من المماليك ضد حزب آخر ، ولم يتمكن من وضع حد لاغتصاب الأمراء وإعادة النظم الشرعية لما يجب أن تكون عليه — وبعد مغادرة حسن باشا لمصر ، وموت اسماعيل بك فى الطاعون المشهور باسمه عاد مراد وإبراهيم للقاهرة واستأنفا الحكم على الطريقة التى ألفا — .

والمقصود بالميرى فى هذه الاجابة هو جملة الضرائب المتنوعة التى تجبى لحساب السلطان . ونجد تفصيل ما كان من أمر حسن باشا فى الجبرتى فى حوادث سنة ١٢٠٠ (المجلد الثانى) ونجد إجمالها فى الجزء الثالث من المجمل الفرنسى لتاريخ مصر فى الفصل الذى عقده المسيو كب (Precis de L'Histoire d'Egypte t. III. p. 49)

وأرسلوه إلى السلطان الآن (الحالى) وهو السلطان سليم ، فقبل ذلك العرض . وحضر منه أمر برفع ذلك فرفع من دفاتر الميرى ، وكذلك ارتفع من أصل الميرى خزينة ما قدره من ابتداء سنة ١٢٠٠ إلى غاية ١٢١٢ كيساً مصريا مائة وسبعة وستون وكسور ، وخمسمائة وسبعة وثمانون فضة ، ومثل ما ارتفع ذلك القدر من الأصول ارتفع قدره من الخصوم ، فجملة مرفوع الأول والثانى أربعمائة وتسعة وثلاثون كيسا مصريا وكسور، وخمسمائة وتسعة وثمانون فضة ، فيبقى بعد ذلك إلى غاية سنة ١٢١٢ أربعة آلاف وأربعمائة وثلاثة وأربعون فضة ، فهذا هو مجموع الميرى المقيد فى الباب العاشر [١] .

الباب الثالث عشر [٢]

[٦١] فى تعريف سبب ترتيب الميرى على البلاد وغيره

السؤال الأول

فى سبب ترتيب الميرى على البلاد ، فأجابه أن أصول الترتيب فى نظير عشور خراج الأرض الذى كان يؤخذ من المزارعين ، وصار الآن ميرى وازداد حتى بلغ ذلك المقدار .

---

(١) زاد حسن باشا مجموع أموال السلطان المختلفة من الـ ٤٧٠٤ كيسا و١٤٤٣ فضة المذكورة فى السؤال الثالث من الباب العاشر إلى ٥١٤٣ كيسا و ١٥٠٢٩ فضة المذكورة هنا وهذه الزيادة وقدرها ٤٣٩ كيسا و ٥٨٣ فضة نشأت من زيادتين إحداهما هى عبارة عن ٢٧٢ كيسا زادها حسن باشا على الجهات المذكورة فى الاجابة والأخرى عبارة عن ١٦٧ كيسا و٥٨٧ فضة زيدت فى خزنة السلطان (قد سبق لنا تعريفها) — وقد رأينا أن السلطان سليم الثالث رفع — بناء على التماس الأمراء — الزيادتين أى زيادة الضرائب وزيادة مال الخزينة ليرجع الأمر إلى ما كان عليه ، أما الزيادة التى زادها حسن باشا فيمكن فهمها إذا ذكرنا أن الحكومة كانت تحتكر أصنافا وأنها تبيع حقها فى الأصناف المحتكرة لملتزمين يلتزمون بأداء مبلغ من المال للحكومة نظير الاحتكار — من هذه الأصناف الخيار شنبر ، وكان يزرع فى الدلتا والسنامكى وكان ينبت فى الصحراء بين النيل عند مديرية قنا والبحر الأحمر وكلاهما مما كان يستخدم فى العلاج إذ ذاك (راجع مقالة Rouyer : Notice Sur les Medicaments usuels des Egyptiens. Description d' Egypte tome XI. pp. 446, 456, 457

(٢) يرى حسين أفندى فى هذا الباب إلى بيان أسباب فرض الضرائب الأميرية المختلفة — وإذا تذكرنا ماقلناه من أن الميرى يفيد : (١) مالا مربوطاً على أرض =

السؤال الثانى

عن سبب ميرى جمرك الدواوين ، فأجابه أن هذا فى نظير عشور البضائع والتجارات المحضرة من بر الروم وغيره .

السؤال الثالث

عن سبب ميرى البهار ، فأجابه أن هذا فى نظير عشور البن والبهار المحضرة من الهند والأقطار الحجازية .

السؤال الرابع

عن سبب ميرى البحرين ، فأجابه أن هذا فى نظير ما يؤخذ من جمرك الغلال وجمرك المراكب .

= زراعية . (٢) على صاحب منصب (٣) على المنتفعين من الرسوم المقررة على جمارك وسواحل وأسواق (٤) على جهات تدفع مالا لتنال حماية خاصة (٥) على ملتزمى أصناف محتكرة سهل علينا أن نفهم الاجابات الواردة .

فالميرى فى السؤال الاول هو المال المفروض على الارض الزراعية للسلطان — وهو غير المخرجات الواردة فى السؤال الخامس والتى شرحنا معناها والميرى فى الاسئلة الثانى والثالث والرابع يؤديه المنتفعون بالرسوم الجمركية من أفراد وطوائف مثلا طائفة الانكشارية اعطى لها حق الاستيلاء على رسوم جمرك الاسكندرية فعليها أن تؤدى للسلطان « ميريا » نظير هذا الانتفاع ، والميرى فى الاسئلة من الخامس إلى الحادى والعشرين ، والسؤال الرابع والعشرين والسؤال التاسع والعشرين هو ميرى على أصحاب مناصب ووظائف . وتقلدم هذه الوظائف يكسبهم مرتبات وعوائد وحق جمع رسوم مختلفة أحياناً ، فيجب أن يؤدوا للسلطان ميريا عن هذه المزايا (راجع استيف فى مقالته ص ١٠٩) ، هذا وفى إجابة حسين افندى على السؤال التاسع عشر من الباب الخامس عبارة تدلنا على أن فكرة دفع أصحاب المناصب ميريا عن مناصبهم كانت تحتوى أيضاً على عنصر الاحتماء بالحاكم بهذه الوسيلة قال : وقدر (السلطان) على الافندية المذكورين جانب ميرى يدفعونه إلى ديوان السلطان لعدم التعدى عليهم فى كامل الامور وحفظ مقامهم لخدمة الملوك » .

والميرى فى السؤالين الخامس والعشرين والسادس والعشرين هو مال حماية .

والميرى فى الأسئلة الثانى والعشرين والثالث والعشرين والسابع والعشرين والثامن والعشرين يؤديه ملتزمون بأصناف محتكرة .

السؤال الخامس

عن سبب ميرى كشاف الولايات ، فأجابه أن هذا فى نظير [٦٢] مال البلاد الذى رتبها لهم السلطان ، وفى نظير عوائدهم المرتبة على البلاد من داخل المخرجات .

السؤال السادس

عن سبب كشوفية الدفتر دار ، فأجابه أن هذا فى نظير منصبه وما له من العوائد .

السؤال السابع

عن سبب ميرى أغاوات متفرقة ، فأجابه أن هذا مثل الذى قبله .

السؤال الثامن

عن سبب ميرى كتخدا جاوشان ، فأجابه أن هذا فى نظير ما له من العوائد .

السؤال التاسع

عن سبب ميرى الترجمان ، فأجابه أن هذا فى نظير ماله من العوائد .

السؤال العاشر

عن سبب ميرى الأغاوات والأوجاقات السبعة والأفندية [٦٣] ، فأجابه أن هذا فى نظير عوائدهم ومناصبهم .

السؤال الحادى عشر

عن سبب الميرى المطلوب من أفندية الديوان ، فأجابه أن هذا فى نظير مناصبهم وعوائدهم على جانب الميرى والباشا وما لهم من الفراوى والكساوى .

السؤال الثانى عشر[1]

عن سبب ميرى أمين الشون ، فأجابه أن هذا فى نظير منصبه وماله من العوائد على جانب غلال الميرى .

---

(١) رأس السؤال الثانى عشر والاجابة عليه فى هامش الأصل .

السؤال الثالث عشر

عن سبب ميرى المحتسب ، فأجابه أن هذا فى نظير عوائده على السوقية المسببين (المتسببين) وعوائده على جانب الميرى .

السؤال الرابع عشر

عن سبب ميرى أمين الخردة ، فأجابه أن هذا فى نظير حملة الجمال والحمير بخيمة الرميلة ، وحملة الفيوم ، وكامل الأقلام التى هى من داخل الخردة [1] .

السؤال الخامس عشر

عن سبب ميري (مشايخ) الأسواق ، فأجابه أن هذا فى نظير عوائدهم على الترك وعلى الدلالين [2] .

[٦٤] السؤال السادس عشر

عن سبب ميرى أغات البارودية ، فأجابه أن هذا فى نظير ما هو مرتب له على جانب الميرى فى كل سنة ، وإحدى وسبعون ألفا وستمائة وستون فضة ، وفى نظير البارود المرتب على ناحية منية كنانة وشلقان بولاية القليوبية ، وفى نظير عوائده على معامل البارود .

السؤال السابع عشر

عن سبب ميرى أغات المهندسين والبنايين (أى معمارجى باشى) فأجابه أن هذا فى نظير عوائده على جانب عمارة السلطنة بحسب طول المدة له فى كل يوم محبوب فى نظير عوائده على جانب المهندسين .

---

(١) «الحملة» رسوم أسواق — والرميلة الميدان القريب من القلعة — وقد شرحنا أن الخردة مجموعة ضرائب متنوعة جداً بينا منها الرسوم المفروضة على « العوالم » وأصحاب الألاعيب وهكذا — راجع مقالة استيف فى ص ١٩١

(٢) المقصود من ميرى الأسواق ما كان يؤديه للحكومة شيخا الدلالين (وكان أحدهما تركيا والآخر مصريا) نظير ما كان يفرضانه على الدلالين ، وكان لا بد لمن يبيع أو يشترى فى أسواق معينة من استخدام دلال ، ودفع رسم دلالة (راجع استيف فى مقالته فى ص ١١٥) .

السؤال الثامن عشر

عن سبب ميرى قافلة باشى ، فأجابه أن هذا فى نظير عوائده على جانب البن فى كل فرق ربع ريال .

السؤال التاسع عشر

[٦٥] عن سبب ميرى سردار جرجا ، فأجابه أن هذا في نظير ناحية بندار التبنات التى أوقفها له الملك ، وفى عوائده على جانب حاكم جرجا .

السؤال العشرون

عن سبب ميرى أغاوات القلاع ، فأجابه أن هذا فى نظير ما هو مرتب على جانب الميرى وغيره .

السؤال الحادى والعشرون

عن سبب ميرى أمين الضربخانة ، فأجابه أن هذا في نظير ما يبقى له من المكسب بعد مصاريف المرتبات .

السؤال الثانى والعشرون

عن سبب ميرى الجلود ، فأجابه أن هذا فى نظير زيادة ثمن الجلود التى يأخذونها من المدابغ .

السؤال الثالث والعشرون

عن سبب ميرى وكالة البهار فأجابه أن هذا فى نظير ما يخص أصحاب الملك من عوائد البهار والأمنية (وكونهم آمنين) .

[٦٦] السؤال الرابع والعشرون

عن سبب ميرى أغاوات الجيزية (الجزية) ، فأجابه أن هذا ما يؤخذ من النصارى واليهود فى كل سنة ، العال أربعمائة وأربعون فضة على كل رأس ،

والاوسط على كل رأس مائتان وعشرون فضة ، والأدنى على كل رأس مائة وعشرة فضة [1] .

السؤال الخامس والعشرون

عن سبب ميرى وقف سليمان باشا بثغر رشيد ، فأجابه أن هذا فى نظير ما كان قدره على نفسه صاحب الوقف أن يدفع ذلك القدر إلى ديوان السلطان تبركا لعدم المعارض لوقفه .

السؤال السادس والعشرون

عن سبب ميرى وقف السلطان الغورى والسلطان الأشرف والسلطان بيبرس والسلطان قايتباى والوزير خير بك والوزير يشبك ، فأجابه أن هذا فى نظير جمكية مرتب لهم بدفتر الموجبات ، وفى نظير مال الرزق والأطيان [٦٧] ورتب ذلك الميرى على الأوقاف المذكورة لأجل أن يكونوا منسوبين إلى جهة الملك وعدم التعرض لأوقافهم .

السؤال السابع والعشرون

عن سبب ميرى خيار شنبر وسنامكى ، فأجابه أن هذا فى نظير العشور التى تؤخذ من التجار .

السؤال الثامن والعشرون

عن سبب ميرى أمين مشاق ، فأجابه أن هذا فى نظير عوائده الآتية على البلاد [2] .

---

(١) الجزية أو الجوالى مفروضة على الذكور البالغين من أهل الذمة من نصارى ويهود ، وكانت من ثلاث فئات ، ويحضر لجمعها كل سنة أغا من دار السلطنة . وقد يلتزم بها قبل هذا الأغا ملتزمون (راجع مقالة استيف فى ص ١٩٢ — ١٩٤) .

(٢) أمين المشاق أو أغا المشاق كانت مهمته جمع ما تطلبه دار السلطنة من « المشاقة » وهى نسل حبال القنب ، وقد قال عنه استيف فى مقالته ص ١١٤ أنه كانت له عوائد قدرها من ٢٠ إلى ١٠٠ فضة عن كل بلدة يجمعها من الملتزمين ، وانه كان يدفع له ثمن ما يجمع من المشاقة بشرط أن يكتب له قاضى بولاق اشهاداً يثبت مقدار ما جمع من المشاقة وقيمة ذلك .

عن سبب الميرى المطلوب من الباشا ، فأجابه إن هذا فى نظير تجديد خيرات مرتبه إلى بعض من الناس ، وفى سبيل إنعامه إلى شريف مكة ، وإلى أوجاقات متفرقة ، وفى نظير عوائده فى مال البهار فى كل فرق أربعمائة فضة ، وفى نظير ما دفعه عن بعض أقلام بأمره ، وفى نظير الحلوان [1] .

الباب الرابع عشر

[٦٨] فى تعريف سبب ترتيب مصاريف الميرى

السؤال الأول

عن سبب صرة الحرمين الشريفين ، فأجابه أنه كانت الملوك فى الزمان القديم يرسلون هدايا إلى أهالي مكة والمدينة من أصل مبلغ كبير فى كل سنة من أصل بيت (مال) المسلمين ، فلما حضر السلطان سليم وضبط أموال الميري ، ضبط ذلك القدر بموجب دفتر بأسماء معلومة يرسل إليهم فى كل سنة ، وصار يقع فيه البيع والشراء بين الناس فى بعضها [2] .

---

(١) لا يستقيم القسم الثانى من الاجابة مع القسم الأول — إذ أننا نفهم أن الباشا يؤدى ميريا نظير ماله من العوائد على البن ونظير الحلوان الذى يستولى عليه عند انتقال حصص الالتزام من يد إلى يد وفى نظير ما يأخذه من أصحاب الوظائف . ولكننا لا نفهم كيف أنه كان يؤدى ميريا على تجديده بعض الخيرات ، وعلى انعامه إلى شريف مكة ، وإلى أوجاقات مختلفة كتحمله عن الانكشارية مثلا ميرى جرك الاسكندرية — وقد نستطيع أن نقول ان الباشا رفع عنه من ميرى منصبه بقدر ما أخذه على نفسه من التكاليف الواردة فى القسم الأول أو أنه حسب على خزنة السلطان قيامه بها وانتفاعه من القيام ببعضها (كمسألة جرك الاسكندرية) فحق عليه أن يؤدى ميريا نظير الانتفاع . ولكن الصعوبة باقية .

(٢) ما ورد فى آخر هذه الاجابة أمر هام جداً علينا أن نشرحه شرحاً وافيا .

يقول حسين افندى انه كان هناك دفتر بأسماء الأفراد من أهل الحرمين الذين ترسل لهم صرة الحرمين الشريفين ثم أضاف إلى ذلك وصار يقع فيه البيع والشراء — ومعنى ذلك ان هذه المرتبات المقررة فى صرة الحرمين — واسمها « أوراق صرة » — أصبحت =

عن سبب مصاريف أمير الحج ، فأجابه أنه كان فى الزمن القديم يطلع بالحجاج كبير التجار ، ويأخذ صحبته الهدايا التى ترسل إلى الحرمين وكسوة البيت الشريف تذهب وترجع فى أمن وأمان ، ثم بعد ذلك تغلبت العربان

= يتداولها الناس بالبيع والشراء كما يتبادل الناس بيع وشراء العقار الثابت أو الأوراق المالية فى عهدنا الحاضر .

ولم تكن هذه وحدها الأوراق المتداولة فى ذلك العصر بل كانت مرتبات الجند — واسمها أوراق جامكية — وكذلك اوراق المرتبات الجارية على الشيوخ ومن فى حكمهم — واسمها الجراية — مما يتداولها الناس بكل أنواع التداول ، وسنقتبس من مقالة استيف ومن تاريخ الجبرتى ما يزيد هذه الناحية من حياة مصر المالية وضوحا — ولعل هذه الاقتباسات تعيننا على فهم أسباب اختلال أمر الحامية العثمانية وفتح باب الاغتصاب لكل من آنس فى نفسه قوة .

مقتبسات من استيف :

أولا — أن أوراق جمكية العسكر لم تكن للعسكر وحدهم ، بل كانت تمنح لغيرهم كمرتبات خيرية (مقالة استيف ص ٢١٣) .

ثانيا — أن دفتر الصرة احتوى على أسماء كثيرين ليسوا من أهل الحرمين وإنما استطاعوا أن يحولوا أوراقهم من أوراق جمكية إلى أوراق صرة لما شاهدوه من ضبط صرف أموال الصرة (مقالة استيف ص ٢٢١) .

ثالثاً — أن السلطان رتب فى الأصل جمكية العساكر بحيث يبلغ مرتب الجندى ١٨٢½ فضة فى العام ومرتبات الضباط من فئتين إما مثلى مرتب الجند وإما ثلاثة أمثاله — وقد بلغ مرتب الصنجق ٧٢٩٧٠٨٠ فضة — ثم حدث على توالى الزمن أن اعتبر الجند والضباط والصناجق هذه المرتبات ملكا لهم لا مرتبا يصرف لهم على أداء وظائفهم واستغلوا هذا الملك كما يستغل العقار وغيره وصارت بذلك أوراق جمكية العساكر فى أيدى النساء والأطفال وسواهم من غير المحاربين .

وقد علل استيف هذا بما ذكرناه فى الاقتباس الأول من أن السلاطين أنفسهم كانوا يتصرفون فى أوراق الجمكية كما يرون ويهبونها للمساجد وهكذا (مقالة استيف ص ٢٠٢ — ٢٠٣) .

مقتبسات من الجبرتى :

قال الجبرتى فى ختام حوادث سنة ١٢١٦ بمناسبة جلاء الفرنسيين عن مصر ان ولاة الأمور العثمانيين أخذوا يعيدون النظر فى مالية مصر ، وان من ضمن ما بحثوه أمر —

وقطعوا الطريق ، فاحتاج الأمر إلى رجل كبير من أهل الحروب [٦٩] وعساكر ، فعينوا صنجقاً من صناجق مصر يطلع بقافلة الحجاج ، فرتب له فى كل سنة مائتا كيس ، واستمر ذلك مدة طويلة ، فمن زيادة عوائد العربان وزيادة أسعار الأشياء زاد المبلغ شيئاً فشيئاً حتى بلغ ذلك المبلغ قدره ثمانمائة كيس .

السؤال الثالث

عن سبب مصاريف الحرمين ، فأجابه أنه فى سابق الزمان كان يرسل إلى الحرمين زيت طيب وشمع عسل وقناديل ما يحتاج اليه بغير قدر معلوم ، ففى وقت التحرير تثمن هذه الأشياء وترسل فى كل سنة .

السؤال الرابع

عن الموجبات والمرتبات والخيرات التى بمصر ، فأجابه أن جميع ذلك كان يصرف من بيت المال فى وقت التحرير ، وارتبط ذلك كله فى دفاتر ، وصار يصرف فى كل سنة من الروزنامة العامرة على جانب الميرى ، وصارت هذه [٧٠] المرتبات والخيرات يقع فيها البيع والشراء ، وصار الناس يملكونها بتمكين

= « الجامكية ومرتبات الغلال بالأنبار . وان من جملة رواج حال أهل مصر المتوسطين هذان الشيئان وهما الجمكية والغلال التى يقال لها الجرايات رتبها الملوك السالفة من الأموال الميرية للمساكر المنتسبة للوجاقات والمرابطين بالقلاع الكائنة حول الأقليم ، ومنها ما هو للأيتام والمشايخ المتقاعدين ونحوهم ، وكانت من أروج الايراد لأهل مصر وخصوصاً أهل الطبقة الذين ليس لهم اقطاع ولا زراعات ولا تجارات كأهل العلم ومساتير أولاد البلد والأرامل ونحوهم ، وثبت وتقرر إيرادها وصرفها فى كل ثلاثة أشهر من أول القرن العاشر إلى أواخر القرن الثانى عشر بحيث تقرر فى الأذهان عدم اختلالها أصلا ولما صارت بهذه المثابة تنافسوها بالبيع والشراء والفراغ ، وتغالوا فى أثمانها ورغبوا فيها وخصوصا لسلامتها من عوارض الهدم والبناء كما فى العقار ، وأوقفوها وأرصدوها على جهات الخيرات والصهاريج والمكاتب ومصالح المساجد ونفقات أهل الحرمين وأهل بيت المقدس ، وأفتى العلماء بصحة وقفها لعلة عدم تطرق الخلل ، فلما اختلت الأحوال وطمع الحكام فى الاموال الميرية ضعف شأنها ورخص سعرها وانحط قدرها وافتقر أربابها ولم تزل فى الانحطاط والتسفل حتى بيع الاصل والايراد بالغبن الفاحش جداً » .

ديوانى من نائب السلطة ، ومجموع تلك المصاريف كلها قدرها مبين فى الباب العاشر .

.الباب الخامس عشر
فى تعريف المواريث وما يخص بيت المال

السؤال الأول

عن مواريث الأموات كيف يقع فيها ، فأجابه أن جميع متروكات الميت تقسم على أولاده وعلى عياله ، فان كان له أولاد فلزوجته الثمن ، والباقى يقسم على ثلاثة أقسام ، الثلث منه للأنثى والثلثان منه للذكر ، وهذا لا يكون إلا بعد دفع الديون والمصاريف التى يحتاج اليها الميت وبعد حق الزوجة (فى) مؤخر الصداق، وهذا على طريقة الشريعة الاسلامية وأما خلافه لا يحيط علمنا به.

السؤال الثانى

عن الذى يخص بيت المال من متروكات الميت وأملاكه [٧١] ، فأجابه أن جميع متروكاته تكون لورثة الميت ، ولم يكن إلى بيت المال شىء ، فان لم يكن له أولاد ولا ورثة فللزوجة منه الربع وإلى بيت المال الثلاثة أرباع ، بعد دفع الديون وكامل المصاريف التى يحتاج اليها الميت ، وإن كان له أقارب من ذوى الأرحام وهم النساء فهم أولى من بيت المال .

السؤال الثالث

عن الذى يخص القاضى من ميراث الميت ، فأجبناه إن كان القاضى يحضر القسمة فى الميراث فله عوائد تخصم من أصل الميراث عن كل ألف وعشرون فضة حكم قانون مصر من قديم الزمان ، وإن كان الورثة يقع بينهم الرضى ويقسموا الميراث بينهم ، فلا يكون للقاضى شىء من ذلك .

السؤال الرابع

إذا كان الميت ليس له أولاد ما الحكم فيه ، فأجابه [٧٢] أن يكون ربع ميراثه إلى زوجته ، والباقى يقسم على الورثة حكم مراتبهم من بعد الديون وبعد المصاريف .

الباب السادس عشر

عن تعريف الأسئلة الآتى ذكرها فيه

السؤال الأول

عن دخول السلطان سليم بمصر كيف حصل في الأحوال ، فأجابه عن سبب دخول السلطان سليم كان ظلم السلطان الغورى وجماعة الچراكسة بالرعاية (بالرعية) والله سبحانه وتعالى أذاقهم الذل والخوف وأزالهم الله من كثرة ظلمهم بالعباد .

السؤال الثانى

ما السبب فى ظلم الغورى وجماعة الچراكسة ، فأجابه أن الذى أحوجه الظلم كثرة شراء المماليك وكثرت عليه المصاريف ، فظلم الناس والعباد ، فهذا هو السبب ، ولما خرج من مصر وتوجه إلى جهة حلب وإلى هناك بعدها [٧٣] لم يظهر وقطعت جميع الچراكسية بأجمعهم .

السؤال الثالث

من كان حين السلطان سليم ملك هذه المملكة فى مدته من المديرين فى هذه المملكة ، فأجابه أن المديرين فى مدته كانوا فصحا وعقلا ، وهم رتبوا هذا الحال والأموال الميرية باطلاعهم واطلاع السلطان سليمان بعد توجه السلطان سليم ورتبوا وربطوا هذه المملكة ترتيبا عظيما وربطا سديدا .

السؤال الرابع

عن ترتيب الشون من رتبه ، فأجابه أن الذى رتب الشون لغلال الميرى فهو فرعون ورتب معه تراتيب عظيمة وخيرات كثيرة ، ثم بعد ذلك لما حضر السلطان سليم ووجد تراتيب غلال الميرى بمصر ، ورتبه على العساكر والأوجاقات والمشايخ والأمراء والأغاوات والأفندية وباقى الناس ، ورتب إلى الشون مصرفا (أفندى المصرف) وكتبة ومباشرين [٧٤] مسلمين ونصاري وترآسا وخدما يجمعون الغلال الميرى من الملتزمين ويصرفونه بموجب الدفاتر المرتبة وعوائد الكتبة والخدم على جانب الغلال الميرية .

السؤال الخامس

عن تراتيب السلطان سليم رتبها حكم قديمها أم لا ، فأجابه أن السلطان الغورى كان ظالما ، وكان مرتبا خيرات ، فلما دخل السلطان سليم وأزاله ، زود الخيرات والمرتبات عن أول كثيرا وريح الناس جميعا ، وجعل لهم معايش ليتعيش منها العواجز والأيتام والغراب (والغرباء) وهذا كله لأجل رغبة الناس ومحبتهم فيه ، وصار الناس جميعا يدعون له ويترحمون عليه بعد موته .

السؤال السادس

من منفوع السلطان من هذه المملكة ، فأجاب إن هذه المملكة جميعا ملكه ولا ينظر إلى الانتفاع منها ، ورتب مصرفها على قدر أصلها ، وأما الخزنة (التى) أبقاها له (لنفسه) فجعلها تحت [٧٥] العمارات والانعامات التى يعطيها ، وجعل له وكيلا بمصر وهو الباشا وشرط عليه أن يحكم فى القاهرة بالشفقة والرحمة على أهلها لأنهم قوم ضعاف ، وجعل بمصر روزناميا مسلما عاقلا ، وهو وكيل عن السلطان فى الأموال الميرية ، وأمرهم بصرف جميع الخيرات من المال والغلال ، وللمذكور المشورة فى كامل الأمور ، وهو الذى يرد المشورة على الباشوات فى كامل الأمور الصالحة ، وحصل الشرط على الباشوات أن يكونوا على خراج الأوجاقلية (أى على رأيهم) فى كامل الأمور التى قررها وشرط بها السلطان ، وإن حصل أمر مخالف إلى الشروط فلهم أن يعرضوا إلى السلطان ويعزلونه ، وكذلك إن حصل من الأوجاقات شىء مخالف من الشروط فالباشا له أن يزجر المذكورين ويرفعهم عن مناصبهم ويؤدبهم الأدب اللائق بحالهم ، والروزنامجى المذكور يكون أمينا على أسرار السلاطين وأمواله ، وكذلك المقاطعات والخلفاء والكتبة التى تحت يده ، وعهدتهم الجميع عليه ، وان كان يحصل من المذكور خلاف ما ذكرناه يكون معزولا ومهانا ويقاصص بحسب أحواله . والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب ، واليه المرجع والمآب وصلى الله على من لانبى بعده ، وعلى آله وصحبه وسلم .

اختيارية — أرباب السجاجيد — اسباهية — أغاوات الباشا — أغاوات الأوجاقات — أغاوات قزلارية — أغا الانكشارية — أغا أو أمين دار الضرب — أغا البارودية أو الجبه جى باشى — أغا المهندسين والبنائين أو المعارجى باشى — أغاوات الجزية — أغاوات الحرم — أغاوات القلاع — أغا أو أمين المشاق — الأفندية — أفندى الشرقية — أفندى الغربية — أفندى الشهر — أفندى الغلال — أفندى المحاسبة — أفندى اليومية — أفندى المصرف — أفندى الكركشى — أفندى الرزق — أفندى الأوجاقات — أفندى المقابلة — أمير الحج — أمين الشون — أمين البحرين — أمين الخردة — انكشارية — أوجاق — أوضباشى (أوطه باشى).

الباشا — باش اختيار — باش قلفة الروزنامة.

تفكشيان — ترجمان.

ثانى خليفة الروزنامة — ثالث خليفة الروزنامة.

جاوشان — جمليان — جراكسة — الجبه جى باشى — جوربجية.

خزينة دار — خليفة وخلفا — الخولى.

الدفتردار — ديوان أفندى.

رابع خليفة الروزنامة — رئيس الديوان.

زعيم مصر.

سردار الحج — سردار الخزنة.

شاجرتيه — الشاهد — مشايخ البلاد — شيخ البلد.

الصنجق — صنجق طبل خانة — صنجق الخزنة — صناجق الولايات — صيارف الروزنامة — صراف باشى الروزنامة — صيارف البلاد.

عزبان.

الفرمنجى.

قاضى مصر — قافلة باشى — قائمقام — قبودان — قلفه — قلق.

كتخدا — كخيا — كتخدا جاوشان — كتبة الخزينة — كشاف — كيسه دار — كلاف متفرقة — المفتيون — المحتسب — مستحفظان — المشد — مهردار — معارجى باشى.

نواب القاضى — نقيب الأشراف.

والى — الوكيل.

يولداشات.

أثر أو أطيان مؤثرة أو أثرية — افراجات — التزام — أو تلاق — أوراق خدم العسكر — أوسية .

تذاكر چاوشية — تذاكر ديوانية — ترابيع — تقسيط — تلبيس — تمكينات .

جمكية وأوراق جمكية .

حلوان — حملة .

خرج — الخزنة .

ديوان .

السليانات .

صرة الحرمين وأوراق صرة .

فائض — فرمان — فضة ونصف فضة — فرق .

كركشى — كدوكات (گديك) — كشوفية — كلالة — كيس .

المال الحر — مال الجهات — محبوب — محلول — مخرجات — مضاف — ملتزمون — موجبات — مهاترة — الميرى — الميدى .

النبارى — النوبة .

صفحة

تمهيد ١
التعريف بحسين أفندى وأجوبته ٢
تحليل أجوبة حسين أفندى ٥
مذكرة بالمراجع التى استعين بها فى التعليق على الأجوبة . . . ٨
الباب الأول : التعريف بترتيب الديار المصرية . . . ٩

(١) نظام مصر عند فتح السلطان سليم لها ، (٢) الباشا وكيل السلطات بمصر ، (٣) إيراد الباشا وعوائده ، (٤) إيراد كتخدا الباشا ، (٥) عوائد المهردار ، (٦) عوائد الخزينة دار ، (٧) عوائد الترجمان ، (٨) عوائد ديوان أفندى ، (٩) التعريف برئيس الديوان وعوائده ، (١٠) أغاوات الباشا وعوائدهم . . . . . .

الباب الثانى : التعريف بصناجق مصر ١٣

(١) كتخداء الوزير ، (٢) القباطين ، (٣) أمير الحج ، (٤) الدفتردار ، (٥) صنجق الخزنة ، (٦) الصناجق حكام الولايات ، (٧) صناجق الخفر بالقاهرة

الباب الثالث : فى ترتيب الأوجاقات السبعة ١٧

(١) أوجاق متفرقة وخدمته ، (٢) أوجاق جاوشان وخدمته ، (٣) الأوجاقات الاسباهية وهى جمليان وتفكشيان وجراكسة ، (٤) أوجاق الانكشارية ، (٥) أوجاق العزب ، (٦) زعيم مصر أو والى القاهرة . . . .

الباب الرابع : فى التعريف بالحكام القاطعين بالأحكام الشرعية . . ٢٢

(١) القاضى ونوابه ، (٢) العلماء ومنهم المفتيون الأربعة والفقهاء ، (٣) أرباب السجاجيد ، (٤) نقيب الأشراف . . . .

الباب الخامس : فى التعريف بالأفندية وخدمتهم ٢٥

(١) الروزنامجى أو كبير الأفندية ، (٢) باش قلفة الروزنامة ، (٣) ثانى خليفة الروزنامة ، (٤) ثالث قلفة الرونامة ، (٥) رابع خليفة الرونامة ، (٦) أفندى الشرقية ، (٧) أفندى الغربية ، (٨) أفندى الشهر ، (٩) أفندى الغلال ، (١٠) أفندى المحاسبة ، (١١) أفندى اليومية ، (١٢) أفندى المصرف ، (١٣) أفندى الكركشى ، (١٤) أفندى الرزق ، (١٥) القرمنجى ، (١٦) كتبة الخزينة والصيارف وصراف باشا ، (١٧) أفندية الأوجاقات ، (١٨) أفندى المقابلة ، (١٩) ترتيب الروزنامة بصفة عمومية . . . .

الباب السادس : فى التعريف بولايات مصر وكيفية تحصيل مالها . . ٣٢

(١) أسماء ولايات الوجهين البحرى والقبلى ، (٢) كيفية تحصيل مال ولايات الوجه البحرى ، (٣) كيفية تحصيل مال ولايات الوجه القبلى ، (٤) كيفية تحصيل مال الفيوم ، (٥) كيفية تحصيل مال الاسكندرية ، (٦) كيفية تحصيل مال دمياط ، (٧) كيفية تحصيل مال أقليم البرلس ، (٨) كيفية تحصيل مال القاهرة . . . . . .

صفحة

الباب السابع : فى التعريف بالتزام الملتزمين ٣٥

(١) من هم الملتزمون ، (٢) مقدار حصص التزام الرعية فى أيام الاحتلال الفرنسى ، (٣) ترتيب بنادر الولايات ، (٤) حلوان حصص الالتزام التى يموت أصحابها ، (٥) تغيير المماليك لمقدار الحلوان . . . .

الباب الثامن : فى التعريف بكيفية وضع الملوك أيديهم على الأرض . . ٣٧

(١) ما فعله الملك العزيز ، (٢) أصل امتلاك الناس الأرض وما فعله سيدنا يوسف (٣) ما فعله سيدنا عمرو بن العاص عند فتح مصر ، (٤) الحلوان الذى كان يأخذه سيدنا عمرو . . . .

الباب التاسع : كيفية ترتيب السلطان سليم لمصر وكيفية ضبطه أطيانها . ٣٨

(١) كيفية تقسيمه البلاد ، (٢) كيفية ربطه المال على الأرض (٣ وظيفة شاهد البلد ، (٤) وظيفة مشايخ البلد وشيخهم ، (٥) وظيفة الصراف ، (٦) وظيفة الخولى ، (٧) وظيفة الوكيل ، (٨) وظيفة الكلاف ، (٩) وظيفة المشد .

الباب العاشر : فى التعريف بالميرى وتمكين الملتزم من الالتزام . . ٤١

(١) كيفية تحرير السلطان سليم للميرى ، (٢) ما حدث فى الميرى من الزيادة والنقصان ، (٣) مقدار الميرى ، (٤) بيان مصاريف الميرى ، (٥) ما هى خزنة السلطان ، (٦) مال الكوركجى ، (٧) تذاكر الجاوشية ، (٨) ميرى الأوقاف ، (٩) ميرى وقف المحمدية ، (١٠) ميرى وقف المرادية ، (١١) ميرى وقف الدشيشة الكبرى ، (١٣) أوقات تحصيل الميرى ، (١٤) نظام الأطيان الأميرية المستأجرة فى عهد الاحتلال الفرنسى ، (١٥) لمن كان إيراد جرك الرقيق ، (١٦) ما أحدثه المماليك من الحوادث ، (١٧) ما أحدثه المماليك فى وكالتى الارز والعصفر ، (١٨) من يعين الروزنامجى ، (١٩) نظام تأديب الافندية ، (٢٠) ترتيب أقلام الافندية ، (٢١) نظام دار الضرب ، (٢٢) لم أعطى ميرى دار الضرب للباشا . . . .

الباب الحادى عشر : فى التعريف بتمكين الملتزمين والفلاحين من الارض . ٥٠

(١) تمكين الملتزمين ، (٢) تمكين الفلاح من أثره ، (٣) هل للملتزم رفع الفلاح عن أثره ، (٤) هل للفلاح ترك أثره ، (٥) هل يورث أثر الفلاح .

الباب الثانى عشر : فى التعريف بما زاده حسن باشا فى الميرى . . ٥٢

(١) مقدار ما زاده حسن باشا فى الميرى ، لماذا أعيد الميرى إلى ما كان عليه

الباب الثالث عشر : فى التعريف بأسباب ترتيب الاموال الاميرية المختلفة . ٥٣

(١) ميرى الارض الزراعية ، (٢) ميرى الجمارك ، (٣) ميرى البهار ، (٤) ميرى البحرين ، (٥) ميرى الكشاف ، (٦) ميرى الدفتر دار ، (٧) ميرى آغاوات أوجاق متفرقة ، (٨) ميرى كتخدا جاوشان ، (٩) ميرى الترجمان ، (١٠) ميرى أغاوات وأفندية الاوجاقات ، (١١) ميرى الافندية ، (١٢) ميرى أمين الشون ، (١٣) ميرى المحتسب ، (١٤) ميرى أمين الخردة ، (١٥) ميرى شيخى الدلالين ، (١٦) ميرى أغات البارودية ، (١٧) ميرى أغات المهندسين

صفحة

والبنايين ، (١٨) ميرى قافلة باشى ، (١٩) ميرى سردار جرجا ، (٢٠) ميرى أغاوات القلاع ، (٢١) ميرى أمين الفرنخانة ، (٢٢) ميرى الجلود ، (٢٣) ميرى وكالة البهار ، (٢٤) ميرى اغاوات الجزية ، (٢٥) ميرى وقف سليمان باشا برشيد ، (٢٦) ميرى أوقاف أخرى ، (٢٧) ميرى خيار شنبر وسنامكى ، (٢٨) ميرى أمين المشاق ، (٢٩) ميرى الباشا . . . . .

الباب الرابع عشر : فى التعريف بأسباب ترتيب الصاريف الأميرية . . ٥٩

(١) سبب ترتيب صرة الحرمين ، (٢) سبب مصاريف أمير الحج ، (٣) سبب مصاريف الحرمين ، (٤) سبب الموجبات والمرتبات والخيرات . .

الباب الخامس عشر : فى التعريف بالمواريث وما يخص بيت المال . . ٦٢

(١) نظام المواريث ، (٢) نصيب بيت المال من التركات ، (٣) نصيب القاضى من تقسيم التركات ، (٤) تركة الذى ليس له أولاد . . .

الباب السادس عشر : فى الاجابة عن أسئلة شتى ٦٣

(١) سبب دخول السلطان سليم مصر ، (٢) أسباب ظلم السلطان الغورى والجراكسة ، (٣) حسن تدبير وزراء سليم وسليمان ، (٤) من أول من رتب شون الغلال الاميرية وما أحدثه السلطان سليم فيها ، (٥) الخيرات التى رتبها السلطان سليم ، (٦) ما هو وجه انتفاع السلاطين العثمانيين بمصر . .

ملحق بأسماء أصحاب الوظائف ٦٥

ملحق بالمصطلحات ٦٦

شفيق غربال

بعض ملاحظات جديدة

فى تاريخ دولة المماليك بمصر

دولة المماليك البحرية — السلطان الظاهر بيبرس — مشروع إحياء الخلافة العباسية ببغداد ومبايعة بيبرس للمنتصر بالله — انتقال الخلافة نهائيا إلى القاهرة بمبايعة الحاكم بأمر الله — بعض الشك فى نسب هذين الخليفتين — شرح بضعة ألفاظ اصطلاحية فى أنظمة دولة المماليك : — المملوك — الخشداشية — الأستاذ — التَّرابى .

تصدير :

أرى من الواجب العلمى أن أقدم لهذه المقالة بكلمة قصيرة ، وهى أنى لا أصفها بأكثر من كونها بضع ملاحظات عنت لى أثناء قراءتى واستقصائى من أجل عملى في نشر كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزى ، وقد رأيت أن أدون هذه الملاحظات حفظاً لها من النسيان ، على أن أعود إليها فيما بعد لتعديلها بحذف أو إضافة . وقد جعلت الحواشى فى الذيل ، حتى لا أستوقف القارىء بذكر المراجع فى كل صفحة .

***

اصطلح المؤرخون على تقسيم عهد سلاطين المماليك فى مصر إلى ثلاثة أقسام ، وهى عصر المماليك البحرية أو الأتراك ، وعصر المماليك البرجية أو الشراكسة ، وعصر المماليك العثمانيين أو البكوات . وهذا التقسيم جائز ، لا يستند كله إلى حقائق تاريخية ، وقد لاحظ سوبرنهايم (Sobernheim) ذلك فيما كتب تحت مادة « مماليك » فى دائرة المعارف الإسلامية [1] ، على أنى لست بمتعرض هنا لجميع هذا التقسيم الذى يوافق عليه المشتغلون بتاريخ مصر إلا بمقدار ما يخص الدولة الأولى من هذه الدول الثلاث .

سميت تلك الدولة باسم البحرية ، لأن سلاطينها كانوا تباعاً من فرقة المماليك المعروفة بذلك الاسم ، وهي التي أنشأها السلطان الملك الصالح أيوب إبان سلطنته (٦٣٧ — ٦٤٧ هـ ، ١٢٤٠ — ١٢٤٩ م) ، ولأن الصالح أيوب كان قد أطلق على تلك الفرقة هذا الاسم نسبة إلى « بحر » النيل ، إذ أسكنها معه قلعة الروضة ، التي بناها قبلا بتلك الجزيرة الواقعة وسط ذلك النهر [٢] . غير أن الصالح أيوب لم يكن أول من أوجد تلك الفرقة ، بل أنه ليس المخترع لتسميتها باسم البحرية ، وهذا على الرغم من إجماع المؤرخين على نسبة هاتين الحادثتين إليه . ذلك أنه كان لدى السلطان الكامل ، وهو أبو الصالح أيوب وسلفه في الحكم بمصر ، طائفة من الأجناد اسمها « البحرية [٣] العادلية » نسبة إلى أبيه السلطان العادل [٤] ، كما أن الفرقة التي أنشأها الصالح أيوب نفسه كانت تعرف باسم « البحرية [٥] الصالحية » ، ولا معنى لهذه النسبة سوى ما أريد بها من تمييز تلك الطائفة مما كان هناك من فرق بحرية أخرى منسوبة لمن سبق الصالح أيوب أو جاء بعده من السلاطين [٦] بمصر . وإذا أضيف إلى هذا أن لفظ البحرية — مجرداً عن وصف أو موصوف — كان مستعملا للدلالة على طائفة معينة من الأجناد النظامية في جيوش الأيوبيين والمماليك ، وأن هؤلاء الأجناد كانوا « يبيتون بالقلعة وحول دهاليز السلطان في السفر كالحرس [٧] » ، وأن البحرية الصالحية كانوا يعرفون أيضاً باسم « البحرية والجمدارية [٨] » ، وضح أن لفظ البحرية بمعنى الحرسية السلطانية أقدم من عهد الصالح أيوب ، وأن هذا السلطان لم يكن الأول في تسمية طائفة من طوائف مماليكه باسم المماليك البحرية .

ومما يقوى هذه النظرية أيضاً أن الصالح أيوب جعل تلك الطائفة حرسه الخاص فعلا ، فقد أسكنها معه قلعة الروضة من دون طوائف المماليك الأخرى ، واصطحبها معه إلى منزلة المنصورة حيث عسكر استعداداً لدفع الحملة الصليبية التي قدمت مصر بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا [٩] . ويزيد هذه النظرية رجحاناً أن لفظ البحرية بمعناه العام — أي فرقة الحرس في الظعن والأسفار — واردة كثيراً في كتب المؤرخين المصريين [١٠] ،

وأن السلطان قلاون (٦٧٩ — ٦٨٩ هـ ، ١٢٧٩ — ١٢٩٠ م) أنشأ من ذرارى « البحرية الصالحية » فرقة جديدة سماها البحرية . ورسم لهـا بالجلوس على باب قلعة الجبل ، وأن هذه الفرقة وأشباهها من الحرسية بقلاع مصر والشام بقيت معروفة بذلك الاسم إلى زمن القلقشندى والمقريزى ، أى حتى القرن التاسع الهجرى [١١] .

ثم إذا سلمنا جدلا بأن الصالح أيوب أول من رتب المماليك البحرية وسماهم بذلك الاسم ، فإن إطلاق لفظ البحرية على جميع سلاطين تلك الدولة بمصر لايتسق وبعض الحقائق التاريخية المتواترة . ذلك أن الملكة شجرة الدر أم خليل — وهى أول من تسلطن فى تلك الدولة — لم تكن بحكم صفة الأنوثة من الأجناد حتى يصح اعتبارها من فرقة البحرية الصالحية ، مثل أيبك وقطز وبيبرس الذين تسلطنوا فيما بعد ، وهى وإن كانت مما ملكت يد الصالح أيوب فعلا ، فإنه لم يشترها ضمن من اشتراهم لتكوين فرقة البحرية إبان سلطنته ، بل قد كانت عنده جارية أم ولد ، بعثها إليه الخليفة المستعصم من بغداد منذ أيام إمارته بالشام ، وقد ظلت معه حينما حبسه الملك الناصر صاحب حلب بالكرك [١٢] سنة ٦٣٧ هـ (١٢٣٩ م) . ثم إن السلطان قطز (٦٥٧ — ٦٥٨ هـ ، ١٢٥٩ — ١٢٦٠ م) ، وهو ثالث سلاطين تلك الدولة ، لم يعتبر من البحرية البتة ، إذ لم يكن من مماليك الصالح أيوب حتى تصح له هذه النسبة ، بل كان مملوكا للسلطان أيبك [١٣] . ولعل أقطع دليل على عدم انتسابه إلى تلك الفرقة ، أنه لما علم الناس فى مصر بقتله سنة ٦٥٨ هـ ، « خافوا من عودة دولة المماليك البحرية [١٤] » . ثم إن السلطان بيبرس الجاشنكير (٧٠٨ — ٧٠٩ هـ ، ١٣٠٨ — ١٣٠٩ م) ، وهو المعروف فى ترتيب تلك الدولة باسم بيبرس الثانى ، لم ينتسب إلى البحرية قط ، إذ أنه من طائفة المماليك البرجية التى أنشأها السلطان قلاون أثناء سلطنته [١٥] . ويضاف إلى هذا كله أنه إن صح إطلاق اسم البحرية على السلاطين أمثال أيبك وقطز وبيبرس البندقدارى وقلاون ، فإنه لايمكن تطبيق هذه التسمية على أبنائهم الذين تسلطنوا بعدهم ، فأولئك لم يكونوا مماليك فى يوم من الأيام ، بل درجوا فى العز والأمارة كأولياء العهد للسلطنة من بعد آبائهم .

أما تسمية تلك الدولة باسم دولة المماليك الأتراك [١٦]، فهو أقل صلاحية من إطلاق إسم المماليك البحرية عليهم. ذلك أنه مهما قيل في أصل كل من سلاطينها، فالقول بأنهم في الأصل أجلاب من أسواق النخاسة البيضاء بالشام وآسيا الصغرى والجنوب الشرقي من أوربة كفيل وحده بالشك فى صحة جنسيتهم. وهذا فضلا عما يوجد من الأدلة التاريخية التى تنفى أنهم كانوا جميعاً من الأتراك: فالسلطانة شجر الدر أرمينية [١٧] (يقال أيضاً إنها تركية الأصل)، والسلطان العادل كتبغا (٦٩٤ — ٦٩٦ هـ، ١٢٩٤ — ١٢٩٦م) مغول الأصل، وكان صهراً لهولاكو نفسه، وقد أسره المماليك فى وقعة حمص [١٨] سنة ٦٨٠ هـ (١٢٨١ م)، والسلطان لاجين (٦٩٦ — ٦٩٨ هـ ١٢٩٦ — ١٢٩٨ م) يقال إنه من أبناء إحدى البلاد الواقعة على البحر البلطى بالشمال الغربى من أوربة، وقد كان انخرط فى سلك فرقة الفرسان التيوتون المسيحية (Ordre des Chevaliers Teutoniques)، وحارب فى صفوفها ضد الوثنيين سكان إقليم ليفونية (Livonie) على البحر البلطى، وجاء إلى الشام صليبياً يبتغى مع الصليبيين تخليص بيت المقدس من المسلمين ثم اعتنق الاسلام بعد ذلك وصار فى زمرة المماليك بمصر، ومازال يتقلب فى الخدَم والوظائف حتى آلت إليه السلطنة [١٩].

ولقد كان السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس [٢٠] البندقدارى الصالحى (٦٥٨ — ٦٧٦ هـ، ١٢٦٠ — ١٢٧٧ م) أقوى شخصيات هذه الدولة وأكثرها توفيقاً فى أعماله الحربية والسلمية. غير أنه لم يكن بطل وقعة غزة (٦٤٢ هـ، ١٢٤٤ م) كما تواتر فى كتب المؤرخين الحديثين [٢١]، وهى الوقعة التى انتصرت فيها جنود الصالح أيوب والخوارزمية على جيوش الصليبيين وحلفائهم من ملوك بنى أيوب بالشام، والتى لم تقم بعدها للصليبيين قائمة بالشرق. وإنما كان بطل تلك الواقعة الحاسمة مملوك آخر للصالح أيوب اسمه أيضاً ركن الدين بيبرس، وأصله من مماليك السلطان الكامل، ثم انتقل إلى خدمة الصالح أيوب وصار من خلصائه، وقد توفى هذا المملوك سنة ٦٤٤ هـ [٢٢] (١٢٤٦ م). على أن الظاهر بيبرس كان أثناء إمارته فى عهد السلطان قطز قائداً لوقعة أخرى عند غزة، وهى الوقعة الظافرة

التى سبقت نصرة المماليك على جيوش هولاكو عند عين جالوت قرب بيسان سنة ٦٥٩ هـ (١٢٦٠ م) ؛ فلعل اقتران اسمه بتلك الوقعة الأخري عند غزة هى التى أدت إلى تلك الغلطة التاريخية الشائعة .

هذا والمشهور أن الظاهر بيبرس هو الذى فكر فى اجتذاب الخلافة العباسية إلى القاهرة (٢٣) ، وأن نجاحه فى ذلك المشروع قد أقال الخلافة من عثرتها الدامية التى لحقتها على يد هولاكو وجنوده . غير أنه من باب وضع الأمور فى مواضعها أن يعرف أولا أن بيبرس ليس أول من فكر فى ذلك المشروع من الملوك والسلاطين الذين تداولوا الحكم فى مصر الاسلامية ، وإنما هو الذى نجح فى تحقيقه فحسب : فقد حاول أحمد بن طولون اجتذاب الخليفة المعتمد سنة ٢٦٩ هـ (٨٨٢ م) إلى مصر ، كأنما أراد بذلك أن يلبس دولته الجديدة ثوباً شرعياً ؛ وفكر محمد الاخشيد في مثل ذلك حينما ذهب إلى الشام سنة ٣٣٣ هـ (٩٤٤ م) لاغاثة الخليفة المتقى من جور الأمراء الأتراك الحمدانيين بحلب (٢٤) . ثم إنه لما وجد أمراء المماليك البحرية الصالحية أن السلطنة فى مصر قد أضحت فى أيديهم بعد قتل المعظم توران شاه سنة ٦٤٧ هـ (١٢٥٠ م) ، رأوا أن يسيجوا دولتهم بموافقة الخليفة العباسى ورضاه ، وذلك رغبة فى التحصن مما حاوله أبناء البيت الأيوبى بالشام من أجل استرجاع السلطنة بمصر (٢٥) .

وقد فعل ذلك أمراء المماليك عندما أعلنوا سلطنة شجر الدر ، فأرسلوا إلى بغداد يلتمسون الموافقة من الخليفة على ذلك الاختيار، ثم ما لبثوا أن خلعوا تلك السلطانة الماهرة ، وأقاموا مكانها المعز أيبك ، بعد أن جاءهم كتاب المستعصم ينعى عليهم إقامة امرأة فى السلطنة ، إذ ورد فيه « إن كانت الرجال قد عدمت عندكم فأعلمونا حتى نسير إليكم رجلا (٢٦) » . وقد لجأ المعز أيبك إلى الخلافة العباسية في الشهور الأولى من سلطنته ، عندما بلغه أن جماعة من العسكر غير راضية عنه ، وأنهم عازمون على إقامة أحد أبناء البيت الأيوبي — وهو الملك المغيث عمر — فى السلطنة ، وذلك بأن أمر فنادى فى القاهرة ومصر « إن البلاد للخليفة المستعصم بالله العباسى ، وإن الملك المعز نائبه

بها[٢٧] » . وفى سنة ٦٥٤ هـ (١٢٥٦) لجأ المعز أيبك إلى تلك الوسيلة مرة ثانية ، بعد أن صالح أشد الطامعين فى سلطنة مصر من الأيوبيين ، وهو الناصر صاحب حلب ودمشق ، فأرسل إلى الخليفة ببغداد « يلتمس تشريفه بالتقليد والخلع والألوية ، أسوة من تقدمه من ملوك مصر » .

ثم حدث بعد ذلك بسنتين أن تمزقت الخلافة بسقوط بغداد فى يد هولاكو ، وقتل الخليفة المستعصم وولده وغيرهم من أكابر بغداد ، وفرّ من أبناء البيت العباسى ومن رجالهم كل من استطاع إلى الفرار سبيلا . وقد غير ذلك الحدث من سياسة سلاطين المماليك نحو الخلافة ، فأخذوا من ثم يعملون على اجتذاب من استطاعوا من الفارين من أبناء البيت العباسى وغيرهم إلى القاهرة ويظهر أن سلطان ذلك الوقت — وهو قطز — كان يفكر فى إمكان إعادة الخلافة إلى بغداد . والدليل على ذلك أنه — وهو بطل النصر الباهر على التتار فى وقعة عين جالوت — استدعى إلى دمشق حيث كان مقيما بعد نصرته هذه ، أحد أبناء البيت العباسى الواصلين إلى الشام حديثاً ، واسمه أبو العباس أحمد ، واجتمع به وبايعه[٢٨] بالخلافة . وقد رجع هذا « الخليفة » من عند قطز ، وفى خدمته جماعة من العرب ، فافتتح بهم عانة والحديثة والأنبار من بلاد العراق ، وصاف شرذمة من عسكر التتر وانتصر عليهم[٢٩] .

ثم حدث أن اغتيل السلطان قطز على يد الأمير ركن الدين بيبرس البندقدارى الصالحى الذى آلت إليه السلطنة ، فأرسل السلطان الجديد إلى أبى العباس أحمد هذا يستدعيه إلى حضرته ، فقدم دمشق حيث جهزه نائبها وبعثه إلى القاهرة . غير أن أبا العباس كان قليل الحظ — تلك المرة على الأقل —[٣٠] ، إذ أن سليلا آخر من أبناء البيت العباسى ، واسمه أبو القاسم أحمد ، كان قد سبقه إلى بيبرس[٣١] . ففضل أبو العباس الرجوع إلى الشام وقصد حلب حيث بايعه أميرها شمس الدين أقوش البرلى الخارج عن طاعة السلطان ، كما بايعه غيره من زعماء حلب[٣٢] . وقد أمده هذا الأمير بسبعمائة فارس من التركمان ، فقصد بهم عانة يريد مناوشة التتر مرة أخرى ، ويظهر أنه أقام هناك مدة[٣٣] .

أما أبو القاسم أحمد فقد وصل إلى الديار المصرية فى جماعة من العربان ، فتلقاه السلطان بيبرس خارج القاهرة ، وأنزله بقلعة الجبل ، وبالغ فى إكرامه وإقامة ناموسه . ثم عقد مجلس عام حضره جميع رجال الدولة وكبار التجار والناس ، وشهد جماعة العربان وخادم من البغاددة أمام هذا الجمع بأن الأمير أبا القاسم أحمد ابن الخليفة الظاهر العباسى ، كما شهد بالاستفاضة من حضر من القضاة . عند ذلك أعلن قاضى القضاة قبوله لشهادات القوم ، وأسجل على نفسه بالثبوت ، وقام فبايع أبا القاسم الذى لقب بالمستنصر بالله ، ثم تبعه السلطان وجميع من حضر المجلس من القضاة والفقهاء . فلما تمت البيعة قلد الخليفة السلطان بيبرس « البلاد الاسلامية وما ينضاف إليها ، وما سيفتحه الله على يديه من بلاد الكفار » ، وبعد ذلك قام جميع من حضر فبايعوا الخليفة على اختلاف طبقاتهم . ثم كتب السلطان فى نفس اليوم إلى الملوك والنواب بسائر الممالك أن يأخذوا البيعة على من قبلهم للخليفة الجديد ، وأن يدعى له من المنابر ثم يدعي للسلطان بعده ، وأن تنقش السكة باسمهما[٣٤] .

أخذ بيبرس بعد ذلك بقليل يجهز الخليفة بالمال والسلاح والجند والكراع لاسترداد بغداد من التتر وإرجاع الخلافة إليها ، ويقال إن مبلغ ما أنفق فى هذا المشروع لم يقل عن ألف ألف دينار[٣٥] . وخرج السلطان مع الخليفة إلى دمشق ، وفى عزمه أن يكون عدد الجيش الخليفى عشرة آلاف فارس غير أن أحد أمراء الموصل وسوس إلى السلطان وهو بدمشق « أن الخليفة إذا استقر أمره ببغداد نازعك وأخرجك من مصر[٣٦] » ، فأوجس خيفة بيبرس ، ولم يجهز الخليفة بأكثر من ثلاثمائة فارس ، كأنما أراد بذلك أن يلقي به التهلكة . وسار الخليفة بهذا العدد اليسير إلى الرحبة ، حيث انضاف اليه أربعمائة فارس من عرب العراق الذين كان قد لجأ اليهم فى أول أمره ، كما لحق به ستون مملوكا من مماليك الموصل ، وثلاثون فارساً من عسكر حماة . وتقدم الخليفة بذلك الجند المنوع من الرحبة الى مشهد على ، حيث وجد صنوه أبا العباس أحمد فى سبعمائة فارس من التركمان[٣٧] ، فاتفقا بعد مفاوضة على اجتماع الكلمة لاقامة الدولة العباسية ، ومضيا معاً الى الحديثة يريدان هيت[٣٨] وبالقرب من هيت التقت جيوش التتر بعساكر الخليفة ، وكان أمراً مقضياً ، اذ أحاطوا بهم

وغلبوهم ، وأتوا على معظمهم ، ولم يفلت منهم سوى الأمير أبى العباس أحمد وبضعة من القواد فى نحو الخمسين فارساً . أما الخليفة المنكود فلم يعرف له خبر ، فيقال إنه قتل بالمعركة ، ويقال بل نجا فى طائفة من العرب فمات عندهم (٣٩) .

هنا سنحت الفرصة للأمير أبى العباس أحمد ، وسواء أكان الظاهر بيبرس قد أرسل إليه يستدعيه إلى القاهرة أو لم يرسل ، فالمعروف أن هذا الأمير العباسى وصل إلى دمشق بعد وقعة هيت بشهر فقط ، وأنه خرج منها يريد مصر ، وأن بيبرس احتفل به وأنزله بقلعة الجبل كما فعل مع المستنصر (٤٠) . على أنه يظهر أن السلطان بدأ يفكر فى تلك الآونة فى إقامة الخلافة العباسية بمصر ، إذ وصل القاهرة بعد أبى العباس أحمد بأيام فقط جماعة من مماليك الخليفة المستعصم الذين كانوا قد فروا إلى الحجاز من وجه التتر ، وكان حضور هؤلاء بناء على أمر بيبرس (٤١) ، كما حضر كذلك أيضاً بعدهم بقليل عدة من شيوخ عرب العراق (٤٢) . ثم أخذ بيبرس يعمل لمبايعة أبى العباس بالخلافة ، فعقد هذه المرة أيضاً مجلسا عاما بالايوان الكبير بقلعة الجبل ، وجاء أبو العباس فقرىء نسبه على الناس بعد ما ثبت على قاضى القضاة ، ولقب بالحاكم بأمر الله ، وبايعه السلطان على ذلك . فلما تمت البيعة أقبل الخليفة على السلطان وقلده أمور البلاد والعباد ، ثم أخذ الناس على اختلاف طبقاتهم فى مبايعة هذا الخليفة الثانى (٤٣) . وكان اليوم التالى لهذا يوم جمعة ، فخطب فيه من منابر مصر والقاهرة بالدعاء للخليفة ، كما خطب فيما بعد على منابر دمشق ومكة والمدينة والقدس (٤٤) .

هكذا أحييت الخلافة العباسية للمرة الثانية بالقاهرة ، غير أنه لم يكن من المعقول أو المنتظر أن يفكر بيبرس فى إعداد هذا الخليفة أيضا لاسترجاع بغداد وإقامة الخلافة بها ، بل إنه عزم على أن يكون مقامه القاهرة ، حيث يكون الخليفة على مقربة منه وتحت عينه . ولم يرد السلطان بذلك أن يخلق فى عاصمته سلطة — دينية أو سياسية — بجانب سلطته ، بل قصد أن يكون الخليفة شخصية نافعة فحسب ، يستمد منها ويستأديها ما تحتاجه دولة المماليك من الحماية الروحية يدل على ذلك أن السلطان لم يأمر تلك المرة بأن يقرن

اسم الخليفة باسمه على السكة ، كما فعل مع المستنصر بالله ، وأنه أسكنه أحد أبراج القلعة محترزاً عليه ، ولم يترك له غير الدعاء فى الخطبة «لا غير ذلك[٤٥]» .

وعلى هذا فلم تكسب الخلافة العباسية فى إحيائها إلا كسبا زائفا ، أما الذين أفادوا من ذلك الاحياء فسلاطين المماليك والقاهرة عاصمتهم : إذ صار السلاطين من ذلك الوقت إلى الفتح العثمانى لمصر يفرضون لأنفسهم مقاماً سامياً على ملوك العالم الاسلامى باعتبارهم حماة الخلافة والمتمتعون ببيعتها[٤٦] ، أما القاهرة فقد بسقت فى شمس شهرة دينية واسعة ، إذ صارت مركز الخلافة وذلك فوق شهرتها التجارية التى كانت قد جعلت هولاكو يسميها « كروان سراى » فى إحدى رسائله ، أى محط الرحال والمتاجر والمال[٤٧] .

إنما يظهر على الرغم من ثبوت نسب الخليفتين المستنصر والحاكم عند السلطان ورجال دولته ، أن كان هناك بعض الشك فى صحة انتساب هذين الخليفتين إلى البيت العباسى ، فقد جاء فى تاريخ أبى الفداء[٤٨] ، تحت سنة ٦٥٩ هـ ، ما يفهم منه أنه — وهو معاصر[٤٩] تقريباً — ، كان شاكا فى صحة نسبة المستنصر ، ونصه : « فى هذه السنة فى رجب قدم إلى مصر جماعة من العرب ، ومعهم شخص أسود اللون اسمه أحمد ، زعموا أنه ابن الامام الظاهر بالله ابن الامام الناصر ، وأنه خرج من دار الخلافة ببغداد لما ملكها التتر . فعقد الملك الظاهر بيبرس مجلسا حضر فيه جماعة من الأكابر . . . ، فشهد أولئك العرب أن هذا الشخص المذكور هو ابن الظاهر محمد ابن الامام الناصر ، فيكون عم المستعصم . . . . وبايعه الملك الظاهر والناس بالخلافة ، واهتم الملك الظاهر بأمره وعمل له الدهاليز والجمدارية وآلات الخلافة ، واستخدم له عسكرا وغرم على تجهيزه جملا طائلة ، قيل إن قدر ما غرمه عليه كان ألف ألف دينار ... وبرز الملك الظاهر والخليفة الأسود المذكور وتوجها إلى دمشق[٥٠] . . . » ويظهر أن هذا الشك تسرب إلى العامة من الناس بالقاهرة وغيرها ، بدليل تلقيبهم للمستنصر بلقب « الزراتيتى » ، وهو لقب غريب سرى عليه[٥١] .

ويوجد أيضا فى تاريخ أبى الفداء ، تحت سنة ٦٦١ هـ ، عبارة بشأن الخليفة الحاكم بأمر الله فيها التفات ، وهى وإن لم تحتو على تشكيك واضح فى نسبة هذا الخليفة كالتشكيك السابق بصدد الخليفة المستنصر ، فانها لم تخل من الغمز ، ونصها : « وفي أواخر ذى الحجة من هذه السنة جلس السلطان الملك الظاهر مجلسا عاما ، وأحضر شخصاً كان قد قدم إلى الديار المصرية فى سنة تسع وخمسين وستمائة ، من نسل بنى العباس يسمى أحمد ، بعد أن أثبت نسبه ، وبايعه بالخلافة ، ولقب أحمد المذكور الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين » .

ومما يدل على أن تلك الشكوك لم تخمد بقيام الحاكم بأمر الله ، وأن أناسا ظنوا أنهم مستطيعون ما استطاع كل من المستنصر والحاكم ، أن شخصين قدما على السلطان بيبرس وهو بدمشق سنة ٦٦٤ هـ ، أى بعد مبايعة الحاكم بثلاث سنوات ، فادعى أحدهما أنه ابن الخليفة المستعصم ، يريد بذلك أنه أحق بالخلافة من الحاكم بأمر الله ، وذكر الثانى أنه من أبناء الخلفاء ، وقد تبين للسلطان كذب الاثنين ، فسيرهما إلى مصر حيث سجنا [٥٣] .

أنتقل هنا إلى مناقشة بضعة ألفاظ خاصة بمصطلح دولة المماليك بمصر ، وهى المملوك ، والخشداش ، والأستاذ ، والترابى ، وهذه الألفاظ ما عدا الأخير منها معروفة المعنى فى الكتب الحديثة المؤلفة فى تاريخ المماليك ، ولا يعدو الغرض من مناقشتها هنا سوى إضافة ملاحظات جديدة مكملة لمعانيها المتواترة فى الكتب ، لعلها تلقى ضوءا جديدا على بعض حوادث تلك العصور . أما لفظ المملوك الذى صار جمعه علما على تلك الدولة ، فقد كان السلاطين ينعتون أنفسهم به فى رسائلهم إلى ملوك الدول الإسلامية فقط ، وإلى زملائهم الأقدمين من كبار الأمراء فى الدولة [٥٤] . غير أنه لم يكن الغرض من هذا النمط فى الكتابة إظهار التواضع أو الخجل ؛ بل تقرير الحال الواقعة والمباهاة بها لدى ملوك الإسلام ، أو السياسة والمداورة قبل كبار الأمراء . ذلك أن السلطان المملوكي كان أبعد ما يكون من الخجل من أصله أو فصله أو نشأته [٥٥] عند كتابه لفظ « مملوك » إلى ملوك الدول الإسلامية [٥٦] ، وكان غرضه من مخاطبة كبار الزملاء بهذه الصيغة أن يشعرهم — وهو منهم

وقد نشأ نشأتهم — أنه لا يتسامى عليهم أو ينسى مكانه بينهم على الرغم من سلطنته [٥٧] .

والواقع أن علاقة الزمالة بين المماليك ، وهي المعبر عنها في المراجع المعاصرة بلفظ الخشداشية [٥٨] ، كانت أقوى الروابط بينهم جميعا من أمراء وسلاطين ، بل إن نظام التعاقب الوحيد الذي جرى عرفهم عليه كان قائما عليها ، إذ كانت الطائفة الأقوى من بينهم تنتخب للسلطنة غالبا أقدم زملائها أو أكبرها سنا [٥٩] ، وتخلع من أجله ابن السلطان المتوفى على الرغم من الأيمان والمواثيق السابقة . ويشبه هذه الرابطة أهمية وأثرا في تاريخ المماليك علاقة الأستاذ بمماليكه الذين اشتراهم لنفسه ، إذ كان إخلاصهم له دون غيره ، وموقفهم بازاء الحوادث الطارئة مستمد من موقفه وكان ذلك كله راجعا إلى قلة الروابط الأخرى بين أمراء المماليك ، إذ كانوا يجلبون من مختلف أسواق النخاسة البيضاء ، فلم يوجد بينهم من الروابط سوى ما جد عليهم بمصر [٦٠] .

ولقد كان من بين صفوف المماليك طائفة لا تمت لنظامهم بشيء سوى أنهم كانوا يعيشون مثلهم حول البلاط السلطاني ، يتنعمون بانعامه وإماراته ووظائفه . تلك هي طائفة الترابي ، التي تكونت منذ أيام الدولة الفاطمية بمصر من صغار أسرى الحروب ، إذ « كانت العادة أن الأسرى ينزل بهم في المناخ [٦١] ، وتضاف الرجال إلى من فيه من الأسرى ، ويمضى بالنساء والأطفال إلى القصر بعد ما يعطى الوزير منهم طائفة ، ويفرق ما بقي من النساء على الجهات والأقارب فيستخدموهن ويربوهن حتى يتقن الصنائع ، ويدفع الصغار من الأسرى إلى الأستاذين [٦٢] ، فيربونهم ويتعلمون الكتابة والرماية ، ويقال لهم الترابي ومنهم من صار أميراً من صبيان [٦٣] خاص الخليفة » . وظلت تلك الطائفة موجودة أيام الدولتين الأيوبية والمملوكية ، ويلاحظ أن أصلها أشبه ما يكون بأصل بعض العناصر التي تكونت منها الإنكشارية في الدولة العثمانية [٦٤] . غير أن الترابي لم تلعب في حوادث دولتي الأيوبيين والمماليك بمصر دورا ظاهراً مثل الذي قامت به الإنكشارية في الدولة العثمانية ، لأنها لم تخصص مثل الإنكشارية للحياة الحربية وميادين القتال ، بل ظلت فئة حول بلاط السلطان ،

يكون منهم الغلمان وخدام القصر . على أن وجودهم لم يخل من أثر فى تاريخ بعض السلاطين ، فقد كان تقريب السلطان العادل الثانى إليهم ، وإعطاؤهم الأموال والإقطاعات ، والاقتداء بآرائهم ، أحد الأسباب التى أوحشت منه أكابر الدولة ، مما أدى أخيرا إلى خلعه [٦٥] . وقد كان إعراض السلطان المعظم توران شاه عن ترابى أبيه وغلمانه ومماليكه ، واطراحه لأكابر الأمراء أيضا ، واختصاصه بجماعته الذين قدموا معه من إمارته الصغيرة بحصن كيفا ، سبباً فى المؤامرة الشنيعة التى انتهت بقتله ، وكان ذلك آخر العهد بالدولة الأيوبية بأرض النيل [٦٦] .

الحواشي

(١) راجع (Enc. Isl. Art. Mamlūks)، حيث جاء في هذا الصدد ما نصه بالانجليزية:
" A somewhat arbitrary distinction is made between two dynasties, the Bahri . . . and the Burdji . . "

(٢) أنظر المقريزى: كتاب السلوك، ج ١ ص ٣٠١، ٣٣٩ — ٣٤٠، ابن دقاق: كتاب الانتصار، ج ٤ ص ١٠٩ — ١١٠، القلقشندى: صبح الأعشى، ج ٣، ص ٣٣٩، ج ٤ ص ١٧، وغيرهم. هذا وجميع المراجع الأخرى، من مصرية وأجنبية، متفقة على ذلك الاصطلاح وتلك النسبة، راجع مثلا (Enc. Isl. Arts. Mamlūks & Bahri; Précis de l'Histoire d'Egypte, Tome 2, p. 227).

(٣) المقريزى: كتاب السلوك، ج ١، ص ٢٢٣، وحاشية ٢ بنفس الصفحة.

(٤) يلاحظ أن السلطان العادل أبو الكامل وجد الصالح، وأنه سبقهما فى السلطنة على مصر، ويستنتج من ذلك أن البحرية العادلية يرجعون فى الواقع إلى أواسط الدولة الأيوبية، إن لم يكونوا فى أوائلها.

(٥) المقريزى: المواعظ والاعتبار (طبعة بولاق)، ج ٢، ص ٢١٧؛ بيبرس المنصورى: زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة (مخطوطة المتحف البريطانى)، ج ٩، ص ٩٦ب، ١١٠ ب.

(٦) انظر النويرى: نهاية الأرب (مخطوطة باريس)، ج ٢٩، ص ٢٧٨ ا، وبيبرس المنصورى: زبدة الفكرة، ج ٩، ص ١١١ ا، والمقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ١، ص ٦٨٦، حيث ورد بها جميعا ذكر « البحرية الظاهرية »، أى المنسوبة للسلطان الظاهر بيبرس.

(٧) راجع القلقشندى (صبح الأعشى، ج ٤ ص ١٥)، حيث يقول إن الأجناد فى الجيش ثلاث طبقات، وهى المماليك السلطانية، وأجناد الحلقة، والبحرية. وقد عرف الطبقة الثالثة بما أورد هنا فى صلب المقالة، وأردفه بتقرير « أن اول من رتبهم وسماهم بهذا الاسم الملك الصالح نجم الدين أيوب . . . »، وهذا القول وأشباهه فى المراجع الأخرى هو ما أتعرض لمناقشته هنا.

(٨) هذه التسمية المزدوجة واردة فى المقريزى (كتاب السلوك، ج ١ ص ٣٥٠) كالآتى: « الطائفة التركية التى تعرف بالبحرية والجدارية ». والجدارية طائفة من رجال البلاط السلطانى، والجدار حسبما ورد فى القلقشندى (صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٥٩) هو الذى « يتصدى لالباس السلطان أو الأمير ثيابه . . . وهو فى الأصل مركب من لفظين فارسيين، أحدهما جاما ومعناه الثوب، والثانى دار ومعناه ممسك . . فيكون المعنى ممسك الثوب ».

(٩) المعروف أن فرقة البحرية الصالحية كانت معسكرة حول قصر السلطان بمنزلة المنصورة (انظر المقريزى : كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٣٥٠). وهذه الحقيقة مما يقرب معنى لفظ البحرية إلى المدلول العام المشار إليه.

(١٠) جاء فى المقريزى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٥٦٧ — ٥٦٨) ، تحت سنة ٦٦٠ هـ ، مانصه : « فرسم السلطان بتجريد الأمير شمس الدين سنقر الرومى فى جماعة من الحلقة والبحرية » . وفى نفس المرجع والجزء (ص ٦١٢) ، تحت سنة ٦٧٢ هـ ؛ العبارة التالية : « وأطلق السلطان من التشاريف ما عم به سائر من فى خدمته ، من ملك ووزير ، ومقدمى الحلقة والبحرية ، ومقدمى المماليك والمفردية ، ومقدمى البيوتات السلطانية ، وكل صاحب شغل . . . » . انظر أيضا نفس المرجع والجزء (ص ٣٧١ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٦ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٦ ، ٣٨٨ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٦ ، ٤٠١ ، ٤٦٩ ، ٤٧٤ ، ٥١٨ ، ٥١٩ ، ٦٥٥ ، ٦٥٨) .

(١١) المقريزى : المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٢١٧ ؛ المقريزى : كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٦٥٨ ؛ القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ١٨٢ ، ١٨٥

(١٢) يوجد فى عبارة المقريزى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٢٨٩) بصدد سجن الصالح أيوب بالكرك ، دعابة وسخرية لطيفتين ، ونصها « وبعث الناصر به إلى الكرك ولم يترك معه غير مملوك واحد يقال له ركن الدين بيبرس ، وبعث معه جاريته شجر الدر أم ولده خليل ، وأنزله بالقلعة ، وقام بجميع مايحتاج إليه ، بحيث لم يختل من حاله سوى أنه فقد الملك فقط » . هذا وركن الدين بيبرس المذكور هنا غير الأمير ركن الدين بيبرس البندقدارى الذى تسلطن فيما بعد أنظر ص ٧٤

(١٣) راجع (Enc. Isl. Art. Kutuz) ، حيث ورد أن اسم قطز الاصلى محمود ابن ممدود ، وأن أمه أخت السلطان جلال الدين خوارزم شاه ، وأن أباه ابن عم السلطان جلال الدين ، وأنه سبى عند التتار وبيع بدمشق للسلطان أيبك . انظر أيضا المقريزى : كتاب السلوك ج ١ ، ص ٤١٧ ، حاشية ٢ ، ص ٤٢٧ ، حاشية ٣ ؛ ص ٤٣٧ حاشية ٣ ، ابن واصل : مفرج الكروب (مخطوطة باريس) ، ص ٣٩١ ا .

(١٤) المقريزى : كتاب السلوك ، ج ١ ص ٤٣٧ ، ويلاحظ أن فرقة المماليك البحرية الصالحية ، وعلى رأسها بيبرس البندقدارى ، كانت قد تشتتت بالشام وآسيا الصغرى فعلا منذ قتل السلطان أيبك لزعيمها أقطاى . أنظر نفس المرجع والجزء ، ص ٣٨٦ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ — ٣٩١ ، المقريزى : المواعظ والاعتبار ، ج ٣ ، ص ٢١٧

(١٥) أنظر (Enc. Isl. Arts. Baibars II. & Burdji)

(١٦) يوجد بأحد حيطان المدخل لدار الآثار العربية بالقاهرة قائمة بأسماء الدول التى تعاقبت الحكم فى مصر الاسلامية ، واسم دولة المماليك الأولى فى تلك القائمة « دولة المماليك التركمان » ، وقد جاءت هذه التسمية أيضا فى (Devonshire : L'Egypte Musulmane p. 71). هذا وفى ابن عبد الباسط الحنفى (كتاب نزهة الأساطين فيمن ولى ملك مصر من السلاطين ، ص ١٨ ا) ، أن هذه الدولة سميت باسم الدولة التركية التتارية ، وهذا يوافق ما ورد فى ابن دقماق (مخطوطة فاتح) ، والقلقشندى صبح الأعشى

بأن المماليك الأتراك كلهم من القفجاق ، وهم تتر القبيلة الذهبية على حوض نهر الفلجا .
ويلاحظ أيضا أن الجبرتى (عجائب الآثار ، ج ١ ، ص ١٨ ، ٢٠) سمى تلك الدولة باسم الدولة « القلاونية » نسبة إلى السلطان قلاون الذى شغل عهده وعهد سلالته أكثر من ثلاثة أرباع مدة الدولة المملوكية ، وأن تلك التسمية لا تقل عن أشباهها المذكورة هنا قربا من الصحة .

(١٧) المقريزى : كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٣٦١

(١٨) راجع (Précis de l'Histoire dé Egpte, Tome 2. p. 241.) ، وكذلك (Zelterstéen : Beitäge. p. 33)

(١٩) انظر (Isid : Loc. Cit.)

(٢٠) يوجد بالمقريزى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٥٧٤) ، ضمن رسالة من عند هولاكو ملك المغول بفارس ، أن بيبرس هذا جلب إلى سيواس وبيع بها ، وهذه العبارة قمينة بأن تسد فراغا فى ترجمة هذا السلطان ، إذ أن كل المعروف عن أصله وحداثته لا يعدو كثيراً عن أنه ولد سنة ٦٢٣ هـ (١٣٣٣) ببلاد القفجاق ، وأنه بيع بثمن بخس للأمير علاء الدين البندقدار ، وأنه انتقل بعد ذلك إلى طائفة مماليك الصالح أيوب.

(٢١) انظر مثلا (Barker : The Crusades, pp. 82. 84).
(King : The Knights Hospitallers in The Holy Land. p. 233.)
(Stevenson : The Crusaders in The East p. 323.)

(٢٢) ابن واصل : مفرج الكروب ، ص ٢٥٩ ا ، المقريزى : كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٢٨٩ ، ٢٩٢ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٥٠ ، وحاشية ٢ بنفس الصفحة .

(٢٣) انظر مثلا (Lane-Poole : History of Egypt. p. 264 et seq.)

(٢٤) راجع تفصيل ذلك فى (Lane-Poole : History of Egypt. pp. 69, 84.).

(٢٥) لم يكن أمراء المماليك البحرية الصالحية مجددين لتلك السياسة ، فقد فعل مثل ذلك تماما سلاطين الأيوبيين وسلالتهم بمصر والشام منذ السلطان صلاح الدين ، بل إن أبناء الأيوبيين الذين قاموا لاسترجاع سلطنة مصر إلى البيت الأيوبى من سلاطين المماليك لجأوا أيضا إلى تلك السياسة التقليدية ، وربما كان ذلك منهم لمقابلة حركة المماليك بمثلها . انظر (السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص ٢١٨ : (Arnold : The Caliphate. p. 89).

(٢٦) المقريزى : كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٣٦٨ — ٣٦٩

(٢٧) المقريزى : كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٣٧٠

(٢٨) المقريزى : كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٣٩٨

(٢٩) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص ٣١٨

(٣٠) سيقابل القارىء هذا الأمير العباسى مرة أخرى فيما يلى .

(٣١) كان هذا الأمير العباسى الثانى ، حسبما ورد فى المقريزى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٤٤٨) ، تحت سنة ٦٥٩ هـ ، قد نزل عند عرب بنى مهنا بأطراف العراق حيث أقام مدة ، ثم سار إلى دمشق فى نحو الخمسين فارسا من عرب خفاجة ، وألق إلى

نائبها أنه يريد اللحاق بالسلطان الظاهر بيبرس بالقاهرة ، فكتب السلطان إلى نواب بالشام بالقيام فى خدمته ، وأن يسير معه حجاب من دمشق إلى القاهرة . هذا ومما يدل على أن السلطان بيبرس ونوابه قد اتفقوا على ضرورة اجتذاب الخلافة العباسية ، أن نائب دمشق لما رأى فرسان العرب من خفاجة ، وكانوا معروفين لديه قبلا ، قال « بهؤلاء يحصل المقصود » . انظر نفس المرجع والجزء والصفحة .

(٣٢) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص ٣١٨

(٣٣) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٣١٨ ، المقريزى : كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٤٦٣

(٣٤) هذه الفقرة كلها منقولة بتصرف واختصار من المقريزى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٤٤٨ ، وما بعدها) .

(٣٥) أبو الفداء : المختصر فى أخبار البشر ، ص ١٤٧ ، فى (Rec. Hist. Or. I.) ؛ المقريزى : كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٦٤٧

(٣٦) المقريزى : كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٦٤٢

(٣٧) انظر ما تقدم .

(٣٨) المقريزى : كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٤٥٧ — ٤٦٣

(٣٩) المقريزى : كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٤٦٧

(٤٠) المقريزى : كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٤٦٨

(٤١) المقريزى : كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٦٤٨ ، وحاشية ٤ بنفس الصفحة ؛ (D'Ohsson : Histoire des Mongols, III, pp 377.).

(٤٢) ابن واصل : مفرج الكروب ، ص ٤٠٠ ا ، المقريزى : كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٤٧٦ ، وحاشية ١ بنفس الصفحة .

(٤٣) هذا الوصف منقول بتصرف واختصار كثير من المقريزى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٤٧٧) .

(٤٤) المقريزى : كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٤٧٧ ، ٤٧٩ ، ٤٩٨

(٤٥) أبو الفداء : المختصر فى أخبار البشر ، ص ١٤٨ ، فى (Rec. Hist. Or. I.)، وكذلك (Lane-Poole : History of Egypt. p. 262. N. 1.).

(٤٦) انظر (Arnold : The Caliphate. pp. 98, 99.)

(٤٧) انظر المقريزى : كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٤١٦ ، وحاشية ٣ بنفس الصفحة.

(٤٨) أبو الفداء : المختصر فى أخبار البشر ، ص ١٤٧ ، فى (Rec. Hist. Or. I.).

(٤٩) ولد أبو الفداء سنة ٦٧٢ هـ ، أى بعد مجىء المستنصر إلى القاهرة بثلاث عشرة سنة فقط ، فيكون قد سمع أشباه هذا الشك من المعاصرين له والمتقدمين عليه فى السن .

(٥٠) انظر أيضا ابن أبى الفضائل (كتاب النهج السديد ، ص ١٥٠) ، حيث يسمى هذا الخليفة باسم « المستنصر بالله الأسود » . هذا وقد وصف المقريزى هذا الخليفة بالسمرة ، غير أنه لم يتعرض لنسبه بشك البتة ، ونصه « فكان الخليفة المستنصر بالله هو الثامن والثلاثون من خلفاء بنى العباس ، وبينه وبين العباس أربعة وعشرون أبا ، وكان أسمر اللون وسيما ، شديد القوى عالى الهمة ، له شجاعة وإقدام . . . »

(٥١) جاء بالمقريزى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٤٤٨) أن الخليفة المستنصر كان يقال له « الزراتيتى » ، لقب لقبه به العامة » ولم يستطع كاتب هذه السطور أن يهتدى إلى معنى مفهوم لذلك التلقيب ، إلا إذا كان المقصود لفظ « الزرابينى » كما ورد فى أبى الفداء (المختصر فى اخبار البشر ، طبعة استانبول ، ج ٣ ، ص ٢٢٢) ، نسبة إلى اللفظ العامى « زربون » المستعمل فى مصر للدلالة على الشخص الأسود . هذا وقد ترجم (Quatremère : Hist. des Sultans Mamlouks. I. 1 p. 146) هذا اللفظ الى (Zeratini) ويوجد فى ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، طبعة كاليفورنيا ، ج ٦ ، ص ٧٧٧) شخص اسمه « الزراتيتى » ، وفى (Wiet : Les Biographies du Manhal Safi, No. 2278. p. 347.) ايضا من اسمه « الزرابيتى » . فلعل إحدى هاتين الصيغتين هى النسبة المقصودة

(٥٢) أبو الفداء : المختصر فى أخبار البشر ، ص ١٤٨ ، فى (Rec. Hist. Or. I.).

(٥٣) النويرى : نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ٣٨ — ٣٩ ، المقريزى : كتاب السلوك : ج ١ ، ص ٤٥٩ ، وحاشية ٧ بنفس الصفحة .

(٥٤) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٧ ، ص ٣٥٤ ؛ المقريزى : كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٥٦٤ ؛ وكذلك (Quatremère. : Op Cit. I. 2. p. 49 N. 58 ; II. 1. p. 5 N. 5.)

هذا وقد كان السلطان ينعت نفسه أحيانا فى كتبه لأكابر الأمراء بلفظ « ولدكم » ، غير أن تلك الصيغة كانت مقصورة على أكابر الأمراء فقط ، أما الامراء العاديون فكانت الصيغة المستعملة لهم تارة « أخوكم » وتارة « والدكم » ، بحسب ما يقتضيه المقام . أنظر المقريزى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٥٩٩) .

(٥٥) مما يدل على هذا أن السلاطين كانوا يبقون نسبتهم إلى من اشتروهم ضمن أسمائهم ، مثل السلطان الملك الظاهر بيبرس العلائى البندقدارى الصالحى ، نسبة إلى الامير علاء الدين البندقدارى ، ثم إلى الصالح أيوب .

(٥٦) كان هولاكو يعير سلاطين المماليك بأصلهم دائما ، فقد جاء فى كتابه إلى السلطان قطز ، نقلا عن المقريزى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٤٢٧) ، ما نصه : « يعلم الملك المظفر قطز الذى هو من جنس المماليك الذين هربوا من سيوفنا إلى الاقليم » ، يعنى مصر ؛ وورد أيضاً فى رسالته إلى السلطان بيبرس تعبير من النوع نفسه . أنظر المقريزى (نفس المرجع والجزء ٢ ، ص ٥٤٧) ، ونصه : « أنت مملوك وأبعث فى سيواس ، فكيف تشاقق الملوك ملوك الأرض » . هذا وقد سرى لفظ مملوك إلى اللاتينية بمعنى الرقيق الابيض ذكورا وإناثا (Mumulicos sive mumulichas) .

راجع (Heyd : Hist. du Commerce du Levant etc. II. p. 35) . وقد استعمل فى مدينة جنيف بسويسرة فى القرن السادس عشر للدلالة على المشهرين والصابئين والخونة الذين كانوا أقلية قوية ضد الدولة السكافنية القائمة بتلك المدينة حين ذاك ، راجع (Davis : Europe From 800 To 1789. p. 164.) وكذلك (Camb. Mod. Hist. II. p. 362) ، حيث ورد ما نصه "The patriots were known as "Eyguenots", confederates, men who had bound themselves by an oath to stand together and serve the common

cause ; the Sovoyard party were termed " Mamelukes ", because as Bonivard tells us, they surrendered freedom and the public weal that they might submit to tyranny, as the Mameluks denied Christ that they might follow Mohamed ".

(٥٧) أنظر (Quatremère : Op. Cit. II. 1. p. 5. N. 5.)

(٥٨) الخشداش — أو الخوشداش أو الخجداش أو الخوجداش — معرب اللفظ الفارسى خواجاتاش ، ومعناه الزميل فى الخدمة ، والخشداشية فى اصطلاح عصر المماليك بمصر الافراد الذين نشأوا عند أستاذ واحد ، ويقابلها فى الفرنسية لفظ (Camarades) . أنظر (Quatremère : Op. Cit. I. 1. p. 43. N. 64.) .

(٥٩) انظر (Enc. Isl. Art. Mamlūks) .

(٦٠) يوجد بالمقريزى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٣٨٨) نص حوار دار بين بعض المماليك البحرية الصالحية ، الذين فروا من مصر من وجه السلطان المعز أيبك إلى سلطان السلاجقة الروم ، وبين ذلك السلطان السلجوقى ، وهو يوضح تماماً أهمية علاقتى الزمالة والاستاذ فى تطورات تاريخ المماليك .

(٦١) المناخ المكان الذى تناخ به الجمال ، وكان يطلق أيضاً زمن الدولة الفاطمية على عدة من الحواصل والمخازن ، ومنها ما كان لطحن الغلال اللازمة لجرايات القصور الخليفية وخبزها ، ومنها ما كان لخزن الاخشاب والحديد وآلات الأسطول والأسلحة . وكان الصناع فى هذه الامكنة من الطحانين والجزارين والدهانين ، والخياطين والفعلة وصناع الاسلحة ، من أسرى الحروب من الفرنج ، وكانوا يقطنون به . (المقريزى : المواعظ والترجان والاعتبار ، ج ١ ، ص ٤٤٤) .

(٦٢) ليس لهذا اللفظ علاقة بكلمة « أستاذ » التى سبق شرح معناها فى مصطلح دولة المماليك ، إذ المقصود بالاستاذين هنا فئة من خواص الخليفة الفاطمى ، وكان لهم فى الدولة الفاطمية مكانة جليلة ، وكان منهم أرباب الوظائف الخاصة بالخليفة كصاحب المجلس وصاحب بيت المال وصاحب الدفتر وحامل الدواة وشاد التاج ، أنظر القلقشندى (صبح الاعشى ، ج ٣ ، ص ٤٨١ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥) .

(٦٣) هذا اللفظ أيضا من مصطلح الدولة الفاطمية بمصر ، وكان يطلق على فئة من خاص الخليفة ، ويسمون « صبيان الحجر » ، وهم حسبما جاء فى القلقشندى (صبح الاعشى ، ج ٣ ، ص ٤٨١) « جماعة من الشباب يناهزون خمسة آلاف نفر ، مقيمون فى حجر منفردة ، لكل حجرة منها اسم يخصها ، [و] يضاهون مماليك الطباق السلطانية . . . المعبر عنهم بالكتابية » ، فى اصطلاح دولة المماليك .

(٦٤) قارن ما جاء هنا بشأن أصل الترابى بأصل بعض فرق الانكشارية فى (Enc. Isl. Arts. Janissariles & Dewshirme).

(٦٥) المقريزى : كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٢٧٥ ، وما بعدها .

(٦٦) المقريزى : كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٣٥٨ ، وما بعدها .

محمد مصطفى زيادة

BULLETIN

OF

THE FACULTY OF ARTS



VOL. IV—PART I

MAY 1936

Second Edition

CAIRO
FOUAD I UNIVERSITY PRESS
1953

The Bulletin of the Faculty of Arts is issued twice a year, in May and December. All requests for copies should be made to the Fouad I University Librarian, Giza. Communications regarding contributions should be addressed to the Dean of the Faculty of Arts, Giza, Egypt.

CONTENTS

OF THE EUROPEAN SECTION

PAGE

KARL HEINRICH DITTMAN

The Significance of Egyptian Antiquity for the History of European Culture 1

VLADIMIR VIKENTIEV

A Propos des "Sourcils du Roi Serpent" 17

W. G. WADDEL

On the Nile Rising. An English rendering of:

Anonymus Florentinus: De Nilo 25

Proclus: On Egypt and the Nile 31

Lydus: On the Nile Rising 37

MOHAMMED SELIM SALEM

The Problem of the Megarum in the Worship of Isis 45

C. H. O. SCAIFE

Further Notes on Myos Hormos and Tadnos Fons; with some remarks on a station at Bir ʿAras; on an ostrakon from El Heita, and on some ruins at Bir Abu Darag 62

THE SIGNIFICANCE OF EGYPTIAN ANTIQUITY FOR THE HISTORY OF EUROPEAN CULTURE

BY

KARL HEINRICH DITTMANN

When we are standing in front of the rich store of Egyptian antiquities in the museums, or we admire, before the gates of Cairo the towering pyramids, or when we go through the world of tombs and temples in Upper Egypt, and we have satisfied our first feelings of curiosity concerning them, we cannot help asking ourselves what meaning this lavishness of walls and pillars, reliefs and paintings, statues and sphinx-bordered avenues, may have for us. Does it not seem as if all these things were standing on a stage, which has been left long ago by the actors? Left to ourselves, we move among them, and feel the desire to realize once more the play that has once been acted here. We are standing here as Europeans, people of the Occident facing witnesses of a culture whose representatives and creators were people of another continent, the Orient. It is one of our characteristics to have the desire to inquire into, and try to arrange the things that we have seen, in relation to our own thoughts, our own vitality, and the forming of our civilisation, to see what may bs helpful for the perfection and advancement of ourselves. It is easier for us to contemplate with satisfaction monuments that originate in a civilisation of which we are the bodily and spiritual heirs: the beautiful figure on horseback in the cathedral of Bamberg, the music of Bach or Beethoven, the harmony of a Greek temple, or the reading of Augustine waken in our soul a direct response: different as these things are from each other, they contain all of

them the elements that have formed our modern sense of culture. Our attitude towards Egyptian objects is different, they do not touch us so directly or naturally. It seems as if a veil is hung in front of them, as if several layers have to be penetrated before we can get to a true understanding. And yet we cannot leave them, again and again we stand admiring before the kingly figure of Chefren, again and again we look at the beauty of the temple of Hatshepsowet at Deir el-Bahri and stand amazed at the size and symmetry of the pyramids. There must, therefore, be something within these things that calls to us secretly and that we cannot ignore. It must be something more than curiosity or love of the extraordinary that roused our interest at first, and that brings every year the tourists to Egypt. To analyse or formulate that which fills our thoughts is difficult. The aesthetic appreciation of Egyptian works of art, that which is revealed to each one personally through the contemplation of these works, cannot be explained. But it is possible to trace the way by which our admiration came, and to discover, why we appreciate Egyptian works of art more than those of Mexico or China, for instance. We would like to follow up the threads that unite our European history of civilisation and intellect with what of ancient Egypt. It will be wise to ignore entirely the associations that our feelings might call up, and to consider only facts. As the object which we are treating is historical, we will choose a description of the historical events. Thus it will become evident how the story of the Egyptian primitive ages was slowly brought to the notice of the European world. The connections between Egypt and Europe can be divided into three periods. The first consists of direct contact, the exchange of objects which doubtless brought artistic stimulation to both sides. This exchange could naturally only take place at a time at which ancient Egypt was still a living force. On the other hand, the European cultures awoke late in comparison to Egypt which thus could only become important to Europe at a much later period of her development. The second period can be called the re-discovery of the Egyptian old age. It took place at the end of the European Middle Ages and

synchronised with the re-discovery of occidental art and antiquity. Lastly, the third period represents the importance of ancient Egypt for Europe from the beginning of the nineteenth century.

When we go very far back into the history of Egypt and we consider the first period of the earlier stone age, that is the time which is known in Europe through the advance of ice-blocks from Scandinavia and is called the glacial period which again was characterized in northern Africa by extensive periods of rain, we can already in those times find a contact between the populations of Europe, Northern Africa, and Egypt([1]). The economic situation of the population of the earliest stone-age, whose activity consisted in collecting and hunting, forced the people continually over a large area. Consequently, there was a continuous connexion between the inhabitants of ice-free western Europe and North Africa. We find, therefore, the same shapes of flint implements, whether we look for them on the heights of Thebes, in the desert of North Africa, or in the river valleys of Spain and France. In consideration of our subject these facts are not important, for in those times we cannot yet talk of Egyptian history. We mention them to show that, even in the beginning of humanity, intercourse across wide stretches of land was not at all impossible, even considering the entire lack of highways or paths. After the early stone period the intercourse is severed for several centuries. In Europe the development of the later stone period starts. In Northern Africa, in the Nile Valley several groups dating back to the stone age, form two big cultures which, united at the end of the fourth millennium, represent the first big period of prosperity in Egypt, the Old Kingdom with its pyramids and mastabas. For about another millennium Europe and Egypt know nothing of each other. The first contact takes place about 2000 B.C. the time in which in Egypt the second period of prosperity, the Middle Kingdom, reigns and in Europe the bronze age begins. The contact is effected with the Aegean islands. Egyptian objects of applied art,

---

([1]) Cf. A. Scharif, Altertümer der Vor-und Frühzeit Aegyptens. 1931, I, p. 1 ff.

scarabs and amulets can be found in Crete and even on the Greek mainland. In Knossos the lower part of a statue of diorite of the time of the Middle Kingdom was found, in Palaikastro two small figures of ivory, all of them works that surpass applied art [1]. On the other hand, pots and potsherds of Cretan ceramic were found amongst Egyptian town ruins [2]. If in both cases the discoveries are not very numerous, they still show sufficiently the mutual relation between Egypt and the European countries situated on the Mediterranean. These relations may have been caused by trade, or may be the results of occasional reciprocal visits. They started in the Middle Kingdom and are thereafter continuous. In the New Kingdom from the sixteenth to the twelfth century B.C. Egyptian finds in Greece, on Crete and the Greek islands, become much more numerous. The gifts returned by the Aegean world and taken from the Egyptian soil assumed such dimensions as lead us to imagine an active relation between the two cultures. In the tombs of the New Kingdom we find embassies from Crete represented, and in the Cretan palaces we find numerous objects of Egyptian applied art [3]. There is no doubt at all that these relations are not limited to the exchange of objects only; with it came stimulation for the Egyptian workshops on one side, and the Cretan and Mycenean artists on the other. It is not possible to determine who gave, or who took, more in this intercourse. It is possible that the Cretans were taught by Egyptian workmen methods and manipulations of applied art such as granulation, inlaying of pastes and precious stones [4]. On the other hand, the Egyptian art, which at the time of the New Kingdom had already a tradition of two thousand years, gained a certain freshness and vividness

---

[1] Cf. J. D. S. Pendlebury, Aegyptiaca, 930, p. 22, 33.

[2] F. i. Fl. Petrie, Illahum, 1891, pl. 1.

[3] The references to the Cretan missions, represented in Theban tombs are collected by M. Wegner in the Mitteilungen des Deutschen Instituts für Aegyptische Altertumskunde, vol. 4, 1933, p. 60. For the Egyptian gifts to Crete, see Pendlebury, Aegyptiaca.

[4] Fr. W. v. Bissing, Der Anteil der aegyptischen Kunst am Kunstleben der Völker, 1912, p. 4 and 33.

through the newly created young art of the Cretan palaces. It is characteristic of the time that not only did there exist a lively exchange between Southern Europe and Egypt, but also the different groups of people in Europe itself entered into more lively communication with each other. It thus happened that occasionally through mutual trade arms and tools were exchanged across far distances. At that time swords, that came from the Northern and Northwestern Germanic bronze age were brought as far as Southern Europe and entered the Creto-Mycenean circle of culture and were from there even passed on to Egypt. In the Museum at Berlin and in French and English collections we can still see swords of our Germanic ancestors that were found in Egyptian soil [1]. This does not entitle us to believe in an international intercourse in our modern sense, but it proves how wide awake the people of that period were to each other's existence and that Egypt did not lie away from the main roads of communication to Europe. From now on the contact between Southern Europe and Egypt was not interrupted any more. In the Greek world conditions changed during the following centuries. The Creto-Mycenean culture disappeared before the assault of the Indo-Germanic people from the North. That, which we call the archaic Greek culture developed slowly out of it and was soon to rise to such heights that the very ancient cultures of the Orient were put in the shade. In Egypt, meanwhile, the end of the "New Kingdom" came about since the old civilization of the Nile country had already passed the heights of its maturity. At this time already, Egypt was considered a mysterious country and the guardian of very ancient wisdom. Her greatness and example were unconditionally believed in, if not always understood. The young people of Greece looked at this Egyptian culture, which seemed to them strange and old-fashioned, with a mixture of knowing mockery, reverence, and even sometimes disgust. And yet Egypt became the instructor of this Greek culture, that was

(1) Cf. M. Burchardt in Zeitschrift für Aegyptische Sprache und Altertumskunde, vol. 50, 1912, p. 61.

trying to express itself. They not only learned from the Egyptians craftsmanship, such as hollow-bronze casting in the 7th century B.C. but also adopted their artistic expressionism as their model. Grecianism, however, had from the very first such an independent individuality, that it could not be satisfied by simply accepting the Egyptian pattern, just as, several centuries earlier, the Creto-Mycenean artists made use of the stimulation they drew from the country of the Nile, but created out of it an independent culture in conformity with their own race. In their hands, the model they had taken over was changed into something entirely new, something Greek. It is not possible to deny the Egyptian prototype in the archaic statues of the 7th century, but it is obvious that the spiritual standard of the Greek world had affected the Egyptian norm [1]. It was Egypt's fate to give to this young nation the possibility and the means of expression, as well as the type—which is doubtless of great historical value and should not be overlooked—, but the symbol and the substance of it are rooted in the soul of the Greeks. Not only did the Egyptians teach the Greeks the art of sculpture, they were also their masters in Science, Astronomy, and Philosophy. Here also the pupil achieved higher results than the teacher. Solon, the great lawgiver and statesman, and Thales, the mathematician and philosopher, both of them studied in Egyptian religious schools. The famous theorem according to which the angle of a semicircle is 90°, is most likely deduced from the knowledge of Egyptian mathematicians. The historian Herodotus travelled in Egypt as far as Elephantine. It is also reported of Pythagoras, Democritus, and Plato that they had been in Egypt. This, however, does not mean that Greek philosophers did not write or teach anything else except Egyptian learning, but the often recurring accounts of Greek philosphers who pursued their studies in Egypt proves how very important Egypt was considered for the development

---

[1] Cf. G. Rodenwaldt, Die Kunst der Antike (=Propylaeen-Kunstgeschichte) 1927, pp. 166–169.

of Greek science ([1]). If we may use a comparison from Chemistry, one might call Egypt the solvent of the Ancient World, *i.e.* the substance that brings about and hastens an action, the result of which we cannot explain in detail. While Egyptian art and culture became more and more paralysed during the last centuries, the Greek world extended further through the conquests of Alexander the Great. In the process of development Egypt becomes a member of the Hellenic Empire. This time certainly brought about the closest contact between the Western countries and Egypt, but the spiritual outcome of this closeness could not now be great, since the difference in the cultural powers had grown too pronounced ; on one side a dying culture without new ideas, on the other side a world that is filled to excess with elements of European and Asiatic origin. What Egypt could give to Hellas in those days was not stimulation to further development, but an almost empty set form that could not be filled with new importance. Neither now nor later when the Romans stepped on Egyptian soil, could one repeat the word of the stamped norm, that was fit for development. Even if their temples were still standing and here and there a fellowship of priests was celebrating ancient rites, Egypt had nothing more to offer to the West. But the reverence and amazement of the Europeans was not yet gone. As to-day, Egypt was the destination of the Greek and Roman tourist. Pleasure was found in sham imitations of Egyptian plastic art, and statues, sphinxes and obelisks were brought to Rome, or copied superficially ([2]). It was considered interesting and impressive to surround oneself occasionally with Egyptian motives. The mosaic floors of Roman houses represented Egyptian landscapes ([3]), in the recesses of their

([1]) For the details, see Th. Hopfner, Orient und griechische Philosophie. 1925.

([2]) See the references in v Bissing, Anteil der aegyptischen Kunst, etc., p. 89. Cf. also A. Erman, Römische Obelisken (Berliner Akademieabhandlung) 1917.

([3]) M. Rostowzew in Römische Mitteilungen, vol. 26, 1911, p. 59 ff.

houses were put terracotta statues of Egyptian gods of love. A Roman citizen, by the name of Cestius, had his tomb erected in the shape of a pyramid. Even the Egyptian religion, insipid and insignificant as it had become, just as the Persian religion of Mithras, appeared only in that social layer which, disengaged from all true belief, clung to superstitious cults and magic. Isis shrines were erected in the capitals and seaports of the Roman Empire (1). In the temple district of Trier, that was for a time the capital of the Roman Empire, a small Isis temple was found.

The fluctuating state of the world in the first centuries after Christ, with its indefinite intersections of historical development, finds an explanation in two events which were destined to give to the East as well as to the West its stamp—Christianity and the establishment of the Germanic Empire. For our subject these events are of great importance as they lead again to a confrontation of Europe and Egypt. Through Christianity a stream of new life arose in Egypt combined of many channels. The Copts, Christian Egyptians, created for themselves monasteries, literature and an art, that was according to its nature Hellenic-Byzantine, but slowly developed its own individuality by absorbing old Egyptian motives and by independent development. It played a not unimportant part in the formation of the artistic style of the Germanic migration time. The Westgoths in Spain as well as the Allemanni in Southern Germany accepted productions of Coptic industrial art and were influenced by their subjects in the development of their own style. Coptic dishes and jars, wood and ivory works have entered the Germanic circle of culture, and it seems strange to find in the tombs of the Allemanni in Wuerttemberg and on the Rhine Coptic vessels of incense and small wooden chests of Egyptian origin (2). One cannot assert that

(1) F. Drexler, Der Kultus der aegyptischen Gottheiten in den Donauländern, 1890.

(2) H. Zeiss. Die Grabfunde aus dem spanischen Westgotenreich, 1934. p. 39, 115. 117 and pl. 16, 5, 7; 30, 2—6: 32, 7, 9, 11.—W. Veeck, Die Alamannen in Württemberg, 1931, pl. 9 b, 10 a, 20 and 37 a.—J. Strzygowski, Koptische Kunst (=Cat. Gén. du Musée du Caire) 1904, pl. 20, 24, 27, 38. p. 327, fig. 387/88.

Coptic art played a decisive part in forming the Germanic ornament but it has affected it neither more nor less than the other models which they took over from the Roman, Hellenic, and Byzantine world. The Germanic people, like the Greeks before them, did not copy minutely that which they had taken over, but created out of forms and subjects a useful artistic base upon which they erected the edifice of their own art which reached into the Middle Ages. The connection with the East continued for some time into the early Middle Ages. About 1000 A.D. we find connections between the southwest German clerical art schools, especially at Trier, and the Egyptian-Byzantine workshops. These connections are the cause of the appearance of numerous Coptic ivory carvings found in South-German monasteries and church treasuries. Emperor Henry II, who reigned from 1002–24, presented the cathedral of Aachen with small ivory reliefs that were later on fixed on the channel where they remain to this day [1]. We may ask ourselves what may be understood by these "connections". There have certainly been many ways leading from the Eastern and South Eastern Mediterranean countries to Europe. Trade, gifts, and presentations may have brought these much-valued creations from the Orient to Europe. The best-known incident of this kind is the delegation of Harun El Rashid to the court of the Emperor Charles the Great, of which it is reported that they offered to the Emperor rich presents of trinkets.

During the course of the Middle Ages the lively intercourse between Orient and Occident ceased. The memory of Egypt and the countries of the Near East was kept awake by the tradition of the Bible and the news of the pilgrims who passed Egypt on their journeys to the Holy Land [2]. Not only Abraham and Joseph had been in Egypt, but above all the Holy Child had found

---

(1) Cf. J. Strzygowski, Hellenische und koptische Kunst in Alexandria (=Bull. de la Soc. d'Arch. d'Alex. 5, 1902) p. 19 ff. and, 67 ff.

(2) The voyages of the pilgrims: R Röhricht. Deutsche Pilgerreisen nach dem Heiligen Lande, 1900, and J. M. Carré. Voyageurs et Ecrivains Franç. en Egypte, vol. I, 1932.

shelter and protection in the land of the Nile. But the people had no longer any real conception of it; the Pyramids, whose use was well known to the Romans, were considered to be the granaries of Joseph. The mosaic in the cupola of St. Mark's at Venice, that dates back to the 13th century, shows scenes of the legend of Joseph in which the Pyramids store the corn for the years of famine [1]. Altogether the pilgrims are not much interested in the antiquities of Egypt. They describe them in their reports, and often add to them fantastic arguments, but it does not seem as if the old buildings left a deep impression on the individual of the Middle Ages. Egypt had moved into a hazy distance, although it did not disappear from the consciousness of the Europeans. Above all it was classed with the general idea of the East, the Orient, which was right because of its connection with Byzantium.

In the new era from the 14th to the 15th century a new spiritual movement began which was caused by a different conception of life, trying to express itself after new standards. The lucidity and harmony of the Ancient world, the wisdom and logic of the Greek philosophers offered to this movement the pattern needed, from which they expected instruction and guidance. It was a time of the highest spiritual tension, which did not adhere to the past from a feeling of impotence, but because it felt united to the ancient expression of life. We call this time the Renaissance and mean by it the revival of learning. This movement of the Renaissance took root also in the other Romanic countries and in Germany. Everywhere the Gothic mentality of the Middle Ages was replaced by the more liberal perception, regarding life, the world and the individual of the Renaissance. Interest in history was awakened and increased by the study of the Classic period, in order to adopt its ideals. Not only does one read and copy the ancient writers, one also searches for architectural and artistic relics of the ancient world. In Italy the ancient Roman art was discovered together with Egyptian obelisks and sphinxes that were buried under the rubbish of ancient Rome. It was recognized that Egyptian

---

(1) See H. Glück, Die Christliche Kunst des Ostens, 1923, pl. 89.

objects were different from the many Roman and Greek antiquities, it was also known that they came from Egypt, but the fact that they belonged to an entirely different culture was overlooked, and they were considered as simply belonging to the old world. Thus ancient Egyptian art experienced its resurrection at the same time as the Graeco-Roman art, only on a much smaller scale. The shape of the slim obelisks was considered pleasing, and they were erected in the public squares of Rome. Sphinxes and lions conveniently met the desire of priestly and worldly rulers for a sublime expression of their power. Hieroglyphics, found on obelisks and statues, offered to the newly awakened scientific sense material for rumination and speculation. The first treatises about ancient Egypt and its mysterious written characters were drawn up. Architects liked to use the Egyptian forms found by them for the ornamentation of their façades. The period of the grotesque style that followed the Renaissance pursued the same course. The recognition of the origin of the antiquities becomes more differentiated. Collections, like those of Count Caylus and the learned Jesuit Father Athanasius Kircher, came into existence. Both conceded a large space to Egyptian Antiquities. One starts to sort and to sift and succeeds in separating more sharply the big groups of antiquities (1). Kircher was the first to try to decipher hieroglyphics. Travelling accounts, like that of Norden about 1750, with good maps, plans and general views of the temples and pyramids, made Egypt again known in Europe (2). But scientific penetration in our modern sense was not possible because the deciphering of hieroglyphics, the key to the understanding of the ancient culture, had not yet been achieved. Therefore the wildest speculations were possible. Hieroglyphic texts were considered a kind of occult science containing hidden forces and possibilties to gain access to supernatural powers. Secret societies became fashionable during the Baroque period. The freemasons used preferably Egyptian symbols. At that time the fairy

---

(1) Caylus, Recueil d'antiquités Egyptiennes, Etrusques, Grecques et Romaines, Paris 1752-68.

(2) F. L. Norden, Travels in Egypt and Nubia. 2 vols. London 1757.

tale gained ground, that Freemasonry originated in Egypt. The rest of the world saw, like the Romans of the Imperial time, forms in the ancient Egyptian art which they liked to use for the decoration of their rooms or for the façades of their palaces. At that time the fantastic table ornament of Dinglinger was made for August the Strong of Saxony, crowned by an obelisk (1). In order to understand the preference for Egyptian things at that time, it is important to realize that ancient Egyptian art was only known by finds made on Italian soil. And these antiquities belonged altogether to the late period of the Egyptian culture, since Egyptian antiquities were only brought to Rome in the Roman period. The unadorned simple art of the Old Kingdom was not known. Therefore, it was not possible to distinguish clearly between the different periods of the Egyptian culture. From that time the uninitiated call Egypt simply a unity.

Renaissance and Baroque caused the western people to recall the existence of Egypt and Egyptian antiquities. A widespread interest in art, that started with the Roccoco and led to the cultivation of the Asiatic as well as the Islamic art, was well qualified to increase the interest that was already awake for everything antique and Egyptian. Frederick the Great erected in his park at Sanssouci at the same time a Chinese Teahouse and an Obelisk with fantastic Hieroglyphs. His successor Frederick William II built an ice cellar in his park near the Marble Palace in the shape of a Pyramid. If this appropriation of Egyptian forms was only trifling, it led nevertheless to more serious uses. Apart from the fact that Plastic as well as Musical Art had tried to make use of Egyptian motives—in 1790 Schikaneder composed the libretto of Mozart's Zauberfloete—, by the end of the 18th century even Science of Art took notice of Egyptian Antiquities. In the midst of a disunited world, amongst the slogans of enlightenment, French Revolution, Pietism, and Romanticism, Winckelmann revives the classic art of the dawn of history. As a

(1) H. Schäfer Aegyptische und heutige Kunst, 1928, fig. 2.

legacy of the Renaissance he takes it as a matter of course that Egypt must be considered part of the ancient world. In his "Kunstgeschichte des Altertums" the first chapter deals with Egyptian art, thus laying the foundation to our way of thinking, that Egypt, together with the ancient history of the Classic South, is one great methodic unity. It is also thanks to Winckelmann that in 1829 the "Instituto di correspondenza archeologica" was founded, to which archaeologists of almost every European country belonged as members, and that led in the middle of the last century to the foundation of the "Deutsche Archaeologische Institut". Its regulations foresee a special place for ancient Egyptian art and Orientalism in its widest sense. The connection of each of these to the other, that exists up to date, is deeply rooted in the Culture and Spiritual History of Europe. A true understanding of the Egyptian art was, however, only possible after the deciphering of the hidden meaning of the hieroglyphic texts. It was the uncontested merit of Napoleon I to have stimulated and created the possibility of these studies. In 1798, in his warlike expedition to Egypt he took with him scientific men and artists who published their researches in eleven large folio volumes in the next decades. The most important result of this expedition was the finding of a stone tablet with three inscriptions, one in Hieroglyphics, one in Demotic and one in Greek, obviously of the same purport. On the strength of this tablet the young French savant Champollion succeeded through his discerning genius in deciphering the Hieroglyphs. This opened up an entirely new chapter in the history of our period of culture. The mystery of the sphinx was solved. But it appeared that the unveiling of the secret, that one had intensely desired for centuries, dispelled the haze that had so conveniently enveloped everything Egyptian. Public interest wanted and could not be effectually reawakened by other expeditions that were undertaken into the Nile Valley and of which the one by Richard Lepsius, from 1842-45, surpassed all in its scientific exactitude. In the meantime, investigations of the history and culture of Egypt were continued by quiet and scholarly studies ([1]). One

([1]) Cf. Ed. Naville, L'Egyptologie Française pendant un siècle (=Journal des Savants) 1923.—W. R. Dawson, Charles Wycliffe Goodwin 1817-1878, 1934.—K. Sethe Die Aegyptologie, 1921 (=Alter Orient vol. 23).

began to differentiate between the great periods of Egyptian history, one searched into the depths of writing and language and worked at the chronology, *i.e.* the chronological succession of the Egyptian kings, the translation of these dates into our system of time after the Birth of Christ. But the public mind took comparatively little interest in the antiquities of the Nile Valley. Present day affairs were in the foreground and the importance of natural history and technical science on the one side, and the exclusive Greek New-Humanistic ideal of education on the other side, drew the attention away from Egypt.

Today, we are still in the course of this development. By many people Egyptology is considered as a very interesting, but superfluous science. We, however, have to consider two things: firstly, that knowledge of Ancient Egypt forms a link in our general idea of the past. It entered European consciousness at the Renaissance and helped the mental process of contemplating history. This development which we have inherited and which puts us under an obligation, cannot be set aside. Secondly, we cannot do without the scientific method of dealing with Ancient Egypt, as it has been since the beginning of the 19th century, particularly considering the duty of research of our own past and the conditions of life of Western humanity in general. Egyptology has not only given us the possibility of erecting for out own earliest history a chronological scaffolding like that, for instance, of the timing of the Germanic Bronze Age, nor have the representations of Egyptian reliefs been sufficiently explored for the study of anthropology, but above all it has drawn for us a picture of the progress of a culture that, in its completeness and fulness of detail gives us an instructive example of the life of a nation from its beginning to its downfall. We are able to follow Egyptian history almost without a gap for more than 4000 years. Rise and fall, prime and decay, and always the human struggle for life and understanding of the divine: to enquire into all this in accordance with certain suppositions and rules is one of the tasks of the science of Egyptian antiquity. The sources that help us to achieve this

are richer than in any other branch of the science of history. Should we not then grasp this opportunity and draw from it to the advantage of our knowledge and the laws of historical happenings ? [1].

Résumé

The relationship between ancient Egypt and Europe can be divided into three periods. The first is marked by direct contact which dates back as far as the palæolithic age, and continues during the Middle and New Kingdom in contact with the Creto-Myceneau culture, and lastly dies away in the abundant enrichment of early Greek art and science. Egypt adopts the part of a schoolmaster to the Greeks, not only in the plastic art, but also in philosophy and mathematics. In Greek writings it is often mentioned that Hellenic philosophers and statesmen had been to Egyptian religious schools. Even if it is not always possible to prove the truth of these statements, it still shows sufficiently how important Egypt was considered for the development of Greek culture. After the vital powers of creation had ceased in Egypt, their artistic forms were still admired and copied. Thus, during the time of the Roman Empire many works, such as obelisks and sphinxes, were brought to adorn the palaces and parks. When Egypt became a member of the Hellenic-Byzantine world, and Christendom made its appearance in the Nile Valley, the Coptic culture was created. Many relations connect this with the art of the period of migration.

During the Middle Ages the European relations to Ancient Egypt are interrupted. Yet occasional reports and descriptions of travel from pilgrims, who had visited Egypt as well as Palestine, kept the consciousness of the Nile country and its antiquities alive.

The second part of the connection comprises the time of the Renaissance and could be called the rediscovery of Egyptian culture. It goes hand in hand with the rediscovery of classical antique art. Excavations in Rome revealed obelisks and sphinxes together with Greek and Roman works of art. Science takes an interest in these newly found antiquities, and tries to understand their import. Collections like that of Athanasius Kircher, who was the first to try and decipher hieroglyphs, came into existence. Egyptian forms were used in architecture.

Just as the Renaissance considered Egypt one great methodic unity with the Graeco-Roman past, so Baroque and Roccoco considered it a part of the ancient art in general. Together with classical creations,

---

(1) Cf. A. M. Blackman, The value of Egyptology in the modern world, 1936.—W. Wolf, Wesen und Wert der Aegyptologie, 1937.

Egyptian motives as patterns and decorations were used. In the parks of Schoenbrunn near Vienna and Sanssouci near Potsdam, imitations of obelisks with fantastic hieroglyphs are standing, and in the park of Frederick William II of Prussia stands a small pyramid. People were pleased with the Egyptian forms, but obviously loved the mystery and secret that seemed to be connected with them.

The spiritual tradition of the Renaissance is carried on by Classicism that also considered Egypt one of the homes of ancient culture. In J. J. Winckelmann's "Kunstgeschichte des Altertums", published in 1776, the first chapters concede a large place to Egyptian art.

The third period is the time in which Egyptian antiquity is explored by a scientific and critical way of thought. At the beginning of it there took place the warlike expedition of Napoleon I, that had at the same time a scientific character. The result of their researches was published in 11 big folio volumes under the name "Description de l'Egypte". During this expedition the Rosetta Stone was found in three languages. This inscription made it possible for the French scholar Champollion to decipher the hieroglyphs. Thus the mystery of the sphinx was solved. European knowledge now began quiet and scholarly work, several expeditions, such as the Toscan of 1828/29 or the Prussian one under Richard Lepsius of 1842/45 explored Egypt and published their researches in wonderful editions. Nowadays we study the material from a philological as well as an archaeological point of view and thus gain from the Egyptian past the most instructive example of the life of a people, that can be pursued almost a gap from its beginnings to its downfall.

A PROPOS DES "SOURCILS" DU ROI SERPENT

(Pap. Ermitage No. 1115, col. 65)

Mise au point

PAR

VLADIMIR VIKENTIEV

Dans le Papyrus No. 1115 de l'Ermitage, il est question d'un énorme Serpent apparaissant à un naufragé qui s'était réfugié sur une île.

Terrifié par le tremblement de terre accompagnant l'apparition du dragon et, peut-être, encore ébloui par son éclat, le pauvre homme cache son visage dans ses mains. Quand il ose enfin regarder, il constate les surprenantes dimensions du monstre et le fait qu'il était recouvert d'or. A part cela, il ne relève qu'une seule partie de son corps, celle-ci étant "faite" en vrai *lapis-lazuli.*

Quelle est donc cette partie du corps de serpent qui attire tout spécialement l'attention d'un homme apeuré ?

Voici la phrase où se trouve le mot en question, telle que nous l'avons dans le papyrus, c. à d. en écriture hiératique :

Le premier éditeur du Pap. Ermitage No. 1115, M. W. Golénischeff, a transcrit ce texte comme suit : (1).

Cette transcription a été acceptée intégralement par tous les savants qui se sont occupés, à tour de rôle, du dit papyrus, et l'on a cru devoir reconnaître dans le mot

(1) W. Golénischeff, *Les papyrus hiératiques de l'Ermitage Impérial de St. Pétersbourg*, Pap. No. 1115, col. 65.

soit la "langue fendue en deux des serpents" (Golénischeff), soit l'"encadrement des yeux" ou les "sourcils" (Erman (1). Le Dictionnaire de Berlin a jugé plus prudent de préciser seulement que notre mot désignait "une partie double du corps de serpent" (2).

Tout en partageant l'avis général, en ce qui concerne la *transcription* du mot, nous nous sommes permis de douter que ce dernier signifiât vraiment la "langue fendue" ou les "sourcils" de serpent. Il nous semblait que le narrateur avait relevé une partie du corps ophidien beaucoup plus en évidence.

Le serpent, que l'on croit être un *naja*, dit aussi *cobra*, se montre très agressif au moment de son apparition. Cela nous incline à penser qu'il se trouvait en état d'érection, autrement dit, qu'il se dressait en haut et qu'il avait sa partie supérieure gonflée. Or, tous les dessinateurs, sculpteurs et orfèvres de la Vallée du Nil n'oubliaient jamais de noter les deux parties dilatées du cobra en état d'érection. Souvent ils les coloraient en bleu, ou même ils les incrustaient de cette matière semi-précieuse, dont il est fait mention dans notre texte, à savoir, le *lapis-lazuli*. Les deux parties dilatées du serpent, signe inéquivoque de ses intentions agressives, étaient toutes désignées pour être notées par l'homme qui voyait le monstre s'approcher de lui. Nous avons traité notre mot, du point de vue philologique, dans un article auquel nous renvoyons les personnes intéressées (3).

Cette fois-ci, c'est la *transcription* du mot qui va retenir notre attention, et voilà pour quelle raison. Dans mon séminaire, à l'Institut d'Egyptologie au Caire, un de mes auditeurs, M. Iskander



(1) Pour faire admettre cette dernière suggestion, on a dû supposer que notre mot [hiéroglyphes] était une forme défectueuse du mot [hiéroglyphes] "sourcil".

(2) *Wörterb. der äg. Spr.*, v. I, p. 93.

(3) V. Vikentiev, *The Metrical Scheme of the Shipwrecked Sailor*, dans le *B. I. F. A. O.*, v. 35, p. 37-38.

Mikhail Badawy ([1]), a observé que le signe de la "tresse de cheveux", dans le "Naufragé", était transcrit d'une autre manière par M. A. Blackman, Professeur à l'Université de Liverpool. En effet, dans sa publication du texte du Pap. No. 1115 de l'Ermitage, le mot nous intéressant est transcrit non pas , mais

. A cela le savant anglais a adjoint l'annotation que voici :

"As Mr. R. S. Gleadow and Mr. M. F. Laming Macadam have pointed out to me, this and not ... is clearly the right transcription" ([2]).

M. A. Blackman affirme donc, *d'une manière catégorique*, que le déterminatif de notre mot n'est pas le signe de la "tresse de cheveux" mais celui du "sourcil" accompagné du signe du duel :

L'assertion de M. A. Blackman nous a paru tout à fait étrange et nous croyons devoir la réfuter d'une manière aussi catégorique qu'il l'a faite. Plusieurs considérations paléographiques s'y opposent formellement. Les voici :

(1) M. A. Blackman nous invite à consulter la "Paläographie" de M. G. Möller, où nous trouvons les formes suivantes du "sourcil": (Sinouhé, col. 58), (Pap Golénischeff, 6. 3), et les deux signes et (employés respectivement dans Pap. Ebers, 66. 2 et 103, 15). En regardant les signes, l'on va noter tout de suite que de ces quatre formes de l'hiéroglyphe il n'y a qu'*une seule*, la première, qui ait une *position oblique* (vers le côté *gauche*) et en cela se

---

([1]) Je lui dois l'excellent dessin des signes hiéroglyphiques reproduits dans cet article.

([2]) A. M. Blackman, *Middle-Egyptian Stories*, Part I, p. 43 a.

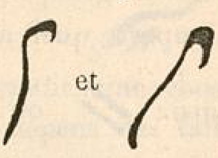
rapproche du soi-disant signe du "sourcil" signalé par A. Blackman. Les trois autres formes sont disposées, soit *horizontalement*, soit avec une légère inclinaison vers le côté *droit*. La même chose se laisse observer dans les formes plus récentes (doubles) de notre signe, telles que (Ennana), (Harris Th.), (Toile), (Bremner), (Leiden) et (Tanis). Donc, l'on peut dire que la *position horizontale* est réglementaire pour les formes hiératiques du signe.

Cependant il ne faut pas oublier que nous avons mentionné un cas où cette règle semble faire défaut. Examinons-le.

La forme oblique du signe, auquel se réfère M. A. Blackman, se rencontre dans la phrase suivante : Elle fait partie du Pap. Berlin No. 3022, contenant l'histoire de Sinouhé. M. A. Gardiner, qui l'a publiée, transcrit la phrase en question comme suit : . En même temps, il n'a pas oublié de noter que la forme hiératique du signe telle qu'elle se trouve dans cette phrase, n'est pas tout à fait régulière [1]. Dans sa "Paläographie", apparue dans le courant de la même année que la publication de M. A. Gardiner, M. G. Möller, bien qu'il place le signe sous la rubrique du "sourcil" , lui adjoint une annotation qu'il commence par un point d'interrogation. En outre il se voit obligé de supposer que le signe est une "abréviation" de [2]. Son identification n'est donc pas tout à fait convaincante. Dans ce cas, nous croyons devoir nous ranger du côté de M. A. Gardiner, étant donné que la forme

(1) *Literarische Texte des M. Reiches*, v II (1909), pl. 6 et pl. 6 a.

(2) G. Möller, *Hieratische Paläographie*, v. I (1909), p. 8, note 1. Sans changement dans l'édition de 1927.

du signe, dans le passage cité de "Sinouhé", n'est pas tellement éloigné des formes régulières du signe des deux pieds dirigés en arrière, que voici :  et

A part cela, le mot correspond beaucoup mieux à notre phrase que le mot que M. G. Möller était obligé de lire .

Après avoir éliminé le cas du Pap. Berlin No. 3022, il ne nous restent que les *formes horizontales* du signe . Vouloir présenter le trait sinueux oblique dans le Pap. Ermitage, col. 65, comme le signe du "sourcil" serait donc faire appel à une exception.

(2) Le soi-disant signe du "sourcil" (*v. i.*) ne repond à aucune des graphies authentiques de ce signe, ni comme forme, ni comme manière d'écrire, étant donné que le signe de M. A. Blackman est écrit *de droite à gauche*, tandis que le vrai signe du "sourcil" est écrit en un sens inverse, c'est à dire, *de gauche à droite.*

(3) Les deux petits traits obliques que M. A. Blackman, d'accord avec ses élèves, croit accompagner le signe du soi-disant "sourcil", nous semblent se serrer un peu trop contre l'extrémité gauche de ce dernier. L'on notera que dans notre papyrus et ailleurs, les deux traits , quand ils n'ont pas d'autre signe à côté d'eux se placent sous la partie médiane du signe précédent. Il suffira de se référer pour cela au groupe qui suit immédiatement notre mot . Un autre exemple voir à la ligne 85 (groupe).

(4) Les soi-disant "traits obliques" , suggérés par M. A. Blackman, sont écrits d'une manière différente, en

comparaison avec les vrais traits obliques \\. Que ce soit dans le groupe , que nous venons de mentionner, ou dans n'importe quel autre cas, dans notre texte, ceux-là sont écrits ainsi : ou (en zigzag). Nous voyons que des deux traits, celui qui setrouve à gauche est placé *un peu plus haut* que celui qui se trouve à droite. Dans le signe imaginaire \\ de M. A. Blackman c'est l'inverse.

(5) Encore plus important que ce que nous venons de dire est le fait que les deux traits obliques *ne devaient même pas figurer* après le substantif présumé , mais seulement après le suffixe qui l'accompagne. A comparer deux cas similaires dans le même papyrus (col. 82) et (col. 187).

Ce que nous venons de signaler suffit pour réfuter irrévocablement la suggestion des deux débutants de l'Université de Liverpool, auxquels leur professeur a donné, il nous semble à tort, son appui autoritaire. En outre, il faut bien se le dire que le signe qui détermine le mot est en tout pareil au déterminatif du mot que nous trouvons à la ligne 53 du même papyrus, et aux formes du Pap. Prisse 8, 10, où notre signe de la "tresse de cheveux" est employé deux fois : dans le mot "chauve" (?) et dans le mot "celui qui n'a pas été oint" [1].

[1] Cf. G. Möller, *Paläographie*, v. I, No. 81, et *Wörterb. der äg. Spr.*, v. I, p. 22, et v. III, p. 400. Il est à noter que dans tous les cas, qui viennent d'être cités, les deux "traits obliques" du signe ont toujours le trait gauche disposé un peu plus bas que le trait droit. Ceci s'explique par le fait que ces traits font partie du signe et suivent la direction ascendante de la ligne principale.

Pour toute conclusion nous allons donc dire que la transcription de Golénischeff [hieroglyphs] pour le mot: [hieroglyphs] reste toujours en vigueur.

L'encouragement des jeunes est, sans contredit, une chose louable, pourvu qu'il ne soit pas pratiqué aux dépens des faits établis une fois pour toutes.

ON THE NILE RISING

ANONYMUS FLORENTINUS, DE NILO

Athenæus, Deipnosophistæ Book II, 87 (Dindorf)

TRANSLATED BY

W. G. WADDELL

Thales of Miletus ([1]), one of the Seven Wise Men, says that the etesian winds cause the flooding of the Nile: they blow against the current of the river, and its mouths lie exposed to their force. The wind, therefore, blowing from the opposite direction, hinders the flow of the river, while the waves, dashing full against the river-mouths with the wind driving them on, beat back the current; and so the flooding of the Nile takes place. Anaxagoras ([2]) the natural philosopher holds that the melting of snow brings about the flooding of the Nile. A similar theory

---

([1]) Thales of Miletus, the Ionic philosopher, lived in the seventh and sixth centuries B.C. For his etesian theory see Herodotus II. 20 (with Wiedemann's note, p. 102): in Aristides, *On Egypt* § 3 the same verb ἀνακόπτειν is used of the winds "beating back" the current of the river. The etesian or seasonal winds blow mainly from the N.W.: see Diodorus I. 39. 6.

([2]) Anaxagoras of Clazomenæ, *c.* 499 – *c.* 427 B.C., held the view that the Nile flood was due to melting snow, and Aristotle (frag. 248 Rose) is said to have attributed it to him; but this explanation was doubtless older than Anaxagoras, and it was the accepted belief of the Greeks of ths 5th century B.C. Aeschylus (525—456 B.C.) and Euripides (480 – 406 B.C.) give this cause in their writings, Aeschylus (frag. 300) in a tragedy of unknown name, Euripides in his *Archelaus* (frag. 228: only fragments of the play survive) and in his *Helena*, lines 1—3. Seneca (*Nat. Quaest.* IV. a 2. 17) tells us that Sophocles also mentioned the theory: cf. Pearson on Frag. 882, but the exact words of Sophocles have not been preserved, dor is the name of the tragedy known. See further Herodotus II. 22 (with Wiedemann's note, p. 104), Diodorus I. 38. 4, and Aristides, *On Egypt* § 13 ff.

is expressed by Euripides and certain other tragedians; but, while Anaxagoras gives merely the origin of the flooding, Euripides also specifies the region, when he says in his tragedy *Archelaus:* "Danaus, the father of fifty daughters, quitted the water of Nile, the fairest stream on earth, Nile, that flows in full flood [1] with water from the Ethiop land, the black man's home, whenever the snow melts as the sun drives his chariot through the heavens [2]". Similarly, too, in the *Helena:* "These are the fair virgin streams of Nile [3], which, instead of the dewy rain of Zeus, waters the level plains of Egypt when the white snow has melted". Aeschylus, too, says: "Out of full knowledge am I able to praise the race of the Ethiop land where seven-channelled Nile rolls its gladsom tide [4] by reason of heavy wind-borne rains; and therein the fiery sun, blazing forth upon the earth, melts the snow upon the rocks; and the whole luxuriant land of Egypt, filled full with the sacred flood, sends up Demeter's life-giving grain".

Now Callisthenes [5] the historian contradicts the theories just quoted from Anaxagoras and Euripides; and he states his own opinion as follows. There are many violent rainstorms

---

(1) Flood: reading ροὰς instead of θέρει ("in summer-time").

(2) Heavens: reading τέθριππ' ἄγοντος ἥλιον κατ' αἰθέρα.

(3) Or "Here are the streams of Nile with their beauteous nymphs..."

(4) Gladsome tide: reading γάνος instead of γαῖαν.

(5) Callisthenes of Olynthus, *c.* 370—327 B.C., Aristotle's nephew and pupil, the court-historian of Alexander the Great, was the author of *Hellenica*, from which the above passage is quoted. In the fourth book of his *Hellenica* or *History of Greece*, Callisthenes added an Excursus on the Cause of the Nile Flood, with reference to the invasion of Egypt by Pharnabazus and Iphicrates in 373 B.C. when the inundation, accompanying the etesian winds, made the Persian position untenable, and saved Egypt from defeat (Diodorus XV. 43). Lydus (*De Mensibus* IV. 107) quotes from Callisthenes as an eyewitness, on the ground that he visited Ethiopia with a research expedition sent by Alexander the Great; but Strabo (17, 1. 5, p. 790), on the authority of Posidonius, explicitly states that Callisthenes took his theory from Aristotle, whether that means from his writings or by word of mouth. See the latest discussion of this problem by Albert Rehm in Pauly-Wissowa-Kroll, R.—E. xvii. 1. 1937, cols. 573 ff.

throughout Ethiopia from about the rising of the Dogstar ([1]) until the rising of Arcturus; and during this period the etesian winds continue to blow. These, he says, are especially the winds which bring clouds to Ethiopia; and when these clouds strike upon the mountains there, a great weight of water bursts down upon the land, and hence the Nile rises in flood. Democritus ([2]), on the other hand, holds that about the winter solstice the regions in the North are covered with snow; and about the summer solstice, after the sun has changed its course, as the snow begins to melt and evaporate in the warmth, clouds are formed, which ([3]) the etesians catch up and bear to the South. When these clouds are forced in a mass towards Ethiopia and Libya, there is a heavy fall of rain, which streams down and floods the Nile. Such, then, is the cause which Democritus gives for the flooding of the Nile.

Euthymenes of Marseilles ([4]), who has himself made the voyage, declares that the current of the outer sea ([5]) sets as if towards Libya, but is turned away in a northerly direction. Normally, this sea is empty; but when the etesian winds force the water up, it flows in flood at that time: then, when the etesians cease, it recedes. This sea (he says) has fresh water, and contains monsters similar to the crocodiles and the hippopotami

([1]) The heliacal rising of the Dogstar, or Sirius, is on July 24th.; that of Arcturus, on September 15th.

([2]) Democritus of Abdera, *c.* 461—361 B.C., a notable scientist, supported the "atomic theory": he was known as "the laughing philosopher". See Diodorus I. 39: in I. 98 Diodorus refers to the belief that Democritus spent five years in Egypt, receiving instruction in astrology.

([3]) Which: reading ἃ instead of διὰ τό.

([4]) Euthymenes of Marseilles, *c.* 550 B.C.: see Aristides, *On Egypt* § 85; Lydus, *De Mensibus* IV. 107; and Wiedemann, pp. 102 ff. The "empty sea" is perhaps really a marshy, low-lying coastal region, inundated only when the etesians blow.

([5]) The outer sea is the sea outside the Pillars of Heracles or Strait of Gibraltar, *i.e.* the Atlantic Ocean.

in the Nile. Oenopides of Chios ([1]), again, says that in winter time the springs of the Nile are dried up ; but in summer, thawed by the warmth, they flow. Thus, the reason for the filling up of the dryness as it occurs, lies in the winter when the rains from heaven come on : ... at that time, the Nile, being deficient in water, does not contribute (or cooperate). This is why the river is smaller in winter, but is flooded in summer. Herodotus ([2]), again, argues differently from most writers, but similarly to Oenopides. He holds that the current of the Nile is such as to keep the river always in flood ; but in winter the sun, as it traverses its course over Libya, dries up the Nile. About the summer solstice, however, the sun withdraws to the North, and the moisture gathers.

These are the mouths of the Nile : on the side of Arabia, the Pelusiac mouth : towards Libya, the Canopic ; and the rest are the Bolbitic, the Sebennytic, the Mendesian, the Saïtic, and the Opuepic ([3]).

([1]) Oenopides of Chios, a distinguished astronomer and mathematician of the fifth century B.C., studied astronomy in Egypt. See Diodorus I. 98. 3, and especially I. 41 where the theory of Oenopides is more clearly stated. The text of Anonymus Florentinus is defective here.

([2]) Herodotus II. 25 : see also Diodorus I. 38. 8.

([3]) The seven mouths of the Nile are here given in a confused order,—first, the two extremes East and West, (1) Pelusiac or Bubastic, (7) Canopic or Naucratitic or Heracleopolitic ; then (6) Bolbitic (the Rosetta mouth), (5) Sebennytic, (3) Mendesian, (2) Saïtic (the same as Tanitic : see Herodotus II. 17. 4), and lastly (4) "Opuepic", which seems to ocupy the place of the Bucolic or Phatnitic mouth. This last mouth, the "Opuepic" mouth, is puzzling : the MSS show no variation, and the conjectures which have been suggested ('Οπουντικόν and 'Ονουφιτικόν) are by no means convincing. The Onuphitic channel is one of the so-called false mouths of the Nile, that which is by Ptolemy named the Diolcos : it no longer exists, but it lay between the Sebennytic and the Phatnitic mouths. East of the Diolcos, between it and the Phatnitic mouth, is another false mouth which Ptolemy names Pineptimi. It is difficult to identify the "Opuepic" mouth with either of these false mouths : the name shows little resemblance, even to Onuphitic. =

NOTE

This fragment of a treatise by an unknown author on the flooding of the Nile, is found in three MSS. of Athenaeus, *Deipnosophistae* Book II.: one of these is in the Laurentian Library at Florence, hence the fragment is sometimes known by the name of Anonymus Florentinus. The Greek text may be conveniently consulted in Dindorf's edition of Athenaeus, 1827, Vol. I. pp. 163—167: this text is reprinted in Ideler, *Physici et Medici Graeci Minores*, I. pp. 190 ff. (1841). (See now the most recent edition by F. Jacoby, *Fragmenta der Griechischen Historiker*, 124 F 12 c).

The extant portion of the treatise consists entirely of statements of the theories of previous writers on the subject of the Nile rising—(in roughly chronological order) Thales of Miletus, Euthymenes of Marseilles, Aeschylus, Euripides, Herodotus, Anaxagoras, Democritus of Abdera, Oenopides of Chios, and Callisthenes the historian. Of these authorities the latest in date is Callisthenes who died in 327 B.C His mother was a cousin of the great philosopher Aristotle; and Callisthenes was brought up by Aristotle, studying under him along with Alexander of Macedon and Theophrastus. Aristotle, before he died in 322 B.C., had written a scientific treatise on the problem of the Nile rising: this treatise, of which some fragments remain, laid the foundation for succeeding research on this subject, of which the fragment of Anonymus Florentinus is an example. Its date is uncertain, but there seems to be nothing to hinder one from putting it as early as the 3rd century B.C.

=Assuming that "Opuepic" is really another name for the Phatnitic or Bucolic mouth. Professor D'Arcy W. Thompson conjectures that the original form may have been 'Οπουετικόν, being derived from the Egyptian definite article p. and some cattle-word, and that "Bucolic" is therefore a Greek translation of "Opuetic".

PROCLUS, ON EGYPT AND THE NILE

(Proclus Diadochus, Commentary on the Timæus of Plato 36 D-38 D)

TRANSLATED BY
W. G. WADDELL

Plato (*Timæus* 22 D) puts the following words into the mouth of an aged Egyptian priest. In discussing stories which tell of a world-flood or world-conflagration, the priest says: "In our case the Nile, our Saviour in other respects, delivers (¹) us in safety also at such times from this calamity".

(Proclus comments on this, 36 D). It is obvious that the Nile is the cause of manifold blessings to Egypt, such as geometry, arithmetic, natural philosophy, as well as the production of crops, and immunity from utter destruction by fire. The water of the Nile sustains the bodies of the Egyptians, and the divinity which maintains it, uplifts their souls.......

(Plato *Timaeus* 22 E). In Greek cities a flood causes death to the inhabitants, "whereas in our country", says the aged Egyptian, "neither at this nor at any other time does the water pour down over our fields from above: on the contrary, all the water tends naturally to rise up from beneath. For these reasons, therefore, what is here preserved is regarded as of the greatest antiquity".

(Proclus comments as follows, p. 37 A). If rain-showers do ever fall in Egypt, they are not at any rate usually found throughout the country, but are confined to Lower Egypt. This district (*i.e.* the Delta), as Aristotle says, is clearly the work of

---

(¹) Delivers: reading λυόμενος with the MSS. The conjecture generally adopted, αὐξόμενος, means "by rising in flood".

the river [1]. Upper Egypt does not receive such a rainfall. How, then, does the rising of the Nile occur? Porphyrius [2] says that the belief of the ancient Egyptians was that the water gushed up from beneath at the rising of the Nile; whence they called the Nile "the sweat of the earth". He holds that, for the Egyptian priest, the phrases ἐπανιέναι κάτωθεν, "to rise up from beneath", and σώζει λυόμενος, "delivers us in safety", or "saves us by being loosened or melted" mean, not that the snow being melted produces the mass of water, but that the river is loosened from its springs and advances into the open, being previously confined. But I (Proclus) shall take the word λυόμενος according to Attic usage as applied to the solution of a difficulty: the Nile solves our difficulties. For it is not true that the Nile rises in flood from the melting of snows [3]: where in the southern regions whence the Nile flows, will snow collect? Nor is it true that the water lying beneath the earth, springs up as the soil becomes porous; for the porousness of the earth does not give the water its upward impulse: there must of necessity be something else to drive it from the depths up to higher levels. So much, then, in answer to the Egyptian belief.

Others hold that the increase of the Nile comes from certain rains that pour into it, as is expressly stated by Eratosthenes [4].

---

(1) The work of the river: see Aristotle *Meteor.* I. 14. 11, and compare Herodotus II. 5 "the gift of the river", with Wiedemann's note, pp. 59 f.

(2) Porphyrius, a Greek philosopher of the Neo-Platonic school, wrote in the 3rd century A.D. His *Letter* to the Egyptian prophet Anebôs deals with popular notions of the gods and various religious questions.

What is the nearest parallel in Ancient Egyptian to the conception of the Nile as "the sweat of the earth"? In answer to this query, Professor Battiscombe Gunn draws attention to the ancient conception of the Nile water as the sweat of the Nile god: see H. Brugsch. *Hieroglyph.—Demot. Wörterbuch* VI, p. 499 *s.v. fdt.*

(3) The melting of snows: for the theory of Anaxagoras, see Herodotus II. 22.

(4) Eratosthenes of Cyrene in the 3rd century B.C. was distinguished in many fields of learning,—as mathematician, astronomer, geographer, philosopher, historian, and grammarian. He succeeded Apollonius Rhodius as head of the Library at Alexandria. It was Eratosthenes who raised geography to the rank of a science, but his geographical writings are known to us only in fragments quoted by later geographers and historians.

Now, this does not imply "rising up", as we said just now, and "welling up from somewhere beneath": it means that the water, flooding somewhere higher up (*i.e.* further inland), moves on when rains burst down into the river from other regions.

Iamblichus ([1]), again, says there is no need to make such an inquiry, but to accept a simpler interpretation of the welling up of the water from below, which is usually called the rising. However, in explaining the reason why the Egyptians are immune from both droughts and destructive inundations, he obviously gives critical approval to the theory of increase from rains. He holds that the first and chief cause of the preservation of the Egyptians is the will of the gods to whose care([2]) they have been allotted, and the principle of creation in the beginning; while the second cause is their temperate climate. For the seasons are reversed in the "Antipodes" ([3]) whence the Nile flows to these regions here; and the production of drought and heavy rain alternates there. If anyone censures this explanation on the ground that there is no regularity in the increase of rivers that owe their increase to showers of rain, the answer must be that the Nile does frequently fall: nevertheless, the uninterrupted increase of the river is due to the continuity of the rains and to the greatness of the mountains in which the springs of the Nile lie. These mountains,

---

([1]) Iamblichus, a Neo-Platonic philosopher of the 4th century A.D., was a pupil of Porphyrius. In answer to the *Letter* addressed by Porphyrius to Anebôs, he wrote a work *On the Mysteries*, upholding the truth and purity of the Egyptian religion and worship.

([2]) The care of the gods for the Egyptians: cf. Aristides, *On Egypt* § 123, who says that the Nile rising is due to the great wisdom and forethought of the deity (Serapis).

([3]) "Antipodes", literally "those dwelling opposite to us", those living on the same meridian as ourselves, but on the other side of the equator. For the reversal of the seasons there, cf. the theory of Eudoxus as given in Diels, *Doxographi Graeci*, p. 386: "Eudoxus says that the priests explain the deluge of rain water by the alternation of the seasons. At the time when it is summer with us who dwell beneath the summer tropic, it is winter for those who dwell opposite to us beneath the winter tropic; whence the flood water comes bursting down upon us". See also Diodorus I. 40. 2.

receiving on all their slopes the rains from the clouds which have been driven together upon them by the etesian winds, pour water without intermission into the springs, and these, being full to overflowing, swell the river. For in fact, Theophrastus (1) declares this to be one cause of rain,—the compression (or condensation) of clouds against certain mountains. Moreover, it is no marvel that clouds are not to be seen at the Cataracts (2) ; for it is not from these that Nile starts on its course, but from the Mountains of the Moon (3) (so named from their height) and from the clouds which are massed together on them, passing by the Cataracts and being caught by the higher mountains. So much, then, in answer to the discourse of Aristides, *On Egypt* (4).

Eratosthenes, again, holds that there is no need for further inquiry in regard to the swelling of the Nile: it is certain that travellers have reached the springs of the river, and have seen the rains that fall there; and accordingly the explanation of Aristotle (5) is corroborated.

Such, then, in brief, is my contribution to the discussion of this problem. From these facts has developed the Egyptian belief that no destructive conflagration nor inundation ever befalls them. On other grounds the immunity of Egypt is no marvel,

---

(1) Theophrastus, a native of Lesbos, studied philosophy under Plato and Aristotle; and upon the death of the latter in 322 B.C., Theophrastus became head of the Lyceum, and there, in Athens, he taught until his death at an advanced age.

(2) For the absence of clouds at the Cataracts, cf. Aristides, *On Egypt* § § 33 ff. Proclus has the same word here for Cataracts (Κατάδουποι, "places of thundering din") as Aristides uses in § 95.

(3) The Mountains of the Moon: Aristotle, *Frag.* 247 Rose, gives the alternative name of "Silver Mountains" to these Mountains of the Moon.

(4) For Aristides (A.D. 117-187), see the translation of his treatise *On Egypt* already published in the ***Bulletin*** (Vol. 11, Part 11, 1935, pp. 121-166).

(5) The explanation of Aristotle is in *Frag.* 246 Rose; and Eratosthenes echoes Aristotle's triumphant words, "This is no longer a problem": cf. Speke's telegram, "The Nile is settled".

if Aristotle [1] is right in saying that, long ages ago, every part of the earth was submerged by the sea, and the same region was at one time land, at another time sea. In regard to the Nile also, he did not refuse to believe that its water would fail, when he considered the infinity of past time. Suppose the etesians should blow with too little force to drive the clouds to that region. Suppose, again, that the mountains upon which the clouds collect, should collapse, broken off by a blast from the subterranean regions,—such a blast as causes the destruction of oracles [2] and cities with the dwellers therein. And if the clouds have not formed, the current of the river dwindles [3], becoming ever less and less as it is drunk up by the dry earth.

NOTE

The author of the *Commentary on the Timaeus of Plato*, Proclus Diadochus (*i.e.* "the successor" to Plato), was born at Constantinople in A.D. 410, and taught at Athens for almost fifty years until his death in 485. The last great Neo-Platonist, he was inspired with a genuine reverence for Plato, which led him so far as to say that, if he could have his way, he would destroy all extant writings except the oracles and the *Timaeus* of Plato. He studied at Alexandria and Athens, where he made such rapid progress that by his twenty-eighth year he had written his *Commentary on the Timaeus of Plato*, as well as many other treatises. Proclus was a scholar of vast learning, prodigious powers of memory, and a notable faculty for organization: he wrote about 40 works, but many of them are not now extant. His interest in Egypt and the Nile may be dated from his years of study at Alexandria, where young Proclus associated on intimate terms with the leading citizens and the most distinguished scholars. His account of the Nile rising may be compared with that of Herodotus (II. 17 ff.) and that of Aristides, *On Egypt*; but

---

(1) Aristotle, *De Mundo* 6. 400 a 27 f.

(2) Oracles: cf. *Orac. Chald.* 65.

(3) Dwindles: reading μειοῖ.

Proclus also quotes th views of Aristotle, Theophrastus, Eratosthenes, Porphyrius, Iamblichus, and criticizes the various theories from his own standpoint. He makes it clear that Aristotle and Eratosthenes had put forward the true cause of the Nile-flood, referring to the tropical rains that fall in the region of the upper waters of the Blue Nile and the White Nile. This explanation was later confirmed by Agatharchides of Cnidus through information received from natives of the interior of Africa: see Diodorus I. 41. 4 ff. Agatharchides lived in the 2nd century B.C.: he began his life as a schoolmaster in Alexandria, and wrote a work in 10 books on the Geography and History of Asia.

The text which has been followed in the above translation is that edited by E. Diehl, *Procli Diadochi in Platonis Timaeum Commentaria*, Teubner, 1903, Vol. I. pp. 117-121.

LYDUS, ON THE NILE RISING

(From *De Mensibus* Book IV. 107)

TRANSLATED BY

W. G. WADDELL

When the Sun is in Leo, the Nile pours forth its flood. The river was first called Illas ([1]), then Aegyptus from Egypt, next Chrysorroas (golden river), and finally Nile from a king of that name. The opinion of grammarians that Nile is named from νέα ἰλύς (new mud) concerns etymology*. In regard to the summer increase of its waters, Anaxagoras ([2]) holds that it is the melting of snows in Ethiopia that sends down the Nile in flood; and such is the belief of Aeschylus ([3]), Sophocles ([4]), and Euripides ([5]). But Seneca ([6]), the greatest of Roman philosophers,

---

([1]) Ilas: this name applied to the Nile, and also the third name Chrysorroas, are curiously uncommon. Chrysorroas which means "golden river" or "flowing with gold", is used of the Nile by Athenaeus also (V. 36, p. 203 c): the fertilising waters of the Nile produce precious crops. In ancient Egyptian, however, the word "gold" is not associated with the river Nile (Professor Battiscombe Gunn).

(*) Diodorus Siculus, in his account of the Nile (I. 36.2), describes the Nile as "always bringing down new mud" (νέαν ἰλύν), but he does not mention this as an etymology of the name Nile.

([2]) Anaxagoras (died *c.* 427 B.C.), the famous philosopher of the Ionian school.

([3]) Aeschylus, frag. 300 Nauck[2]: frag. 161 in the Loeb edition.

([4]) Sophocles, in an unknown tragedy: frag. 797 Nauck[2], frag. 882 Pearson, but the words of Sophocles are not extant.

([5]) Euripides, *Archelaus* (frag. 228 Nauck[2]), *Helena* lines 1-3.

([6]) Lucius Annaeus Seneca (*c.* 4. B.C.—65 A.D.) treated of the Nile in his work entitled *Naturales Quaestiones* (IV a). He visited Egypt, where his mother's sister was the wife of the prefect, Vitrasius Pollio; and in an early book (now lost), *de Ritu et Sacris Aegyptiorum*, Seneca dealt with religious practices in Egypt.

contradicts this view, declaring that Ethiopia (is a torrid land): hence the scorching of the bodies of the Troglodytes who, being unable to bear the sun, dwell beneath the earth, while silver in that region loses its lead [1], and there is no substance which does not melt. Besides, he adds, there are many rivers rising in the South, yet we see none of them flooding in summertime, although mountains overhang them.

Euthymenes of Marseilles [2] says that he sailed over the Atlantic Ocean, and saw the Nile running out from it: it swells to a greater volume at the time when the so-called etesians blow. For then, he adds, the sea is driven forth by the winds, and when they cease, it comes to rest. The water of the Atlantic Ocean is practically fresh water, and its denizens are similar to those of the Nile. This belief also is contradicted by Seneca who states that the fresh and light water is evaporated by the sun, and that every sea is salt through and through. Thus there is no truth in this story: if there were, the Nile would be flooding in winter also, and flooding all the more, in proportion to the violence of the winds' motion. Moreover, the river is noticeably dark and turbid, —a quality alien to sea water.

---

(1) Silver loses its lead: this may refer to the melting of lead ore among the silver ore, or to the melting of solder on a silver vessel (cf. *replumbare*). LS[9] interpret as "Silver is turned into lead": is this an emphatic way of saying "Silver becomes (or behaves) like lead"?

(2) Euthymenes of Marseilles lived earlier than Herodotus, and flourished probably in the latter half of the 6th century B.C. He believed that the Nile rose in the N.W. of Africa, fed by water from the Atlantic Ocean; and he explained the Nile flood as the result of the etesian winds driving the water of the Ocean with greater force than usual into the river. In support of his theory which was based on personal observation, he adds that the Ocean has practically fresh (or "sweet") water, and contains animals like the crocodile and the hippopotamus of the Nile. Euthymenes, in his vayages of exploration along the coast of West Africa, may have come to the mouth of one of the larger rivers, such as the Senegal, which was known in ancient times as the Bambotus; this he took to be the beginning of the Nile. See Anonymus Florentinus, *De Nilo*; Aristides, *On Egypt* § 85; and Wiedemann, pp. 102 ff. For Seneca's criticisms, see *Nat. Quaest* IV. a 2 §§ 22-24; and cf. Lucan X. 255 ff.

Next, Diogenes of Apollonia (1) states that, when the sun evaporates the moisture, the Nile is drawn out of the sea by the dry soil. The soil, being by nature porous and perforated, draws the moisture to itself; and the drier the soil of Egypt, the more strongly does it attract water to itself, just as the oil in lamps runs more freely to the place where it is being consumed by the flame.

Herodotus (2) again, holds that the water is drawn up from all rivers by the sun as it traverses the southern zone near to the earth; but when towards summer the sun turns away to the north, it summons forth the Nile, and it is for this reason that the river pours forth its flood in summertime. The Egyptians say that the etesians drive away to the south all the clouds in the upper air; and from the south, when a heavy deluge of rain descends, the Nile comes gushing forth.

Moreover, Ephorus of Kyme (3) in the first book of his *History* says that Egypt is naturally of loose texture; and each year, as the mud is brought down by the Nile, the soil is covered with a layer; but at the time of the scorching heat the river pours down like sweat to the lighter and looser parts. But Thrasyalces of Thasos (4) holds that the etesians drive forth the Nile. Ethiopia is encircled by loftier mountains than those in our part of the world; and when it receives the clouds driven by the etesians,

---

(1) Diogenes of Apollonia, one of the Ionian natural philosophers, lived in the 5th century B.C. (Cf. Seneca *Nat. Quaest.* IV. a 2. 28 ff.

(2) Herodotus 11, 24.

(3) Ephorus of Kyme in Aeolia, who died *c.* 340 B.C., wrote a *History* in which he included an Excursus on the Nile, probably when he was dealing with the insurrection of Inarôs, 462 B.C. (Can this Excursus have been appended to the "first" book? Perhaps "first" is a mistake for "eleventh".) From Aristides, *On Egypt* § 85 it appears that Ephorus quoted the theory of Euthymenes among others. For a papyrus fragment (dated *c.* 200 A.D.) of the *History* of Ephorus, see *The Oxyrhynchus Papyri* XIII. 1610.

(4) Thrasyalces of Thasos, one of the early anthorities on natural philosophy; see Strabo 17. 1. 5, who dates him earlier than Aristotle.

the increase of the Nile takes place (1). So Callisthenes (2) the Peripatetic philosopher, in the fourth book of his *Hellenica* declares that he joined the expedition of Alexander of Macedan, and when he came to Ethiopia, he found the Nile rushing down as the result of a deluge of rains in that country. But Dicaearchus (3) in his *Description of the Earth* will have it that the Nile pours forth its flood out of the Atlantic Ocean. Thus, opinions about this problem are varied; and the truth is nowhere yet to be found among men: according to the oracle, "the strict verity lies in the depths".

Now, here is the account of Chrestus (4) the Roman: "In the west there are massive and very lofty mountains, which divide Libya and Ethiopia: the Atlantic Ocean breaks upon the very roots of these mountains, and that is where Ethiopia begins in the west. Now, at the foot of these mountains there are lakes, spread out over an infinitely broad area. On their shores there dwells a race of men, the Ichthyophagi (5) (Fish-eaters) as they are called: from the first hour of the day until sunset, they live in the water and feed on fish. Next to their frontiers come the

---

(1) Increase takes place: read ἐπιδιδόναι, unless ἐκδιδόναι is here used with the meaning of ἐπιδιδόναι.

(2) Callisthenes of Olynthus, a contemporary of Ephorus, died in 327 B.C. See Anon. Flor. *De Nilo* (*supra* p. 2 note 4); and cf. Lucan X. 272 ff. (Alexander, "grudging the Nile its secret", sent a picked band of men to the farthest parts of Ethiopia).

(3) Dicaearchus of Messene in Sicily, a Peripatetic philosopher, flourished towards the end of the 4th century B.C.: he was a pupil of Aristotle, and the author of historical and geographical works. Among his writing was a *Description of* (*or Travel round*) *the Earth*, which appears to have been equipped with maps (Cicero, *Ad Atticum* VI. 2 *tabulae*).

(4) Nothing certain is known about this Chrestus, whose name as a Roman may have been Probus: it is clear that he was interested in geography and exploration, and it was probably from his writings that Lydus knew the treatment of the Nile rising by Seneca (*Nat Quaest*. IV. a).

(5) Ichthyophagi: Strabo tells of these "Fish-eaters" who live in narrow zones beneath the tropics (2. 2. 3),—a waterless area (16. 4. 13).

so-called Anthropophagi([1]), a very valiant race of men, with bulging noses, crooked faces, and nails almost like lion's claws. It is from those lakes, then, that the river takes its rise; they make a cover for the streams which proceed from them. Out of these lakes, indeed, which the natives there call Chaae ([2]), there issues a very thin stream, scarcely visible, which, falling down into narrow places and from different parts in turn into a bed of its own, assumes the appearance of a river. This may be regarded as the Nile, which, rolling along in different latitudes, passes through thickly wooded, impenetrable regions...... : thence it emerges upon level ground, and is gathered together again into a river-bed. Thereafter, as far as Meroe it is navigable, and it flows on through the uninhabited regions of the south, encircling Meroe and thus making it an island; for it is all a level plain. Thence, for the rest of its course, the whole river, confined in its channel, turns eastwards in the direction of Egypt; and from that point to the sea a stronger wind blows down upon the river. By the violence of the north wind, it is said, the current is driven upstream, and, pouring back ([3]) instead of forward, it inundates the whole of Egypt. When an east wind blows against the etesians, or when a south wind drives the current down, it naturally follows that, since the north wind has slightly abated, the river rushes down towards the sea. There is evidence, too, that its swelling is not due to the melting

---

([1]) Anthropophagi or Man-eaters: Strabo also alludes to various cannibal tribes (e.g. 4. 5. 4, where he says, "upon no trustworthy authority", that the inhabitants of Ireland are man-eaters as well as heavy eaters). See Shakespeare, *Othello* I. 3.

([2]) Chaae: these lakes or swamps are referred to, though not named, by Seneca (*Nat. Queast.* VI. 8. 3) as having been discovered in his time by two centurions sent by the Emperor Nero to explore the source of the Nile.—"immense swamps with no exit known to the natives or to be hoped for". Cf. Aristotle *frag.* 248 Rose, *Hist. Anim.* IX. 2 p. 597 a 5: and for the Sudd district, "a great stretch of swamp one-third the size of the British Isles", see Baedeker, *Egypt*[8], p. 465.

([3]) Pouring back: the Greek word used here, ἀνεκχέω, should be added to LS[9].

of snows, in the fact that the Nile is not cold, but warm ; and hence, as the water recedes, there are found upon the mud living things, some fully fashioned, some of monstrous shape (1). Such creatures are naturally engendered by warmth and moisture ; but this is not the case in other rivers : they contain nothing but fish. Other men speak at random ; but I (says Chrestus) have stood on the promontory of Mauretania (2) at the mouth of Ocean".

NOTE

The above discussion on the Nile rising is an extract from a *Calendar of Months* composed about A.D. 560 by Joannes Laurentius of Philadelphia in Lydia, Asia Minor, hence called "Lydus" (the Lydian). He was born in A.D. 490 ; and for 40 years from 511, he lived at Constantinople, holding various high posts in the civil service of the government. He also cultivated literature, and had considerable reputation as a poet ; but none of his poetical compositions has survived. His work *On the Months* is a historical commentary on the Roman calendar, describing the celebration of the various festivals, each under its date, with

(1) With this account of spontaneous generation in the alluvial mud of the Nile, cf. Diodorus I. 10. 6, 7 ; and Pomponius Mela I. 9 ("This", *i.e.* the vitalising power of the Nile, "is obvious from the fact that, when the inundation has abated and the water has retired within its usual bounds, on the soaking plains there are seen certain creatures not yet completed, but then first receiving the breath of life, some already moulded into shape, others still attached to earth").

(2) Juba II., King of Mauretania from 30 B.C. to *c.* 19 A.D., was the author of a great variety of works, including a *History of Libya* in which he discussed the origin of the Nile. He sought the beginning of the Nile, we are told, "on a mountain of Lower Mauretania not far from the Ocean" and thereafter from a lake "always stagnant, which is called Nilides" (Pliny *Nat. Hist.* V. 51). Similarly, Ammianus (22. 15. 8) says : "King Juba, relying upon the text of Carthaginian books, explains that the Nile rises in a certain mountain situated in Mauretania and looking down upon the Ocean. This account, he says, depends upon the evidence that similar fish, plants, and animals are produced in these swamps".

astrological and antiquarian notes. This *Calendar of the Months*, the earliest of the three extant work of Lydus, has not survived in its original completeness, but only in fragments—epitomes and extracts, which give predominance to astrological matters. Its chief value is that Lydus has preserved quotations from a number of authors whose works as a whole have not survived.

Of the three MSS. which are our authorities for the discussion of the Nile flood, one (T, codex Cryptoferratensis: Wünsch's edition p. lvi) contains from Lydus nothing more than this extract; and the reason for this is an interesting one. The MS. belongs to the famous Greek Monastery, Grottaferrata, near Frascati among the Alban Hills, about 15 miles S.E. of Rome; and the extract from Lydus was transcribed in the 15th or 16th century by a monk of Grottaferrata in honour of Saint Nilus the Younger who founded that monastery in A.D. 1004, and is honoured as its first Abbot. The extract in this MS. has a special heading: "From the diary (or journal) of Claudius Tuscus on the rising of the Nile in the month of July". If this is the same person as the Clodius Tuscus to whom Sinnius Capito wrote a letter which is quoted by Gellius (V. 20), he lived in the time of Augustus.

The above translation is made from the Teubner text edited by Wünsch, 1898, pp. 144-148. The discussion of the Nile rising falls under the month of July, and consists of a patchwork of quotations from a number of authors: Euthymenes of Marseilles, Aeschylus, Sophocles, Euripides, Herodotus, Anaxagoras, Thrasyalces of Thasos, Diogenes of Apollonia, Ephorus of Kyme, Callisthenes of Olynthus, Dicaearchus the Peripatetic, Seneca, and Chrestus the Roman. The presence of Seneca among these authors is explained by the fact that Lydus borrowed his material for this passage from the *Naturales Quaestiones* or *Natural Problems* of Seneca (Bk. IV. a): and the value of Lydus is that Seneca's account has come down to us in a mutilated form, whereas Lydus was able to consult the complete treatise. The lacuna at the end is supplemented in Gercke's edition of the *Naturales*

Quaestiones by quotations from Lydus, beginning with the view of Herodotus and ending with that of Dicaearchus. Following the latter, came the theories of Posidonius and Juba, which have been omitted by Lydus, but are handed down by Lucan and Ammianus Marcellinus.

THE PROBLEM OF THE MEGARUM

IN THE WORSHIP OF ISIS,

BY

MOHAMMED SELIM SALEM

Before the year 1868 no one suspected that there was any connection between the Isis cult in Italy and certain underground sanctuaries (μέγαρα) of Greek chthonic deities. The very word "megarum" was new to Latin lexicography, and the importance of the two inscriptions [1] in which the word first occurs, is equalled only by the obscurity of the problem they raise [2].

---

[1] CIL. XIV. 18: PRO SALUTE IMP. CAES.
" " " PFA.
VG. CAMVRENIVS. VERUSAC.
DEAE. ISIDIS. CAP.
CED ET CETERI.
ISIACI. MAGAR. DE SVO RESTITV.
CIL. XIV, 19: VOTO SVCCEPTO.
CALVENTIA. SEVERINA.
ET. AURELIA. SEVERA.
NEPOS MEGARVM.
AMPLIA VERVNT.

[2] For the etymology of the word megarum, see Robertson Smith —S. A. Cook, Relig. of the Semites[3], p. 200. Cook in his additional note on p. 567-8 says: "The word may be of independent (Cretan? Aegaean?) origin". Homer uses the word μέγαρον in the singular for a large room or a hall, and in the plural for the women's apartment or a mansion (Homer, Iliad, I, 396; 3, 125. Homer, Od., I, 270; 19, 30) Herodotus employs the term in the singular only and always in a religious sense (How-Wells ad Herodot., I, 47, 2). He uses it once for the adytum of Ptah-temple in Memphis (Herodot., 2, 141, 3). There is nothing in Herodotus to show that a megarum is κατάγαιον οἴκημα, but the megara, used in the Thesmophoria, were chasms, in which pigs were thrown as a magical rite to compel the earth to fructify (Harrison, *Proleg.*, 123 ff.; Lobeck, *Aglaoph*, 829 ff. Cf. also Pausanias, 9, 8, 1; Aristophanes, *Acharn.*, 747, 764).

These two inscriptions, discovered at Porto, were first published by Lanciani, who tried to establish a connection between the megarum and Isis as a goddess equated with Demeter ([1]). Of these two inscriptions it is unfortunate that we do not possess an exact apograph ([2]), as they were removed to another place on the same day they were found. Hence certainty about punctuation is not attainable. Inscription No. 19 causes no difficulty. Two women, otherwise unknown to fame, were the patrons responsible for the enlargement of a megarum. It has nothing to show that it belongs to the cult of Isis. But as the two inscriptions, Nos. 18 and 19, were found, it seems, together, and they deal, the one with the restoration, the other with the enlargement of a megarum, they probably came from the same temple. The megarum enlarged by the two ladies probably belonged to the Isis cult, and was perhaps the sanctuary restored by Camurenius and the other ministers of the cult.

Inscription No. 18 raises three different questions. Who was the emperor whose name is erased? What does CAP signify? How are we to interpret CED?

Since the Isis cult reached its apogee in the third century of the Christian era and was especially favoured by the Antonines ([3]), it is probable that the emperor whose name was obliterated is Commodus. His memory was condemned after his murder. The number of the letters erased is approximately twelve ([4]), and the words may have been M. (or L) AVREL. COMMOD ([5]). And as the punctuation is not exact, we may

---

([1]) Lanciani, *Bull. dell. Instit.*, 1868, 228 ff.

([2]) Lanciani, *Bull. dell. Instit.*, 1868, p. 228 : Innanzi tutto premetto di non possedere di queste inscrizioni un apographe estatissimo : quindi massime nella interpunzione vi può essere incorso qualche leggiore errore.

([3]) Lanciani, *Bull. dell. Inst.* 1868, 233 ; Wissowa, *R. K.*, 355.

([4]) Judging by the first and third lines (letter for letter).

([5]) Commodus took the name of M. Aurelius Commodus from 180 to 191 A.D. and the title felix in 185 A.D. He assumed the name Lucius Aurelius Commodus until 180 A.D. (Cagnat, Epigr. Lat.[4], p. 203).

take CAP as the abbreviation for Capitolinus, or we may read C.A.P. interpreting them as coloniae Augustae Portuensis [1]. As there was a Capitolium [2] at Ostia, we may be justified in conjecturing that Isis had a chapel there, and that Camurenius was its priest. But can Capitolina alone stand for the less known place? Is it not more probable that Isis Capitolina, without any other determinative, would naturally refer to the chapel of Isis in the palace of the gods in Rome itself? The letters CED probably stand for C.E.D. (consulto egit decurionum). This interpretation is quite likely, but it raises many a question that demands minute study of the priestly hierarchy, the Isiac associations and their relation to each other. Where was this college of decuriones? In Rome or Porto? Can we draw any conclusions from the use of ceteri (not alii) Isiaci? Does it indicate that Camurenius was one of the Isis priests at Ostia and Porto? It is perhaps safer to leave the question open.

If the letters CED stand for consulto egit decurionum, the connection between this megarum and the Isis cult becomes extremely probable, as the college was not likely to pass a decree for the restoration of a crypt belonging to another cult. The fact that the Isiaci also paid their contributions towards the cost of the restoration of this megarum points to the same conclusion.

The only other Latin inscription, which can be referred to in a discussion of the megarum, owes its value in this connection to the place where it was discovered (Lecce extat loco antiquo in crypta subterranea ubi reperti sunt nummi antiqui complures, nunc vero oleum adservant sub aedibus Raphaelis Russe prope

---

(1) *Liber Colon.* (Die Schriften der R. Feldmesser, 1), p. 222: Nam pars agri quae circa Portum est Tiberis (the port of Trajan) in iugeribus adsignata adque oppidanis est tradita.

(2) The Capitolium of Ostia (CIL. VI. 479=CIL. XIV. 32; Dessau, 6152) is now definitely identified with the tempio di Giove (Calza, *Ostia.* 11, 39, fig. 34; Carcopino, *Ostie*, pp. 17, 48).

S. Mathaeum) (1). The locality is interesting, as Christian churches often occupy the sites of pagan temples (2). The crypta subterranea may have been the κατάγαια οἰκήματα of a sacred building. The inscription itself does not help us in any way (T. Memmius Cinyps dedicated (what ?) to Isis and Sarapis).

Outside Italy a μέγαρον is mentioned in a dedication to Isis, Sarapis, and Anubis by a priest (ὁ ἱερεὺς | Ἀθηναγόρας | Ἀθηναγόρου, | Μελιτεὺς, | Σαράπιδι, | Ἴσιδι, Ἀνούβιδι τὸ μέγαρον, | κατὰ πρόσταγμα (3). It was found in Delos "sur le côté occidental du temple situé dans la cour du Serapieion C", near four underground chambers, but it is not certain that the dedication refers to any of them (4). As in CIL. XIV, 18, the above Greek dedication is by a priest, and the construction of this megaron in Delos was κατὰ πρόσταγμα. The two ladies who enlarged the megarum at Porto undertook the task voto suscepto. No definite conclusions, however, can be drawn from our epigraphical evidence, for there is always the likelihood of a devotee dedicating the megarum of another deity in honour of Isis (5). Here this likelihood is almost inadmissible, for we have seen that in the restoration of the megarum at Porto the Isiaci contributed their share of the cost and the decuriones probably passed a resolution delegating Camurenius to superintend the work (6). But our inscriptions throw no light whatever on the

---

(1) CIL. IX, 17. Mommsen does not give any information about this inscription or the place where it was found, which is likely to help us in our research. Lanciani refers to this inscription at the end of his article (*Bull. dell. Inst.*, 1868, 237), but he also does not give any description of the crypt, where the inscription was discovered.

(2) A church stood on the site of the Isis temple at Beneventum (*Notizie*, 1904, 107 ff.).

(3) Roussel, *Cultes*, p. 136, inscript. No. 90: plaque de marbre blanc H.O, 44; larg. O, 44; ep. O, 115. It was discovered in 1909 and goes back to 126/5 B.C.

(4) Ibid., 55.

(5) Syncretism introduced a broad-minded tolerance, and killed exclusiveness (Nock, *J. H. St.*, 45 (1925), p. 88 ff.).

(6) CIL. XIV, 18, 5-6. I read c(onsulto) e(git) d(ecurionum).

place of the megara in the Isis cult. Were they halls of initiation or adyta or simply cubicles for incubation or even mere stores for sacred objects (1) ?

Archaeological remains, one begins to hope, may clarify this obscure problem and give valuable data for determining the use of these crypts. But though we possess descriptions of several subterranean structures forming parts of Egyptian temples in the Mediterranean, we cannot definitely say that any one of them was a megarum.

The most important of these crypts is the so-called purgatorium in the Iseum at Pompeii. It is a small edifice situated at the south-east of the area ; a flight of stairs leads to a vault under ground, 5 ft. by 5½ ft., which is divided by a low wall (2). Lafaye, not satisfied with the explanation that it was a tank, insisted that the part divided by the wall formed a bed and a podium. Apuleius (Met. XI, 27) recalls that he was sleeping in a similar place when a priest appeared to him in a dream (3). The presence of a large ear in a niche supports the view of Lafaye that the edifice served as a cubicle for incubation (4). Mau, however, thinks that the reliefs on the outside of the enclosing walls may point to the use of the edifice (5). Priests and priestesses are seen turning in supplication towards a vase on a blue ground. The vase contains the sacred water of the Nile. There are also two priestesses with plates filled with fruit and an animal that looks like a frog (6). Very near the building was the mouth of a reservoir (7). When the place was first excavated in 1765, a foul vapour issued from it like the damp of mines (8).

---

(1) Lanciani. *Bull. dell. Inst.*, 1868, 228 ff. ; Gatti, *Bull Commiss. Arch Municip.*, 1886, 175 ; Lafaye, 183-4.

(2) Mau-Kelsey, 178 ; Mazois, IV, 32, pl. 8 D.

(3) Lafaye, 184.

(4) Lafaye, 184 ; Mazois, IV, 33. Cf. however infra p. 44. and Roscher. *Lexicon* s. v. Hydreos.

(5) Mau-Kelsey, 178.

(6) Mazois, IV, pl. XI. fig. 1.

(7) Lafaye, 183.

(8) W. Hamilton, *Archaeologia*, IV. 165-6 ; Roussel, *Cultes*, 30. n. 2.

Was the place used for the twofold purpose, as a tank and an abaton? "Il est possible, bien que douteux," says Roussel, "que le crypte (of the Iseum at Pompeii) ait eu une double destination" (1).

Unhappy is Lafaye's assertion (2) that σπέα belong to the cult of Isis in Graeco-Roman Egypt (3). "De même," he, wrote, "en certains endroits de l'Égypte, Isis et Sérapis étaient adorés dans des grottes que les inscriptions dont elles sont couvertes appellent σπέα". The two inscriptions copied by Letronne, Lafaye's authority for his view, give, one τὸ ἱερὸν ἐποίησα and the other ἐποίησα τό ἱερόν without the slightest hint at a speos or a megaron (4). It is Letronne (5) who ssys "on trouve, en outre, un spéos ou chapelle creusée dans le tuf avec un façade extérieure d'architecture dorique". The reason for cutting these chapels in the rocks is obvious; the locality is a mining district close to the mountain known in the Roman period as mons Berenicidis. The other monuments referred to by Letronne are all in mountainous districts, e.g. jabal (mons) el Dochan and jabal el Fatirah.

The three Serapea of Delos contain each a crypt. In the Serapeum "A" five stairs lead to a rectangular structure built under the cella itself. The Eastern extremity of this crypt has a quadrangular cavity of which the bottom is not yet excavated. Water came to the basin from a canal that passes under the

---

(1) Roussel, *Cultes*, 31, did not at first agree with Lafaye that the edifice was a megarum, but later (*Rev. Egyptol.*, I (1919), 83) he accepted the designation ef the building as a megarum.

(2) Lafaye, 183.

(3) From the incredible tale (Lucian, *Philopseud.*, 34), where a priest is said to have lived underground for 23 years learning magic from Isis in Egyptian adyta, we cannot deduce any evidence for the existence of megara in the Isis cult in Egypt.

(4) Letroune, Rec. Inscript., I, p. 457, no. LI; p. 460, no. LII. (These 2 inscri are in reality one, and they are treated as such lin CIG. III, 4839 and Dittenberger. *Or. Gr. Inscr. Sel.*, 717).

(5) Letroune, *Inscript.* p. 453, esp. p. 455.

Eastern wall of the temple connecting it probably with the reservoir of the Inopos. This crypt in the Serapeum " A " resembles in various points the purgatorium (?) of the Iseum at Pompeii([1]).

Under the portico or the terrasse of Separeum " B " we find a structure similar to the crypt in Serapeum " A ". " C'est un caveau," says Roussel ([2]), " quadrangulaire, long de près de 2 mètres, large de moins de 1 mètre, dont les murs et le fond avaient été soigneusement stuqués ". The superstructure has been entirely destroyed, but we can still see the five stairs that led to the crypt, which contained the sacred water.

The crypts in Serapeum " A " and Serapeum " B " were not used for any other purpose except as reservoirs ([3]). But there is no trace of a basin in the third Serapeum, where the inscription commemorating the construction of a megaron was discovered. We find, however, four underground rooms situated at the northwest corner of the temple (Serapeum " C "), to which no means of access is provided ([4]). " Un escalier en bois, " says Roussel ([5]), " peut-être volant, y donnait-il accès ? ". Near these rooms, of which the floor is two metres below the level of the area, was found the inscription referring to the megaron, but we have no proof that the megarum formed part of them ([6]).

The Crypt of Gortyna ([7]) : The Italian archaeological mission headed by Prof. Halbherr made some interesting discoveries in Crete in 1911-12. At Gortyna they uncovered a nymphaeum with

---

([1]) Roussel *Cultes*, 20 ; 30-1. Cf. " I " in pl. 1, and also fig. 2 where the entrance of the crypt is reproduced.

([2]) Ibid, 36 ; 45 ; cf. " D " in pl. 2 and also fig. 6.

([3]) Ibid, 55 : " dans les deux autres sanctuaires égyptiens à Délos nous avons reconnu l'existence d'étroits caveaux qui ne servaient guère que de réservoirs sacrés ".

([4]) Ibid, 55.

([5]) " "

([6]) " 55 ; 137.

([7]) Short notices about the excavation at Gortyna *Am. J. Arch.*, 16 (1912), 123 and ibid, 18 (1914), 96-97 ; *J. Hell. St.* 33 (1913), 365 (by Prof. Droop) ; Oliverio, *Annuario*, I (1914), 376-7.

a colonnade and decorative sculpture, and an odeum built probably in Roman times. In the same region to the north of Apollo's temple, Dr. Oliverio discovered a temple dedicated to Isis, Sarapis, and the gods worshipped in the same temple with them. On the architraves of this temple is a dedication of Flavia Philyra, who had the building erected. The temple had a crypt on the south of the building to which a little flight of steps led ; on the side of this staircase were found two niches for small statues. The edifice is sometimes considered "a subterranean pool", or a place for initiation [1]

The subterranean galleries in the Serapeum of Alexandria: The site on which the famous temple stood is marked now by the colossal pillar set by Diocletian, but popularly attributed to Pompey. Mahmoud el-Falaki who drew the map of old Alexandria was told that statues of dogs, jackals, and birds were found there [2]. Botti [3], relying on a passage in Aphthonius, the rhetorician, conducted some excavations on the same spot in 1894–5. He discovered some subterranean structures which he considered to belong to the Serapeum, but other scholars who visited his excavation declared for a pre-Alexandrian period [4]. Rufinus [5] says explicitly that the temple was built on an artificial structure, and that in the underground chambers sacred rites were performed (quae inmissis desuper luminaribus et occultis adytibus invicem in semet distinctis usum diversis ministeriis et clandestinis

---

[1] *Am. J. Arch.*, 18 (1914), 96-7 ; Roussel, *Cultes*, 137 : un crypte pour les initiations ; L. Pernier, *J. des Sav.*, 1914 ; 37 ff. : con cripta per le iniziazioni.

[2] Breccia, *Alexaudrea* 111.

[3] Botti, *L'Acropole d'Alex.*, 5 ff. Aphthonius, 47 ff. (p. 38 ff., lin. 3 ff. ed. Rahe); the text with the Latin translation of Agricola and Cattaneo, ed. of Venice, MDCXXX, p. 315-7, is given in Botti, *Fouilles à la colonne théodosienne*, p. 23 ff. For mere details about the megara in the Isium and Serapium at Alexandria, see Botti, *Fouilles*, p. 70 ; p. 108 (plan of the Isium) ; p. 110 ff.

[4] Botti, *L'Acrop. d'Alex.*, 26.

[5] Rufinus, *H. E.* XI, 23.

officiis exhibebant). When these galleries were excavated, every stone object was found broken on the spot; this is an indication that they may have been destroyed by the Christians when they invaded the Serapeum. It is, however, noteworthy that Rufinus, H. E., XI, 23 tells us that cuncta vero, quo ad summum pavimentorum evadatur opere forniceo constructa, whereas the two galleries uncovered by Botti are cut in the rock (on pénètre (in the North Gallery) dans un couloir creusé dans le roc, à moitié enterré, se dirigeant pour 7 m. au N. et tournant brusquement à l'E. avec un parcours de 31 m.) (¹). As they do not contain any bones, they cannot be taken to be tombs (²).

Resumê: The problem of the megarum can now be briefly summarised. Inscriptions make it probable that the megarum was connected in some way with the Isis cult. Its place in the worship is still unexplained. The hypotheses that can be put forward to interpret the part the megarum served in the cult, are mere conjectures, not always mutually exclusive (³). There is an *a priori* case for a Graecian origin; the word used in the two Latin inscriptions of Porto is Greek. A megarum need not be a κατάγαιον οἴκημα. "Μέγαρον", says Lobeck (⁴), "veteres interpretantur ἑστίαν περιῳκοδομημένην, diis inferis consecratam, quo in numero sunt Ceres et Proserpina". Ebert in P.—W. s. v. megaron (3) defines it as "altertumliche Bezeichnung bestimmter einzelner Tempel (⁵)". The ordinary meaning, however, is that

(¹) Botti, op. cit., 25.

(²) Ibid, 25.

(³) Apul., *Met.*, XI, 23: deducit ad ipsius penetralia, and ibidem XI, 20: de penetrali fontem petitum spondeo libat, prove that the same place was used for initiation and as a kind of ὑδρεῖον where the sacred water was kept. This is not conclusive in any way, as in the Iseum of Pompeii there is a reservoir in one of the rooms (Mau-Kelsey, 181).

Was the place used for incubation? (Cf. Roussel, Cultes, 31).

(⁴) Lobeck, *Aglaoph.*, 830.

(⁵) Pausanias, 8, 37, 8, says that the Arcadians celebrated mysteries in the μέγαρον of the Mistress and, without slaughtering the victim, cut any limb and offered it to her. Was this μέγαρον an underground sanctuary?

of an underground sanctuary dedicated to chthonic deities ([1]). As the equation of Isis with Demeter was in the Graeco-Roman period a time-honoured tradition, the chapel of Isis at Porto may have been a real megarum, borrowed from the cult of Demeter. Was it within the precinct of the Serapeum of Porto ? As we do not know exactly where the inscriptions were found, it is rash to assert that it was. Isis was σύνναος θεός in the Serapeum at Porto, and the megarum could have been situated within the Serapeum. It is more probable, however, that the Isis-chapel at Porto was a separate edifice. Such a conclusion can be drawn from the fact that the two inscriptions (CIL. XIV, 18 ; 19) are in Latin ([2]). For it is noteworthy that with the exception of CIL. XIV 122, which is too mutilated to be relied upon, no Latin inscription from Porto mentions Sarapis by name, and no Greek inscription from the same harbour names Isis ([3]). Ostia and Porto, however, were closely connected, and Latin inscriptions from Ostia sometimes link Isis and Sarapis ([4]).

Was the megarum, admitting its Greek origin, used for adytum ? It is quite probable that when the ναός was thrown open to the worshippers the ἄδυτον became a necessity. Apuleius ([5]) remembers that the priest, who initiated him, brought hieroglyphic scrolls from the adytum ([6]). But why was the adytum called megarum ? It may be replied that it was not generally known by this name, except where the "hall" was

---

([1]) Hesych. *Lexicon*, s. v. Μέγαρα· οἱ μὲν τὸς κατωγείονς οἰκήσεις, καὶ βάραθρα. οἰκία. καὶ θεῶν οἴκημα. τινὲς δὲ καταστέγους οἰκήσεις. ἢ πόλιν.

([2]) Gatti, *Bull. Commiss. Arch. Municip.*, 1886, 175 thinks that the chapel of Isis was within the temple of Sarapis. But Taylor, *Ostia*, 74. n. 37, takes a different view.

([3]) In Kaibel, 914 ff. we find the stereotyped Διὶ Ἡλίῳ μεγάλῳ Σαράπιδι καὶ τοῖς συννάοις θεοῖς.

([4]) CIL. XIV, 20 : 429.

([5]) Apul., *Met.*, XI, 22 : de opertis adyti.

([6]) Unless these scrolls were forged, initiation in the Greek sense of the word was then linked by the later Egyptian priests with ancient Egyptian theology.

modelled after those of Demeter and in places under Greek influence as Porto and Delos. On such an hypothesis we should have a proof of a direct influence of the Demeter cult on the Isis religion.

Could the megarum have been the sacred reservoir? At first sight this seems to be a foolhardy hypothesis; when we come to examine it, it does not appear at all improbable (1). It has the advantage of linking the Isis cult in Italy with Egyptian theology (2). On this hypothesis the reason for calling the sacred reservoir a megarum would be the identification of the μέγαρον with the fons Nili, the cavern from which the stream flows near the first cataract (3). Herodotus heard with incredulity a straightforward account of Egyptian sacred mythology about the subterranean source of the Nile from a grammateus in the temple of Neith at Sais (4). On the monuments the Nile god, Hapi, is represented in a cavern encircled by a snake and pouring water from two vases (5). The water drawn from the source of the Nile was naturally considered holiest, and for cult purposes the water was always supposed to be brought from Elephantine. "The water used at Osirian lustrations was said to come from Elephantine... where (was) the traditional source of the Nile. The Nile

---

(1) If the megarum=adytum, and adytum is certainly=penetralia, and the Nile water was kept in the penetralia, it is quite likely that the water was kept in the megarum.

(2) We must remember that (1) the neophytes were initiated individually, and so there was no need for a large hall, (2) initiation is connected with regeneration; (3) the Nile water revivifies, (4) sacred lakes were crossed by the dead, and sacred pools by the hearse (Wilkinson, *A. Egypt. Manners*, III, 447, pl. 67.; Diodorus, 1, 92, 1: διαβαίνειν μέλλει τὴν λίμνην, 1, 96, 8).

(3) Seneca, *Quaest. N.*, 4, 2, 7.: post magnum deinde spatium duo eminent scopuli—Nili venas vocant incolae; Lucan, Phars. X, 325: et scopuli, placuit fluvii quos dicere uenas; C. I. Solinus, *Coll. Rer. Mem.*, 32, 11: nonnulli adfirmant fontem eius qui Phialus vocatur.

(4) Herodotus, 2, 28; Spiegelberg, *Cred. of Herodot.*, tr. by Blackman 17 f.

(5) Wilkinson, *A. Egypt. Manners*, III, pl. 44, no. 1.

was the vital fluid that has exuded from the murdered Osiris, whose corpse or a portion of it, namely a leg, lay... in the cavern beneath the island of Bigeh ... The water, therefore, of that region was regarded as especially pure and potent, bubbling direct, as it were, from the god (1)." In the Rhind papyrus the water is said to be from Elephantine ; the first chapter of the Book of the Dead speaks of opening the cavern tpht—the source of the Nile—for those who washed the Still of Heart (Osiris). Thot says, as he pours the water on the dead Penne : I purify you with the water that issues from the cavern of Osiris (tpht Wsir). The Pyramid Texts make the water issue from Osiris himself (2). Outside Egypt the cult kept staunchly to this belief and practice. By a pious fiction the Inopos of Delos was supposed to be connected with the Nile by subterranean passages (3). When Egyptian elements reasserted themselves and Hellenism was weakened (4), and Pharaonic taste in art invaded Italy, the cult could hardly then deviate from a traditional rite. The Nile water was certainly brought to Italy, and kept in the temples of Isis for ceremonial uses (5). Though Lucius was escorted to an ordinary bath, the priest prayed to the gods and sprinkled him with water, which

---

(1) Blackman, *Rec. de Trav.*, 39 (1921), 52 ; idem, *Temple of Bigeh* p. 1-2. Bigeh is an island near Philae ; it contained the tomb of Osiris (Diodorus, 1, 22, 3-6). It is the abaton mentioned by Seneca. *Quaest, N.* 4a, 2, 7 : exiguo ab hac spatio petra dividitur (Ἄβατον Graeci vocant) and Lucan, *Phars.*, X, 323 : Abaton quam nostra vocat veneranda vetustas. Cf. also Plut., *de Iside*, 20, 359 B.; Blackman, *Temple of Bigeh*, p. 4, scene 4, a, c, f, pl. 4.

(2) Blackman, *Rec. de Trav.* 39 (1921), 52-3.

(3) Roussel, *Cultes*, 286 ff. Osiris was equated with the Ocean (Blackman, *Rec. de Trav.* 39 (1921) 62).

(4) Jouguet, *Chronique de l'Egypte* 19, 108 says that by 642 A.D. when the Arabs entered Egypt "il n'y a plus rien d'hellénique" among the Egyptian farmers. Cf. also Perdrizet, Terres Cuites, 1, 75. Cumont, R. Or., 80.

(5) Juvenal, 6, 526 ff : si candida iusserit Io | ibit ad Aegypti finem calidaque petitas | a Meroe portabit aquas, etc. etc. Servius ad Verg., *Aen.*, 2, 116 : nam et in templo Isidis aqua sparsa de Nilo esse dicebatur.

came no doubt from the Nile [1]. The place for the usual purification was at the back of the Iseum at Pompeii, but the so-called purgatorium is at the south-east corner of the area [2].—a position that may recall the source of the Nile at the southern extremity of Egypt. The ὑδρεῖον, hydreuma, was obviously a consecrated spot. Mazois [3] calls it a chapel, and the decorations on the walls have all religious significance. The place was one of the most sacred spots in the temple, for it contained the fluid of Osiris, the eye of Horus. In the Delian Serapeum "A" the basin is under the cella itself, and in Serapeum "B" it was hidden from the vulgar eye under the portico or terrasse [4]. Mau [5] believed that the bas-reliefs on the encircling walls point to the use of the edifice in the Iseum at Pompeii: a vase is on a blue ground; priests and priestesses do homage to the numen of this vase. More important is a large ear in a niche, for it forms an explicit commentary on an inscription discovered in Delos dedicated by an Italian—Ὑδρε(ί)ῳ ἐπηκόωι [6]. A feature of the late Egyptian religion seems to have been the greater homage paid to aquatic deities [7]. In ancient Egypt the Nile god, Hapi, the father of the country, was a divinity of secondary

---

(1) Apul., *Met.*, XI, 23: et prius sueto lavacro traditum, praefatus deum ueniam purissime circumrorans abluit.

(2) Mau-Kelsey, 178.

(3) Mazois, IV, 26 D.

(4) Roussel, *Cultes*. 20; 36; 45.

(5) Mau-Kelsey, 179, cf. also fig. 82. A good commentary on this scene is Vitruv., 8. praef.: "itaque cum hydria aqua ad templum aedemque casta religione refertur tunc in terra procumbentes manibus ad caelum sublatis inventionis gratias agunt divinae benignitati" Cf. also Firmicius Maternus, *de errore*, 2, 1; Lucian. *Jupiter Tragoed*. 42. 690. vide infra n. 8.

(6) Mazois, IV, p. 33. Roscher, *Lexicon*, s. v. Hydreos. Roussel, *Cultes*. p. 165, inscript. no. 152.

(7) Vitruvius, 8, 4 (praef.): qui sacerdotia gerunt moribus Aegyptiorum, ostendunt omnes res e liquoris potestate consistere: Philo, *de vita Mosis*, 1, 17, 98: ἐπειδὴ γὰρ τὸ ὕδωρ Αἰγύπτιοι ιαφερόντως ἐκτετιμήκασιν ἀρχὴν τῆς τῶν ὅλων γενέσεως: Lucian, *Iupit. trag.*, 42. 690: καίτοι τοῦτο μὲν ἅπασι κοινό, τοῖς Αἰγυπτίοις τὸ ὕδωρ. Cf. also the index of Hopfner, Fontes, s. v. aqua.

rank [1]. But in the Graeco-Roman period the growth of Alexandria as a port and the spread of the Egyptian religion in the Mediterranean World gave rise to a new theology that put a great stress on the importance of water in Egyptian beliefs. The gods of Alexandria, the biggest port in the Mediterranean, became naturally the patrons of mariners; a new festival, the Navigium Isidis, sprang up, and Isis won two new titles, Isis Pelagia and Pharia. Isis Pelagia threatened to be a rival goddess, and was worshipped side by side with the old "Egyptian" Isis [2]. As a result of this new point of view, that laid stress on water in the Egyptian religion, the god of Canopus, who was probably an aquatic deity, rose to prominence, and the worship of Osiris-Sarapis Canopus came strongly to the front [3]. The Nile cult also gained in importance and popularity, and became one of the best uniting factors in the history of Egypt. It was not the effect of hazard that the Nile worship was one of the first to suffer at the hands of victorious Christianity [4] and the last to surrender [5].

The vase to which priests and priestesses are turning in supplication in the bas-relief on the outer wall of the megarum, and which figures in a fresco found at Herculaneum, often interpreted as the adoration of the holy water [6], and which was carried in

---

(1) Erman, *Rel. der Ägypter*, 16: aber einer der grossen Götter ist der Nil nicht.

(2) Pausanias, 2, 4, 6; Rusch, 31-2.

(3) For the worship of Canopus, see Roeder in *PW*, s. v. Kanobus, 2, col. 1871 ff; cf. also the index of Hopfner, *Fontes*, s. v. Canobus deus.

(4) The Nilometer was removed by Constantine the Great from the Serapeum and deposited in a Christian church (Socrates, I, 18; Rufinus, *H. E.*, XI, 30, ed. Mommsen, 11, 2, p. 1035, lines 15 ff.).

(5) Libanius, 30, 35, R II 182 (ed. Förster, vol. III, p. 106): ἀλλ, ἀφεῖναι τὸν ποταμὸν εὐωχεῖσθαι τοῖς παλαιοῖς νομίμοις ἐπὶ μισθῷ τῷ εἰωθότι. The Nile festival, the Pelusia, appears in the Fasti Silvii, which do not give any other Isiac rite (CIL. 1^2, p. 261).

(6) Reproduced in Darem.—Saglio, *Dict*, s. v. Isis, p. 583, fig. 4102; Moret, *Rois et Dieux*, p. 16; Mau-Kelsey, p. 177, fig. 81; Cumont, *R. Or.*, pl. 7, facing p. 88.

every Isis procession ([1]), and to the numen of which the Delian dedication was put, may possibly be the symbol of Isis Hydreia or Osiris-Sarapis Hydreios represented on the coins of Alexandria([2]). On the coins and the terra cotta, but not in the fresco of Herculaneum, the vase is surmounted by the insignia of an Egyptian deity([3]). To this god were sacred the so-called Canopic vases, sometimes surmounted by the heads of the Children of Horus, and originally used for preserving the viscera of the

---

([1]) Plut., *de Iside*, ch. 36 365 B : οὐ μόνον δὲ τὸν Νεῖλον, ἀλλὰ πᾶν ὑγρὸν ἁπλῶς Ὀσίριδος ἀπορροὴν καλοῦσι καὶ τῶν ἱερῶν ἀεὶ προπομπεύει τὸ ὑδρεῖον ἐπὶ τιμῇ τοῦ θεοῦ. The word προπομπεύει does not seem to mean here "lead the procession" in the sense of heading the procession. For in the account given by Apuleius he does not lead (Apul., *Met* XI, 11) ; in the procession described by Clement of Alexandria (*Strom.*, VI, 4, 37, 1, ed. Stahlin, p. 449) the prophet carrying the hydria comes fifth, and in the representation given in Darem.—Saglio, *Dict. Ant.*, s.v. Isis, fig. 4103, he comes third.

Apuleius, Met., XI, 11 : gerebat alius felici suo gremio summi numinis venerandam effigiem... : urnula faberrime cavata, fundo quam rotundo .. : eius orificium non altiuscule levatum in canalem perrectum longo rivulo prominebat... A good commentary on the urnula described by Apuleius is the representation of the hydria given in Moret, *Rois et Dieux*, pl. 15 : Isiaques portant l'Hydrie. For other representations of the hydria, see Cumont, *R. Or.*, pl. 8. 1, facing p. 90 : Dieterich, *Kl. Schrift.*, pl. 2, facing p. 440 ; Darem. et Saglio, *Dict. Ant.*, s.v. Isis, p. 584, fig. 4103.

Cf. also : Parthey ad Plut., *de Iside*, 36, p. 228f, who says that the custom of carrying the hydria in processions was not known in ancient Egypt ; J. Berreth, *Studien zum Isisbuch*, 71-2, 79 ff.

([2]) These "Canopic" figures of Osiris date from the earliest time (Petrie, *Kahun*, p. 36, par. 70, pl. XXIV, 7). They appear also on Roman coins of Egypt (Poole, *Cat coins of Alex.*, no. 268 (a coin of Vespasian) ; no. 633, pl. 18 (a coin of Hadrian). These two coins show Isis (Canopus) wearing horns and disks. *Ibid.*, nos. 625-626 (coins of Hadrian showing Osiris (Canopus) wearing aft and atef).

([3]) Perdrizet, *Terres Cuites*, I, p. 75 ff, nos. 180-3 ; II. pl. 49. He calls these representations "Sarapis Hydreios". From the villa of Hadrian three Canopic vases were recovered ; Gusman, *Villa Hadr.* p. 317, fig. 587-8, 590 ; idem, Ville d'Hadr. (guide book), p. 127, no. 81 (fig. 588, ed. maior), no. 82 (fig. 590, ed. maior). no. 83 (fig. 587. ed. maior).

dead, equated with Osiris. They were appropriately used for carrying the holy water, the fluid of Osiris, the eye of Horus (1).

We learn from Rufinus(2) that Sarapis Canopus was represented jar-like, and from the legend he relates it can be inferred that the jar was filled with water.

The only difficulty in the way of an unreserved acceptance of the interpretation that makes the megarum the sacred reservoir, is the absence of a parallel for the use of μέγαρον for ὑδρεῖον. Megarum in the Graeco-Roman period probably denoted an underground sanctuary without reference to the use it served. We find it possibly used for a sepulchre in an inscription from the Near East (3). The problem, therefore, can be viewed from another angle; the megarum was the tomb of Sarapis Hydreios in the same sense as cave tpht, the source of the Nile, was the holy sepulchre of Osiris. A curious parallel for the use of the word megarum to denote sepulchrum and fons (?) may be supplied by the colloquial Arabic fisqia which means a funerary chamber, as well as a ditch through which the water of a powerful pump first falls to rise again on the other side, and a fountain from which water artificially gushes forth to fall down in a reservoir.

---

(1) Erman, *Relig. der Ägypter*, 176; Moret, *Le rituel*, 171 ff. 209; Blackman, *Rec. de Trav.*, 39 (1921), 60, n. 1.

(2) Rufinus, *H. E.* 11, 26 (ed. Mommsen, 11, 2, p. 1033, lines 7 ff. in: Die gr. chr. Schrift.: Eusebius): unde ipsum Canopi simulacrum pedibus perexiguis adtracto collo et quasi sugillato, ventre tumido in modum hydriae cum dorso aequaliter tereti formatur.

(3) Kaibel, *Epigr.* no. 453 (found at Mardocha Batanaeorum): τοῖς γενέταις ἐμὲ Μάλχος Ἀλέξαν]δρός τε σαόφρων | δείμαντο φθιμένοις ἀίδιον] μέγαρον. | ἤ ῥ' ἔτυμον τάφος εἰμὶ β]ροτο]ῖς ἀνάπαυμα μέγιστον ἐκ βιότου καμάτων, ἢ δὲ γεωπονίης.

Cf. also: H. van Herwerden, *Lex. Graec. Suppl. et Dialect.*, s. v. μέγαρον.

List of Books Cited in the above Article

Blackman: Recueil de travaux relatifs à la philologie et à l'archéologie égyptienne et assyriennes pour servir de Bulletin à la mission française du Caire, Paris, 1870—.

Cumont: Les religions orientales dans le paganisme romain, 4th edition, Paris, 1929.

Daremberg and Saglio: Dictionnaire des antiquités grecques et romaines d'après les textes et les monuments, Paris, 1877-1919.

Harrison: Prolegomena to the Study of Greek Religion, 3rd edition, Cambridge, 1922.

Hopfner: Fontes Historiae Religionis Aegyptiacae, 1922-5.

Lafaye: Histoire du culte des divinités d'Alexandrie... hors de l'Egypte (Bibliothèque des Écoles Françaises d'Athènes et de Rome, fasc. 33), Paris, 1884.

Mau: Pompeii, its life and art, tr. by W. F. Kelsey, 1899.

Mazois: Les ruines de Pompéi, Paris, 1824-9.

Moret: Le rituel du culte divin journalier en Égypte (Annales du Musée Guimet, Bibl. d'Études, tome quatorzième), Paris, 1902.

Roussel: Les cultes égyptiens à Délos (Annales de l'Est publ. par la Faculté des Lettres de l'Univ. de Nancy, 29-30), Paris, 1915-6.

Rusch: De Serapide et Iside in Graecia Cultis, Berlin, 1906.

Wilkinson and Birch: The Manners and Customs of the Ancient Egyptians, London, 1878.

Wissowa: Religion und Kultus der Römer (Müller-Otto, Handbuch, V, 4), 2nd edition, München, 1912.

FURTHER NOTES ON MYOS HORMOS AND TADNOS FONS

With Some Remarks on a Station at Bir 'Aras; on an Ostrakon from El Heita, and on Some Ruins at Bir Abu Darag

MYOS HORMOS

(*Wide Bulletin of the Faculty of Arts* vol. III, part 2, 1935, p. 81 *et seq.*)

BY

C. H. O. SCAIFE

In February 1937 I visited the fort at Myos Hormos for the second time, and took measurements. These differ from those of Wilkinson made in 1823. He gives 240 ft. by 200 ft. Mine are: W wall 268 ft., N wall 212 ft., S wall 196 ft. (external measurements). Wilkinson's plan makes the gate apertures too big; the distances from mid-bastion to mid-bastion, which are more than the gateways, are: N gate 36 ft., W gate 32 ft.

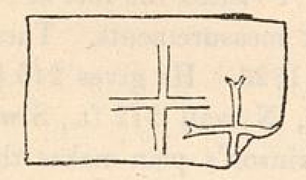
The buildings outside the fort at the NW corner were almost certainly baths. They are much obliterated on the N and E sides but the line of their outer wall on the W and S is clear. The site is occupied by a low mound, which probably covers a good deal of masonry. At the eastern end of their S wall is a shallow semi-circular bath made of bricks, with three steps leading down into it at one corner. It closely resembles one at Mons Claudianus. This is 6 ft. 9 ins. long on its straight side, and 5 ft. 4 ins. across at the middle. It is about 4 ft. 1 in. deep. The steps are about 7 ins. high; but the bottom one is 19 ins. above the floor of the bath. They are about 10 ins. broad.

On his plan Wilkinson calls these the remains, probably, of furances. He puts their S wall much too near the fort; from the

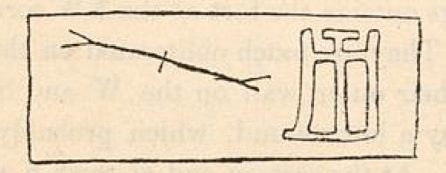
NW bastion to it is 26 ft. To the end of the brick bath this S wall is 61 ft. long, and the W wall 58 ft. long. The total length of the baths' wall on the N seems to have been 66 ft.

On a second examination of the fort Wilkinson's suggestion that the houses within the enclosure were of crude brick on a substructure of some kind seems to be correct. I had thought them to have been of rubble (*loc. cit.* p. 86). But if this were so the ground would be littered with stones, which it is not. The main outer walls, however, were of gypsum and not of limestone as Wilkinson thought.

On clearing some of the stones blocking the N gateway I found two or three blocks with smooth, weathered faces on one side. These probably lined the entrance. One of these stone, c. 18 ins. × 18 ins. × 8 ins. had chisel marks on one 8 in. side, which was weathered. On this surface the following signs were cut :—



Another block, larger but with a similar face, and with red marks in the weathering, had these signs :—



One or two of the blocks cleared had been cemented with a hard, white cement. There were a few burnt bricks among the *débris*.

Road from Myos Hormos to Bir Badi'

In February 1937 I went over that section of the road between Kainopolis and Myos Hormos which I had not traversed before (*vide Bulletin* loc. cit. p. 81).

The ancient road runs from the fort across to the SE end of the Abu Shaar plateau ; it follows the scarp of the plateau for a time, then crosses the shallow Wady Um Diheis to its southern side and goes on towards Selah Bilih. The modern road then joins it, very near the 50 km. post from Ghardaqa. 0 3 km. after the junction there is a cairn on a hillock at the S side of the road; from this cairn to the first pair of cairns by the fort, which are between 200 and 300 metres S of the gates, was 46·75 kms. The actual length of the road was a good deal less, as much of the going was bad and necessitated many small *détours*.

I marked fifteen pairs of cairns and three single ones along this part of the road, at an average distance of 1·5 km. apart. There were two other pairs and one singleton in three different places at irregular distances from regularly spaced cairns.

On a level stretch I was able to measure the direct distance between three successive pairs of cairns; it was 1·6 km. in the first case and 1·65 in the second. 1·6 km. is exactly one mile, and this is uniform with the measurements taken at other parts of the road (*op. cit.* pp. 64, 67, 72, 73, 77, 78).

In each case where a cairn is missing, the next one appeared approximately twice 1·6 km. from that last noted.

Allowing for those now missing and inclusive of the pair near the fort there were 24 mile cairns between Myos Hormos and a point just beyond where the modern motor-track joins the old road. The actual distance recorded by the milometre was 46·75 kms. This works out at 29·2 miles; the difference of 6·2 miles between this measurement and that given by the cairns is not an unreasonably high figure to represent *détours*, etc., made on rough and undulating ground, and the direct distance may be put pretty accurately at 23 miles. It is another 4 miles on to the turning up to Bir Badi', so that the total distance thence to Myos Hormos by the ancient road was 27 miles, and from Badi' fort to Myos Hormos fort 28·8 miles.

The distances between these cairns measured in kilometres by car; those between cairns along other parts of the road to Kainopolis were measured, by car, in miles. In both cases the distance is *exactly* one English mile, *i.e.* 1,609 metres. It is interesting that this should be the unit, rather than the Roman mile which was 1,481·5 metres (*vide International Map of the Roman Empire, Aegypticus*). Have we here, perhaps, a Ptolemaic unit? The road was first made under the Ptolemies when Myos Hormos was founded.

Tadnos Fons

(*vide Bulletin*, vol. III, part 2, Dec. 1935, pp. 81, 82)

In February 1937 I also visited the well of Abu Shaar el Qibli, which has been identified with the Fons Tadnos of Pliny. I saw no traces of a road or track leading from Myos Hormos fort to the well. Its palms are clearly visible from the walls of the fort. As I did not go direct to the well I cannot give milometre readings; but calculating from readings of the route over which I did travel it is about 4 miles away. The Survey of Egypt 1 : 100,000 map, Eastern Desert, Sheet 19, makes it just about 6 miles off; but M. Couyat-Barthoux makes the distance just over three miles (*Route de Myos Hormos. Bull. Inst. Fr. d'Arch. Or.* t. VII f. 1. 1909, p. 24).

There are remains here of a station of some importance. Wilkinson's sketch plan, which is spoken of in the article from vol. III of this Bulletin referred to above, resembles the ruins in shape but makes them four times too small, if I have understood his scale rightly. His measurements are of an enclosure of about 38 ft. by 34 ft., whereas the actual dimensions are 179 ft. by 138 ft. The station is almost obliterated by sand, but the top of a very large cistern is visible; it is built of rubble, plastered over, and measures 43 ft. by 45 ft., externally. To S, E and N the outer walls appear to have been double. The W wall is recessed at its S end, so that the S wall is shorter than that on the N. The cistern is built in the angle between the S and W walls. Outside the S wall

and parallel to it at a distance of between six and nine feet is a line of rubble foundations, built about 18 ins. square. They are similar to the foundations of crude brick pillars in the animal lines at Kreiya. Associated with them is a line of big stones running parallel with them for half their length. Beyond these is a fairly large level space which is bounded by the bank of a drainage channel at its S end and for some way on its W side. An extension of the main W wall seems to have run out from the beginning of its recession to meet the stream-bank on the W side. On the level space are traces of charcoal, bones and fragments of shell.

At a distance of just under 100 ft. from the SE corner of the enclosure are traces of three or four huts built together on a low rise of the ground.

Inside the enclosure are some burnt bricks, a few potsherds, very fragmentary, and many shells. These are much less broken than at some other stations, as for instance at Badi'. A little N of the cistern are faint traces of walls built out from the main W wall, and there is a mound in the NE part of the enclosure littered with fragments of cement and plaster, as at Badi', but without bricks, which may mark the site of a bath or oven. The only other remains noticeable on the surface are traces of a furnace a little way outside the main E wall towards its S end. The gate appears to have been in the N wall. Wilkinson marks another by the cistern, in the S wall, but I did not find trace of it.

The International Map of the Roman Empire, Aegypticus. (Aswan sheet, 1936), puts Fons Tadnos at Bir Mellaha on the W side of the Red Sea hills, about 25 miles from Myos Hormos. There is, indeed, a flowing stream of water there, but it is now so salt that it is undrinkable.

Absence of flowing water is the only evidence against Abu Shaar el Qibli as the site of Fons Tadnos. On the other hand, the presence of a station—there are no traces whatsoever of habitation at Bir Mellaha—, its closeness to Myos Hormos, and the general appearance of the little wady in which the well now

lies are all very strong evidence in its favour. Wellsted (cited by Mr. Murray, *Journ. Eg. Arch.*, vol. XI, III-IV, Oct. 1925, p. 141) identified Abu Shaar el Qibli with Fons Tadnos, and Couyat-Barthoux agrees.

The station lies below the Abu Shaar plateau at a spot where some mounds of rubble, cemented into what appears to be gypsum, approach the foot of the scarp. Between these mounds and the scarp-foot is a gulley which debouches into gravel beds, on one of which the station is built. The gulley runs for 200 or 300 yards parallel with the scarp, and then turns sharply towards it and terminates at a big fall of cliff. Along the course of the gulley on the scarp-side are acacia trees of various sizes, and near its mouth are several palms. The water-hole is a moderate size and is surrounded by large stones, but there is no trace of masonry visible. The water is only about three feet below the surface of the gulley. Tamarisk grows among the palms, and a little S of the gulley's mouth there is another group of palms and tamarisk a little way above the ground-level growing in a channel up the scarp-foot. No water was visible at this second group, but this is obviously a place where water seeps out, as at Bir Ma Sweilim and Bir Um Reiga at the foot of the North Qalala on the gulf of Suez. The gulley in which the well lies has very much the appearance of a stream-bed, and the fact that the trees grow along one side of it may indicate a stream, now underground, which was on the surface 1,800 years ago.

One objection urged against the identity of this well with Fons Tadnos is that the word *fons* was used only of a running stream. But one of the dictionary meanings of the word is "well"; and there is the use of it in *fons Traiana*, which is a name given to the town at Mons Claudianus, where the water is more than 30 feet below the surface.

There seems no doubt that Bir Abu Shaar el Qibli and Fons Tadnos are the same place.

The First Station between Kainopolis and Myos Hormos

The International Map of the Roman Empire (loc. cit.) puts the first station on the road from Kainopolis to Myos Hormos at Bir 'Aras. In 1925 Mr. Murray conjectured that this was its position (*op. cit.* p. 147), and an examination of the locality made in February 1937 revealed convincing evidence that he was correct.

There are two wells, about 200 yards apart, which lie in a torrent-bed running N and S, with banks varying from about 2 ft. high at the N well to about 7 ft. at the well. The N well is a recent one constructed by the Frontiers Administration and lined with material taken from the S one, which is ancient. The water is 5 or 6 feet below the surface.

On the E side of the torrent-bed between the two wells are traces of an enclosure 180 ft. by 150 ft.

At the N angle of the E wall courses of mud-brick are visible, and clear remains of the E wall can be traced along its length, with a gateway and bastions of mud-brick in the middle. About 100 ft. N of this main enclosure, and a little E of it, are traces of another one, very much smaller. The walls of this enclosure seem to have been of rubble. W of it is a large dump of potsherds, and W again, nearer to the torrent-bed, and a little towards the main enclosure is a mound of ash 6 ft. high—probably the site of a pot-kiln.

At the SE corner of the large enclosure is a deposit of ash, burnt bones and cement ; this probably marks a furance. I found several pieces of green porphyry, and in the main enclosure a rough piece of Imperial Porphyry, about 6 ins. square. There were also chips of Imperial Porphyry lying about, and a few rounded pebbles of red-and white granite, such as abound at Qattar station.

The number of potsherds everywhere is remarkable, but I saw only one small fragment of blue-glazed pot.

It is probable that in times of great flood the site of this station is under water, and in this case if the walls had no base of rubble, the *débris* of their crude bricks would evenly cover the foundations under an obliterating mound such as that which exists today. In several places there are patches of yellow powder such as these walls make when they are decomposed.

There is, therefore, no question of the little establishment at Bab el Mukheinig (*vide Bulletin*, vol. I, pp. 113-115. 1934, and vol. III, part 2, p. 72. 1935) being one of the stage-stops on the route to Myos Hormos. Nor, in the new light thrown on Fons Tadnos, can it now be thought to have any resemblance to that important station. The only establishment which it at all resembles in size and placement is the small enclosure in Wady Bilih (*Bulletin*., vol. III, part 2, p. 101. 1935). That it was used for stabling and watering animals is certain,—a use for which the enclosure in Wady Bilih seems not to have been designed; but why it should have been established where it is, one cannot, at present, determine.

A Fragmentary Ostrakon at El Heita

During the course of the last two years the Frontiers Administration have sunk a well at El Heita through the floor of the cistern within the station. Water was found at 75 feet below the cistern, but its top is already below the level of the ground. The new well has been lined with burnt bricks from a large pack which was found, according to the non-commissioned officer in charge of the undertaking, outside the walls.

During the digging a fragmentary ostrakon was found, an unbroken lamp, a tiny fragment of papyrus and a copper coin not yet identified. The ostrakon and the lamp were obtained from the diggers by Miss Myrtle Broome, and I was able to examine them through the kindness of Miss Amice Claverley. The coin is in my possession.

The ostrakon consists of a piece, apparently, of the neck of an amphora about 8 cm. broad and 5 cm. in depth, containing 7 lines of nicely written Greek letters in black pigment.

Mr. D. Roberts, of St. John Baptist College, Oxford, is of opinion that the fragment belongs to approximately the 2nd century B.C. It is, therefore, interesting as a survival from the first period when the Myos Hormos route was used. Hitherto it has been survivals from the period of Roman exploitation which have been observed. Mr. Roberts has very kindly given me a transliteration and translation.

- - -

λωμ[

λω περι της α[....]

εαν δε καιαβω [αυ-]

τος της πεμπτης

τουτο περαιωσω

ει δε μη ου μη

[εμ]ε μεμψη

(1) Probably part of ἀνάλωμα.

Translation II 3 (*et seq.*)

"If I go down myself on the fifth [*i.e.* probably to Alexandria] I will finish this matter off. If I don't, don't blame me."

Ruins at Bir Abu Darag on the Gulf of Suez

At Bir Abu Darag, which is on the coast 46 miles S of Suez, there are remains of an important station. It faces eastward, to the sea, and consists of a smaller enclosure, surrounding what may have been a tower, opening into a larger enclosure behind it. The smaller enclosure measures about 78 ft. by 81 ft. and the larger 132 ft. by 123 ft. The remains are much ruined and covered over. The enclosures abutt on outcrops of rock at two of their angles, and at one of these which is at the SW corner of the small enclosure and which is between 20 and 30 feet high, rooms have been

excavated in the rock and built-in with crude brick ; the walls were plastered and windows cut in them and plastered round. Between this point and what seems the base of a tower in the middle of the small enclosure are the remains of a wall with very white cement. The W wall of the small enclosure, which divides it from the larger one, is fairly well preserved at its N end. It is of rubble and has three square recesses in it.

The large enclosure occupies rather lower ground. At its NW angle is an outcrop of rock, and on it is a series of vaulted rooms built of crude brick, with windows. Just beyond the main W wall of this enclosure are traces of walls of crude brick on a rubble base. The well lies a little way from the NW angle of the main walls. It is cut in rock, and the water lies 10 or 12 feet down.

There are numerous fragments of pottery and a fair amount of greenish glass lying about. Ends of amphorae are not noticeable. Some yards nearer to the roadway than the lesser enclosure are traces of another, smaller still, and 50 or 60 yards N of this, on the ridge where stands the Frontiers post, are some high crude-brick walls on a rubble base, with semi-circular windows. The walls were plastered. They seem to be the S walls of a series of rooms which has disappeared.

The general appearance of these remains is very like that of the stations on the road from Kainopolis to Myos Hormos. It probably belongs to the same period ; the well would have been of as much importance to Roman Clysma as it was to Arab Suez. On the other hand, the remains may be Ptolemaic. I was able to make only a very superficial examination of the place, on my way back from the south.

Above the well a gulley runs up into the hill. Some big rocks at its mouth are covered with scratchings, probably tribal marks. The names also of "J. Burton" and "Dupuy" with date "1830" are cut on a rock.

Fouad I Univ. Press, 41-1952-300 ex.